



فاطمة و الخلافة

(دراسة لدور الزهراء في مسيرة النبوة والامامة)



الشيخ محمد رضا النعماني



مقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على محمد و آله الطاهرين..

ما من شك ان التاريخ لم يَفِ للزهراء فاطمة عليها السلام حقها، رغم مكانتها السامية و مقامها الكبير عندالله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم، و ما انفردت به من خصائص دون سواها. فاذا تصفحنا التاريخ فسوف نجد حوادث و وقائع غير مترابطة لا تعبر- غالباً- عن شخصيتها و دورها في مسيرة الاسلام.

و قد يبرر البعض ذلك بوجه أبيها صلى الله عليه و آله و سلم، و تاريخه المشرق و سيرته العطرة، التي هي كالشمس يخبو عندها كل نور مهما عظم و توهج.

و قد يقول البعض ان عمرها القصير، و الفتره المحدودة التي عاشتها عبد أبيها صلى الله عليه و آله و سلم لم يتح لها الكثير مما كان يجب ان يسجله التاريخ عنها في صفحاته، باستثناء بعض المواقف التي تتعلق بفدك و الخلافة.

و نحن و ان كنا لا نقلل من أهمية تلك المبررات ولكننا في الوقت نفسه نقول ان تلك المبررات- أو غيرها- لا تعفي الباحثين من تتبع سيرة حياتها الكريمة و تسجيلها بكل إجلال و تقديس، و ذلك لأنّ الزهراء لم تكن- من منظور السماء و النبوة- مجرد بنتاً للرسول صلى الله عليه و آله و سلم، أو امرأة جسدت اروع نماذج المرأة المسلمة في مجتمع النبوة المقدس، بل كانت كما تفيد النصوص القطعية المتواترة: مضموناً هائلاً يمثل معلماً من اهم معالم الاسلام، و ركناً من اهم اركانه.

و لهذا السبب لو تتبعنا السيرة و التاريخ بعين بصيرة سنجد ان أعباء الاهمال الكبير، و التجاهل المتعمد لشخصيتها و دورها، تتحمله السياسة و القادة الذين تقلبوا على عرش الخلافة، فهم بين ساب لها و لاعتن، إلى مستهزء ساخر و لن تجد الا القليل- على امتداد مسيرة منات الاعوام من وقف عند الحد الأدنى مما تستحقه فاطمة الزهرا عليها السلام.

يروى ابن عبد ربه في العقد الفريد: ان المهدي رأى في منامه شريكاً القاضي مصروفا وجهه عنه فلما انتبه قص رؤياه على الربيع فقال: ان شريكاً مخالف لك و انه فاطمة محضاً. قال المهدي: عليّ بشريك فأتى به فلما دخل عليه قال: بلغني انك فاطمي؟ قال: أعيذك بالله ان تكون غير فاطمي إلا ان تعني فاطمة بنت كسرى.

قال: لا ولكن اعني فاطمة بنت محمد. قال: فتلعنها؟ قال: لا معاذ الله قال: فما تقول في من يلعنها؟ قال: عليه لعنه الله(1).

و كذلك عن يحيى بن يعمر العامري قال:

بعث إلى الحجاج فقال: يا يحيى انت الذي تزعم أن ولد علي من فاطمة ولد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟ قلت له: إن أمنتني تكلمت. قال: فانت آمن. قلت له: نعم اقرأ عليك كتاب الله، ان الله يقول: (و وهبنا له اسحاق و يعقوب كلاً هدينا- إلى ان قال- و زكريا و يحيى و عيسى و الياس كل من الصالحين)(2).

و عيسى كلمة الله و روحه القاها إلى العذراء البتول، و قد نسبة الله تعالى إلى ابراهيم عليه السلام. قال: ما دعاك إلى نشر هذا و ذكره؟ قلت: ما استوجب الله عز و جل على أهل العلم في علمهم (لتبيننّه للناس و لا تكثمنه)(3).

قال: صدقت و لا تعودن لذكر هذا و لا نشره(4).

لقد وجد هؤلاء ان مسيرتها و تاريخها يترابط ترابطاً تاماً مع مسيرة زوجها اميرالمؤمنين علي عليه السلام الذي كانت الزهرا عليها السلام تؤمن بأن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قد نص عليه التولى الخلافة من بعده، كما في حديث المنزلة، و حديث الدار، و في خطبة الغدير و غيرها من النصوص. فكان من الطبيعي- بحسب منطق الاحداث المادية- أن يُطمس تاريخها إلى درجة

غير معقولة. فترى الاضطراب و التشويش والتحريف في تاريخ ولادتها و وفاتها و سيرتها و مواقفها سلام الله عليها، و هي ريحانه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و موضع اهتمامه و رعايته. و كان المسلمون يعرفون ذلك من فمه و سيرته معها و ذلك يكفي للاهتمام غايه الاهتمام لا العكس.

على كل حال فان المؤرخين، الذين كتبوا السيرة و التاريخ في ظل الحكومات و الخلافات المعادية لاهل البيت، و وظفوه لخدمة السلطان و مصالحه الذاتية، مقابل فتات لا قيمة له من الدراهم و الدنانير، قد غابت عنهم حقيقه ربانية، و سنّة الهية من سنن الكون، و هي (ان الله متمّ نورهِ و لو كره الكافرون) فما قد يُغيب من حقائق، استجابته لرغبة السلطان، أو الهوى، أو المصالح الفردية و المذهبية، ستظهر كما هي بعد حين. و الشواهد التاريخية على ذلك اكثر من ان تحصى.

يقول عمر بن عبدالعزيز:

كان أبي يخطب فلا يزال مستمراً في خطبته، حتى إذا صار إلى ذكر عليّ و سبّه تقطع لسانه، و اصفر وجهه و تغيرت حاله. فقتل له في ذلك فقال: أو قد فطنت لذلك؟

إن هؤلاء لو يعلمون من علي ما يعلمه أبوك ما تبعنا منهم رجل(5).

و في هذا الكتاب حاولت أن القى الضوء على دور الزهراء عليها السلام في المسيرة الاسلامية و هل انّ ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بشأنها كان ضمن المنهج الرباني في تكريس واقع الامامة في الحياة، بالنحو الذي يكون دورها في مرحلة ما بعد الرسول كدور الانبياء في أداء مهمة محدّدة، و انها- ضمن هذا المخطط هي التي ستتحمل مهام ذلك الدور و تلك المسؤولية، لتكون حجة الله البالغة في تثبيت خط الخلافة الصحيح بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و ان ما صدر بحقها فوق التكريم و التبجيل، ليرقى إلى اعلى و اسمى الوان القداسة الدينية، إذ لو كان دور الرسول صلى الله عليه و آله و سلم البلاغ، فان دورها كان تطبيقه على واقع الحياة، و هذا يقتضي جهداً مضاعفاً تحمّلتها الصديقة الكبرى.

و كان بالامكان دراسة حياة الزهراء عليها السلام على عدة اصعدة و بمستويات مختلفة و زوايا متنوعة، و قد نصل إلى نتائج اكثر اهمية عن حياتها و دورها و موقعها في المسيرة الاسلامية، إلا اني وجدت ان البحث عن اكتشاف حلقات الترابط بين ما صدر بشأنها من نصوص من جانب، و بين مواقفها و دورها في تثبيت خط الامامة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم تفرضه اكثر من ضرورة، لاننا في الوقت الذي نؤمن بان حبّ أهل البيت و مودتهم فريضة واجبة و أحد الثوابت الاسلامية القطعية بنص القرآن الكريم، نؤمن كذلك بضرورة فهم ادوارهم و مواقفهم في خدمة الاسلام و تضحياتهم من اجله، فما قام الاسلام في حياة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الا بسيف علي عليه السلام و اموال خديجة عليها السلام و ما استمرّ بعده صلى الله عليه و آله و سلم الا بتضحيات أهل بيته عليهم السلام و كانت صلوات الله عليها اول المجاهدين و المضحين، فيجب ان نفهم هذا الدور على اساس الوفاء لهم و الاقتداء بهم.

فقررت المضي على هذا المنهج في دراستي لحياة الزهراء عليها السلام و تركت الاجابة إلى ما سينتهي إليه هذا البحث المتواضع. ولكن بنفس الوقت أؤكد على ان دور الزهراء عليها السلام في المسيرة النبوية و جهادها و تضحيتها و مواقفها، و الهدفية في كل تلك المواقف غابت أو غُيبت ما عمداً من قبل المغرضين الحاقدين، أو نُسيبت من قبل المحبين، و لم يبقَ منها غير الضلالة و تاريخ القهر و الاضطهاد و المناب التي صُبت عليها. اما لماذا ظلمت، و لماذا ثارت؟ فامور قد غابت الاجابة عنها في معظم ما

يكتب عن الزهراء عليها السلام رغم أهميتها. و قد بذلت جهدي في ابراز هذا الدور وفاءً لأم الأئمة التي حبها دين، و بغضها كفر، و من اجدر منها بذلك و هي التي باهل بها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بأمر الله عز و جل نصارى نجران فقال:

(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُوا أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلِ اللَّهُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)(6).

و قال عز و جل فيها و في ذريتها: (قل لا أسئلكم عليه اجراً إلا المودة في القربى).

ثم وجدت من الصعب ان اكتب بحثاً تحليلياً متواضعاً عن أهمية دور الزهراء في مسيرة الاسلام و تاريخه من دون ان اتعرض إلى حياتها الكريمة التي لا زالت بكرة رغم الكثير الذي كتب عنها فالزهراء عليها السلام ليست تاريخاً نقف عنده كنصوص جامدة رويت لنا من مصادر مختلفة، بل الزهراء قضية دين و أمة، و سيرة و قدوة، لقد سارت فاطمة على خطى ابيها فكانت نموذج الثاني في معظم اقواله و اعماله و خصائصه.

و علينا و نحن في القرن الحادي و العشرين الميلادي و قد توسعت آفاق المعرفة البشرية، و تطورت في المدارك العقلية، و اصبح الناس اكثر ميلاً إلى ثقافة تنسجم- في اسلوب عطائها- مع اساليب العصر حتى في الدراسات و الابحاث التي هي من هذا القبيل، و التي تتصف بالمحدودية، انها بحاجة إلى تقديم جديد ينسجم مع ثوابت الاسلام و سيرة أهل البيت عليهم السلام، و مع ثقافة العصر و تطور مسيرة المعرفة الإنسانية.

بهذه الروح و على هذا الضوء أحببت ان افق عند شخصية الزهراء عليها السلام، الشخصية الرائدة الشجاعة، المستبسلنة في ذات الله عز و جل المصممة على اداء مهمة تثبيت خط الامامة و الخلافة راجباً المولى تعالى ان يكتب لي التوفيق في ذلك، اداءً لحق بضعة المصطفى و روحه التي بين جنبيه، و الحمد لله رب العالمين.

موجز السيرة الذاتية للزهراء

ولادتها و نشأتها و سجاياها

اختلفت الروايات في تاريخ ولادتها عليها السلام و بما ان منهجنا يقوم على الاختصار، فسوف اقتصر على بعض تلك الروايات. فمنها: ما ذكره الشيخ المفيد في كتاب حدائق الرياض انه يوم العشرين من جمادى الآخرة كان مولد السيدة الزهراء عليها السلام سنة اثنين من المبعث(7).

و منها: ما قاله ابو الفرج الاصفهاني في كتاب مقاتل الطالبين من ان مولدها كان قبل النبوة و قریش حينئذٍ تبني الكعبة(8) و يذكر ابو الفرج ان علياً تزوجها: في صفر بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم المدينة، و بنى بها بعد رجوعه من غزوة بدر، ولها يومئذٍ ثماني عشرة سنة.

و منها: ما رواه الكليني عن عبدالله بن جعفر و سعد بن عبدالله جميعاً، عن ابراهيم بن مهزيار عن اخيه علي بن مهزيار، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني: قال: سمعت ابا جعفر يقول:

«ولدت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه و آله و سلم بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بخمس سنين،

و توفيت و لها ثماني عشره سنة و خمسة و سبعون يوماً.»(9).

و منها: ما في مصباح الكفعمي قال:

«ولدت فاطمة عليها السلام في العشرين من جمادى الآخرة يوم الجمعة سنة اثنين من المبعث و قيل: سنة خمس من المبعث
(10).

و منها: ما في كتاب دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري الامامي، عن ابي المفضل الشيباني، عن محمد بن همام، عن احمد بن محمد البرقي، عن احمد بن محمد بن عيسى، عن عبدالرحمن بن ابي نجران، عن ابن سنان، عن ابن مسكان، عن ابي بصير، عن ابي عبدالله عليه السلام:

قال: ولدت فاطمة في جمادى الآخرة اليوم العشرين منها سنة خمس و اربعين من مولد النبي صلى الله عليه و آله و سلم فاقامت بمكة ثمان سنين، و بالمدينة عشر سنين، و بعد وفاه ابيها خمسا و سبعين يوما، و قبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة احدى عشره من الهجره.

هذا و قد ذكر المجلسي روايات اخرى عديدة تذكر انها و لدت بعد النبوه بخمس سنوات من روايات أهل البيت و روايات أهل السنة.

و هناك روايات كثيرة تؤكد على ان الزهراء عاشت ثمانية عشر عاما و بضعة اشهر، و ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم توفي عن ثلاث و ستين عاماً على الاكثر.

قال ان الاثير: و اختلفوا في عمره يوم مات. فقال ابن عباس، و عائشة، و معاوية، و ابن المسيب: كان عمرة ثلاثاً و ستين سنة. و قال ابن عباس أيضاً و ذغفل بن حنظله: كان عمره خمساً و ستين سنة، و قال عروة بن الزبير: كان عمره ستين سنة(11). و ان اخذنا بالروايات التي تقول انها ولدت في السنة الثانية من البعثة فيجب ان نلتزم ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم توفي عن ستين عاماً و هو خلافت المروي و المعروف عند المسلمين. و إن جاءت فيه اقوال شاذة.

و على هذا يمكن ان يكون الاقرب للصحة ان الزهراء عليها السلام ولدت في العشرين من جمادى الآخرة في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

نشأت الزهراء صلوات الله و سلامه عليها في بيت الوحي و النبوة، و تربت على يد خاتم المرسلين صلى الله عليه و آله و سلم فتعلمت مكارم الاخلاق، و جميل الصفات فكانت كما كناها صلى الله عليه و آله و سلم (ام ابيها).

وقفت عليها السلام مع ابيها المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم في كل مراحل حياته و جهاده من أجل الاسلام تذب عنه، و تدافع عن رسالته، تدوي جروحه في مكة، و في شعب ابي طالب حيث عاشت معه الحصار و الفاقة، ثم هاجرت معه إلى المدينة.

تقول ام سلمة: «تزوجني النبي صلى الله عليه و آله و سلم بعد ما دخل المدينة و فوض أمر ابنته إليّ فكانت أودبها و كانت و الله أأدب مني، و أعرف بالاشياء كلها»(12).

تزوجت بأمر الله تعالى من علي بن ابي طالب عليه السلام فكانت نموذجاً اسمى للزوجة في كل تفاصيل الحياة الزوجية سواء في ادارة بيتها، أو تربية اولادها، أو علاقتها بزوجها. يقول علي عليه السلام:

(فوالله ما أغضبته، و لا اكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز و جل، و لا اغضبته، و لا عصت لي أمراً، و لقد كنت انظر إليها فتتكشف عني الهموم و الاحزان)

و سوف نتعرض إلى جوانب من حياتها و خصائصها و سجايها فيما يأتي ان شاء الله .

خصائص الزهراء و سجاياتها

للزهراء الطاهرة سلام الله عليها خصائص كثيرة ضمتها كتب السير و التاريخ، و يمكن تقسيمها إلى نوعين:

النوع الاول: و الذي يمكن ان نسميه بالاجتباء و الاكرام الرباني لها و ذلك بمنحها جملة من الصفات و المقامات الرفعية السامية التي عريت عنها بعض تسمياتها و القابها كفاطمة و البنول و السيدة، و العذراء، و الزهراء و، و الحوراء، و المباركة، و الطاهرة و الزكية، و المحدثّة، و مريم الكبرى، و الصديقه الكبرى و غير ذلك.

و لكل من هذه الاسماء معنى عقائدياً كبيراً و ليس مجرد تسمية يراد بها التكريم و التعظيم فقد ورد مثلاً كما في عيون اخبار الرضا بالاسناد إلى دارم قال: «حدثنا علي بن موسى الرضا و محمد بن علي عليهما السلام قالوا: سمعنا المأمون يحدث عن الرشيد عن المهدي، عن المنصور عن أبيه عن جدّه قال: قال ابن عباس لمعاوية:

أتدري لِمَ سميت فاطمة فاطمة؟

قال: لا.

قال: لأنها فُطمت هي و شيعتها من النار، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقوله»(13).

و روى كذلك عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: اني سميت ابنتي فاطمة لأن الله عز و جل فطمها و فطم من احبها من النار»(14).

و هذا يشير إلى جذور عقائدية عميقة لمعنى الحب الذي يعصم من دخول النار، و يجب ان نبحت بدقة عن تلك المبررات، و نحاول الربط الصحيح بين اطراف

القضية. أي معنى و مفهوم حب الزهراء الذي يفطم من دخول النار، و بين ما وعد الله عز و جل من دخول العاصين النار، و كيف يحول حبها من دخول النار للعاصين و المذنبين.

و كذلك القول في اسمها الزهراء، و هو اسم يحمل معنى عقائدياً كبيراً، و قد جاء في تفسيره انها عليها السلام كانت إذا قامت إلى الصلاة يزهر نورها لاهل المساء كما تزهر الكواكب لاهل الأرض.

ورى الطالقاني عن الجلودي عن الجوهري، عن ابن عمارة عن أبيه قال:

سألت ابا عبدالله عليه السلام عن فاطمة لِمَ سُميت زهراء؟.

فقال: لأنها كانت إذا قامت في محرابها زَهَرَ نورها لاهل السماء»(15).

فما هو النور الذي يزهر لاهل السماء، هل هو نور انقطاعها الكامل إلى الله عز و جل، أو نور اخلاصها العظيم في عبادتها لله رب العالمين أو كما يقول الامام الصادق عليه السلام:

سُميت الزهراء، لأن نورها اشتق من نور عظمة الله سبحانه، و لما اشرق نورها غشي ابصار الملائكة فخرؤا إلى الله سجداً و قالوا: إلهنا و سيدنا ما هذا النور؟ فاوحى إليهم هذا نوري اسكنته في سمائي، و أخرجه من صلب نبي من انبيائي، افضله على جميع الانبياء، و اخرج من ذلك النور أنمة يقومون بأمري و يهدون إلى حقي، اجعلهم خلفاني في ارضي بعد انقضاء و

حيي»(16).

فهل هو نور النبوة، و نور الامامة اجتمعا فيها دون غيرها من الخلق اجمعين، فهي بنت سيد المرسلين و ام الأنمة الطاهرين، و بها امتد النبي صلى الله عليه و آله و سلم نسباً و نبوة.

كل هذه الامور بحاجة إلى بحث و تحقيق لأنها تتضمن معاني عميقة و دقيقة، و تكشف عن رؤية عقائدية رفيعة، لا ينبغي ان نمر عليها مرور الكرام.

و قد احسست ان من التقصير- غير المغفور- بحق الصديقة الكبرى أن أهمل تلك المعاني دون أن أدوي و لو نزرأ يسيراً من حقها فقررت أن اعيش في رحاب تلك السيرة العطرة، و أمرت عليها لاشم عقبها و اريجها، مكتفياً بالاشارة و الاختصار، راجياً المولى تعالى ان يوفقني للكتابة عنها بما يجب و تستحق.

النوع الثاني: الصفات و الخصائص الذاتية المكتسبه، و التي تعبر عن حجم ايمانها العميق بالاسلام، عقيدة و شريعة و اخلاقاً، الذي وصلت به إلى ذروة الكمال لا لأنها المختارة المجتابة من رب العالمين فقط، بل و باعتبارها امرأة من سائر المسلمين اصبحت قدوه و مناراً، و علماً للحق و نوراً يستضاء به سبب حجم ايمانها بالله و تكمسها بدينها.

و إذا كانت مسيره الانسانية الصالحة بحاجة إلى القدوة (فبهذا هم اقتده)(17).

خطاب للرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم (و لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة)(18).

خطاب للانسانية المؤمنة، فان المسيرة الايمانية طفحت بزخم هائل من المقتدين الصالحين و سجلت لهم ذاكره التاريخ أجمل الصور واسماها فلننت صفحاته زهواً و فخراً.

و برز من بين هؤلاء نماذج اصبحوا- بحق- قدوة القدوة و نموذجاً رائعاً لا يسع الانسان الا ان يقف امامه اجلاً و احتراماً.

و تأتي الزهراء في طليعة هؤلاء، بل سيدتهم جميعاً فكانت المثل الاروع في حبها لربها و لرسوله صلى الله عليه و آله و سلم و في سلوكها الاخلاقي مع زوجها و اولادها و خادمتها، و في عبادتها و تقواها، و زهداها و تعفها، و جهادها في سبيل الله من اجل الامة و الاسلام، و في شجاعتها و تنمرها في ذات الله عز و جل.

و رغم الظلم الفادح الذي نال الزهراء، بتعمد المؤرخين و كتاب السيرة على طمس كل تلك المعالم و قد نجحوا- للأسف الشديد- في اخفاء الكثير تحت ضغط

السياسات المعادية لاهل البيت عليهم السلام إلا أن النزر اليسير الذي استعصى على اولئك اخفائه يصلح ان يكون مؤشراً على ما تمعت به الصديقه الكبرى من كمال جعلها في الذورة دنياً و اخلاقاً و ورعاً و زهداً. و بكلمة مختصرة: نموذجاً و تجسيداً حياً و صادقاً للاسلام بكل ما فيه من قيم.

و لنقف مع بعض الجوانب، و فقه اقتداء و وفاء و اداء لحق بضعة المصطفى و سيدة نساء العالمين، من خلال عرض لبعض جوانب حياتها الشخصية.

أدبها مع أبيها محمد صلى الله عليه و آله و سلم سيد الانبياء و المرسلين، و سيد ولد آدم اجمعين فكيف لا يحق للزهراء عليها السلام ان تعتز و تفتخر به فمن مثل محمد، و من يعبد محمداً، و من وصل إلى ما وصل إليه محمد من كمال و سمو و هو الذي قال عنه رب العالمين: (و انك لعلى خلق عظيم)(19).

و مع ذلك نرى الزهرا عليها السلام تنظر إلى ابنيها صلى الله عليه و آله و سلم نظرة المؤمن المتعبد، السامع المطيع.

لم تقع عليها السلام تحت تأثير النبوة له، فتتصرف معه كما يتصرف الابناء مع الآباء، رغم علمها بحجم حبه و مودته لها، و هي التي كانت تسمعه يقول: فاطمة بضعة مني، فاطمة روعي التي بين جنبي.

نظرت إليه كرسول لرب العالمين، قبل ان تنظر إليه كوالد، و تعاملت معه كما يتعامل المؤمنون مع الرُّسل، و لم تسمح لروابط النبوة بتجاوز آداب النبوة.

و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يحب ان يرى وحيدته الصديقة تتعامل معه كأب، يسمع منها ما يسمع الآباء من ابنائهم، و تتصرف معه كما يتصرفون، خاصة و هو يعلم انها استكملت الايمان، فلا يمكن ان يصدر منها ما لا يليق و شأن الانبياء. و مع ذلك بقيت محتفظة بقدسية النبوة و آدابها، تنظر إلى ابوها كنجبي، قبل ان تنظر إليه كأب، فلم تقل له يا ابيه و انما يا رسول الله، مما دعاه صلى الله عليه و آله و سلم إلى ان يقول لها: «قولي: يا أبة فإتھا احبي للقلب». فقد روى القاضي ابومحمد الكرخي في كتابه عن الصادق عليه السلام قال: قالت فاطمة:

لما نزلت (و لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً)(20).

هبت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ان اقول له: يا أبة فكنت اقول: يا رسول الله فأعرض عني مرة أو اثنتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليّ فقال:

يا فاطمة إنها لم تنزل فيك، و لا في اهلك و لا في نسلك، أنت مني و أنا منك إنما نزلت في أهل الجفاء و الغلظة من قريش اصحاب البذخ و الكبر قولي: يا أبة فإتھا احبي للقلب و ارضى للرب»(21).

و بهذا تعطي الزهراء عليها السلام درساً بليغاً في مستوى و طبيعة العلاقة بين القائد و ابنائه، فهي كما شهدنا لم تغلب عاطفتها كبت، على ما لمقام النبوة من جلال و احترام، و قدمت ايمانها بابيها كرسول لرب العالمين على كونها بنتاً خوّفاً من ان يكون ندانها له بيا أبتى مشمول بقوله تعالى (و لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً)، و جاء الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ليؤكد حقيقة تحمل من المعاني الكثير، و تدلل على ما للزهراء من مكانة سامية عندالله و رسوله فيقول لها: يا فاطمة انها لم تنزل فيك و لا في اهلك و لا في نسلك، لانتك جزء من الشخصية النبوية «أنت مني و أنا منك»، فلا يشملك الخطاب «فقولي يا أبة فإتھا احبي للقلب و ارضى للرب».

لقد علمتنا كيف يجب ان نقف عند الحدود، و كيف نحترم القيم، و كيف نتعامل مع انفسنا و مع الناس، و كيف نجعل الايمان كاحباً للغرور و الطيش، فها هي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه و آله و سلم سيد الانبياء و المرسلين و الناس اجمعين، لم تتخذ من مكائنها و مقامها وسيلة للاستعلاء على الناس، أو التكبر عليهم، و بقيت كما هي في سيرتها تنظر إلى نفسها كواحدة من المسلمين، من دون امتيازات خاصة، أو استثناءات فردية تميزها عن الآخرين، رغم انها صلوات الله و سلامه عليها تستحق اعظم الوان التكريم و التقدير.

خبها لأبيها

لقد أمر الله عز و جل المؤمنين بحب رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و مودته و أهل بيته عليهم السلام فقد روي عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم انه قال:

«فو الذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والدهِ و وُدهِ»(22).

و عن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والدهِ وَ وَلَدِهِ و الناس اجمعين»(23).

و روى انس أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال:

ثلاث من كُنَّ فيه وجدَّ حلاوة الايمان أن يكون الله و رسوله أحبَّ إليه مما سواهُما»(24).

و مما لا ريب فيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بحاجة إلى حب الناس، فهو حبيب رب لعالمين و نجيبه و صفيه، الذي كرمه بما لم يكرم به احد فقال عزوجل (ان الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيهاالذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً) (25).

الا ان الحكمة الربانية اقتضت اضافة إلى اعتبار حبه صلى الله عليه وآله وسلم عبادة من اعظم العبادات، و طاعة من أوجب الطاعات، ان تكون العلاقة بين الرسول و امته من خلال قنوات الحب و المودة الخالصة، و توظيف هذه العلاقة إلى حب للمبادئ و القيم الربانية التي جاء بها من عندالله تعالى. فما اكبر الفرق بين من يؤمن و هو لا يحب، و بين من يؤمن و يحب:

(محمد رسول الله و الذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم)(26).

و أكد القرآن للمؤمنين و المسلمين ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي امرنا الله بحبه يحمل لهم في قلبه، و بين جوانحه من الحب اعظم مما يحمله المسلمون له من حب فقال عز و جل:

(ليخرجكم من الظلمات إلى النور و كان بالمؤمنين رحيماً)(27).

و جاء في روايات عديدة انه إذا كان يوم القيامة فان جميع الانبياء و الرسل يقولون: ربي نفسي الا نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم فانه ينادي: ربي امتي.

و في هذا المجال كانت الزهراء نموذجاً من ارواح النماذج في حبه لابيها صلى الله عليه و آله و سلم فقد امتلأت روحها الطاهرة بحبه و مودته و لم تكن تفارقة في سراء و لا ضراء.

و قد روى المؤرخون و الرواة بعضاً من تلك الصور نذكر بعضها:

يقول ابوثعلبة الخشني كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذا قدم من سفره يدخل على فاطمة، فدخل عليها فقامت إليه و اعتنقته و قبلت بين عينيه(28).

و تروي ام المؤمنين عائشة أن فاطمة كانت إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قام لها من مجلسه، و قبل رأسها و أجلسها مجلسه، و إذا جاء إليها لقيته و قبل كل واحد منهما صاحبه و جلسا معاً(29).

و عن أبي علي الصولي قال عبدالله بن الحسن دخل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على

فاطمة فقدّمت له كسرة يابسة من خبز شعير فأفطر عليها ثم قال:

يا بنية هذا أول خبزٍ أكل أبوك منذ ثلاثه ايام. فجعلت فاطمة تبكي و رسول الله يمسح وجهها بيده(30).

و يروي عن ابي ايوب الانصاري قال:

ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مرض مرضه فاتته فاطمة عليهاالسلام تعوده و هو ناقة من مرضه- أي قد برى ء من علته و لكنه ضعيف- فلما رأت ما برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من الجهد و الضعف خنقتها العبرة حتى جرت دمعها

على خدها(31).

و روي عن ابي ثعلبة الخشني يقول:

قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزاة له فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين، و كان يعجبه إذا قدم ان يدخل المسجد فيصلي فيه ركعتين، ثم خرج فأتى فاطمة عليها السلام فبدأ بها قبل بيوت ازواجه فاستقبلته فاطمة عليها السلام و جعلت تقبل وجهه و عينيه وتبكي.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما يبكيك؟

قالت: أراك قد شحبت لونك.

فقال لها: يا فاطمة إن الله عز و جل بعث أباك بأمرٍ لم يبق على ظهر الأرض بيت مدّرٍ و لا شعرٍ إلا أدخله به عزاً أو ذلاً يبلغ حيث بلغ الليل»(32).

و عن عبدالله بن عباس قال:

لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة بكى حتى بليت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟

قال: ابكي لذريتي و ما تصنع بهم شرار امتي من بعدي، كآني بفاطمة بنتي و قد ظلمت و هي تنادي يا أبتاه فلا يعينها أحد من أمتي.

فسمعت ذلك فاطمة عليها السلام فبكت.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تبكي يا بنية.

فقالت: لست ابكي لما يصنع بي من بعدك ولكن ابكي لفراقك يا رسول الله.

فقال لها: ابشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي فانك أول من يلحق بي من أهل بيتي(33).

و لم يحدثنا التاريخ عن احدٍ يفرح و يستبشر بالموت لانه يسلمت بحبيبه غير الزهراء عليها السلام، تقول عائشة:

ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا ابنته فاطمة عليها السلام فاسارها فبكت، ثم سارها فضحكت.

فقلت: ما هذا الذي سارك به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكت ثم سارك فضحكت؟

فقلت: أخبرني بموته فبكت ثم سارني فأخبرني اني اول من يتبعه من أهله فضحكت»(34).



1 - البحار ج 43 ص 43.

2 - الانعام 85.

3 - آل عمران 187.

4 - بحار الانوار ج 43:228.

5 - شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 13:122.

6 - آل عمران: 60.

7 - بحار الانوار، ج 43:8 ط دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

- 8 - مقاتل الطالبيين: ص 59: شرح و تحقيق السيد احمد الصقر.
- 9 - البحار ج 9:43.
- 10 - بحار الانوار ج 9:43.
- 11 - الكامل في التاريخ ج 2: ص 196.
- 12 - بحار الانوار ج 43 نقلاً عن دلائل الامامة.
- 13 - بحار الانوار ج 43: ص 12 و ذخائر العقبى ص 26 ط عام 1356 هـ اصدار مكتبه القدسي، كنز العمال ج 6 ص 219.
- 14 - بحار الانوار ج 12:43.
- 15 - بحار الانوار ج 12:43.
- 16 - وفاه الصديقه الزهراء للمقرم نقلا عن المختصر للحسن بن سليمان ط النجف.
- 17 - الانعام:90.
- 18 - الاحزاب:21.
- 19 - القلم:4.
- 20 - النور:63.
- 21 - بحار الانوار ج 32:43.
- 22 - صحيح البخاري ج 70:1.
- 23 - صحيح البخاري ج 70:1.
- 24 - صحيح البخاري ج 70:1.
- 25 - الاحزاب:56.
- 26 - الفتح:29.
- 27 - الاحراب:43.
- 28 - بحار الانوار ج 40:43.
- 29 - راجع صحيح الترمذى ج 2 ص 319 ط مبعة بولاق عام 1292 هـ - و مستدرک الصحيح ج 3 ص 154 ط دائرة المعارف النظامية بحيدر آبادكن عام 1324 هـ -.
- 30 - بحار الانوار ج 40:43.
- 31 - بحار الانوار ج 97:43.
- 32 - حلية الاولياء لابي نعيم ج 2 ص 300 مطبعة السعادة بمصر.
- 33 - بحار الانوار ج 40:43، كنز العمال ج 7 ص 111 طبع دائرة المعارف النظامية.
- 34 - صحيح مسلم ج 7 ص 142 باب فضائل فاطمة مطبعة بولاق.

أدبها مع زوجها

سجل التاريخ للزهراء صلوات الله و سلامه عليها أجمل الصور التي جسدت أسمى نماذج العلاقة بين المرأة و زوجها في كل تفاصيل الحياة الأسرية، ابتداءً من علاقتها بزوجها إلى تربية اولادها و ادارة شؤون بيتها، و انتهاءً بموافقها التضحية الباسلة في قضية الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و تعتبر حياة الزهراء، بما طفحت به من صور رائعة، القدوة لحياة المرأة والاسرة المسلمة و ما يجب ان يكونا عليه.

تبدأ مسيرة حياتها الزوجية بما استفاض في كتب الفريقين من ان الله عز و جل هو الذي أمر بتزويج فاطمة من علي عليه السلام.

فعن مسروق و عن ابن مسعود كلاهما عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال:

إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي(1).

و في كتاب ابن مردويه، قال ابن سيرين: قال عبيدة: انّ عمر بن الخطاب ذكر علياً فقال: ذاك صهر رسول الله صلى الله عليه و آله

و سلم نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال:

إنّ الله يأمرك ان تزوج فاطمة من علي(2).

و عن انس قال: كنت عند النبي صلى الله عليه و آله و سلم فغشيه الوحي فلما أفاق قال لي:

يا أنس أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟

قال قالت: الله و رسوله أعلم.

قال: أمرني أن أزوج فاطمة من علي...«(3).

و لم تتميز الزهراء بما تتميز به بنات الملوك و السلاطين في مثل هذه المناسبات. لقد تزوجت من دون امتيازات أو استثناءات

مادية. زواج سمته البساطة و التقشف في الوقت الذي كان بإمكان ابيها صلى الله عليه و آله و سلم ان يقيم لها حفلاً يناسب شأنها

و مكانتها من دون تجاوز حتى لحكم المكروه و ذلك بالاتفاق عليها من أموال امها الطاهرة خديجة بنت خويلد عليها السلام التي

ورثتها الزهراء عليها السلام، و كما هو معروف فان خديجة كانت من اثرياء العرب و المسلمين، و مع ذلك فان واقع النصوص

الواردة عكست لنا صورة تتسم ببسط انواع الزهد و التقشف لزواج الزهراء عليها السلام قال:

كان فراش علي و فاطمة حين دخلت عليه إهاب كبش، إذا أرادا أن يناما عليه قلباه فناما على صوفه.

قال: و كانت و سادتهما أداماً حشوها ليف.

قال: و كان صداقها درعاً من حديد(4).

و يروي جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال:

لما تزوج عليّ فاطمة بسط البيت كئيباً، و كان فراشهما إهاب كبش، و مرفقهما محشوة ليفاً، و نصبوا عوداً يوضع عليها السقاء

فستره بكساء(5).

و كانت سلام الله عليها و هي بنت النبوة الخاتمة تقوم بكل شؤون بيتها حتى قال علي عليه السلام لرجل من بني سعد: ألا احذتك

عني و عن فاطمة إنها كانت عندي و كانت من أحب اهله إليّه- أي إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم- و انها استنقت بالقربة

حتى أثر في صدرها، و طحنت بالرحى حتى مجلت يداها(6)، و كسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، و اوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها فصابها و من ذلك ضرر شديد(7).

و استمرت وحيدة في ادارة شؤون بيتها، فتره طويلة من الزمن، يرهقها الاستقاء بالقربة، و الطحن بالرحى و غير ذلك من شؤون البيت.

و في يوم من الايام: رأى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فاطمة و عليها كساء من أجله الابل و هي تطحن بيديها و ترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال:

يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة.

قالت: يا رسول الله الحمد لله على نعمانه، و الشكر على آله.

فانزل الله (و لسوف يعطيك ربك فترضى)(8).

و كما يروي ابوهريرة فان النبي صلى الله عليه و آله و سلم عند ذلك وهبها خادمة سماها فضة بعد نزول قوله تعالى (فقل لهم قولا ميسورا) بعد أن كان يمتنع عن ذلك كما تشر النصوص(9).

و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد علم علياً و فاطمة ما على كل واحد منهما من واجبات تجاه الآخر: ففضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب، وفضى على علي بما خلفه(10).

و عن ابي جعفر عليه السلام قال:

ان فاطمة ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت و العجين و قَم البيت، و ضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب، و ان يجيبى ء بالطعام.

فقال لها يوماً: يا فاطمة هل عندك شيء؟

قالت: والذي عظم حقك، ما كان عندنا منذ ثلثه ايام شيء نقرئك به.

قال: أفلا أخبرتني؟

قالت: كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نهاني أن أسألك شيئاً فقال: لا تسألين ابن عمك شيئاً إن جاءك بشيء و الآ فلا تسأليه(11).

يمكن مراجعة مصادر ذلك في: صحيح ابن ماجة في ابواب النكاح ص 139 و ابواب الزهد ص 316، و مستدرک الصحيحين ج 2 ص 185، و مسند احمد ج 1 ص 84، و الطبقات الكبرى لابن سعد ج 8 ص 15، و حلية الاولياء ج 3 ص 329.

و يصف لنا علي عليه السلام حياته مع الزهراء الزكية فيقول:

فوالله ما اغضبتها، و لا اكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز و جل، و لا اغضبنتي، و لا عصت لي أمراً، و لقد كنت انظر إليها فتتكشف عني الهموم و الاحزان(12).

و نحن لا نشك في ان العلاقة بين علي و الزهراء كانت كذلك، بل و اعظم و اسمى مما يرويها كتاب السيرة و التاريخ، و ان الكثير من تلك الصور قد ضاعت مع السنين، أو غُيبت عمداً و استبدلت بصور مشوهة و تافهة أساءت لبضعة المصطفى و وصيه المرتضى في محاولة لتهديم بيت النبوة و تشويه صورته الناصعة.

و قد يذهل المتتبع، لسيرة أهل بيت النبوة، و موضع الرسالة، من تلك التفاهات، التي تشتم منها رائحة العداء الاموي و العباسي للزهراء و علي، فمن تلك الدسائس تمنع الزهراء من الزواج بعلي:

اولاً: لسوء خِلقته و عدم جماله!! فيروي أبي عن بعض اصحابه رفعه قال:

كانت فاطمة عليها السلام لا يذكرها أحد لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلا أعرض عنه حتى آيس الناس منها، فلما اراد ان يزوجها من علي أسرَّ إليها فقالت:

يا رسول الله أنت أولى بما ترى غير أن نساء قریش تحدثني عنه انه رجل دحداح البطن، طويل الذراعين، ضخم الكراديس، أنزع، عظيم العينين و الكسنة ضاحك السن لا مال له(13).

و ثانياً: لفقره و قلة ما في يده فعن أبي هريره قال:

قالت فاطمة: يا رسول الله زوجتني علي بن ابي طالب و هو فقير لا مال له.

فقال: يا فاطمة أما ترصين أن الله اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختر منها رجلين: احدهما ابوك و الآخر بعك(14).

و لا يعدنا هؤلاء صوراً للخلافات الزوجية المفتعلة في داخل البيت الطاهر، و غضب الزهراء على اميرالمؤمنين تارة بسبب جارية أدخلها البيت دون إنها فرأتها الزهراء و راس علي في حجرها كما يروون ذلك عن أبي ذر رحمة الله فيقولون على لسانه انه قال:

كنت انا و جعفر بن ابي طالب مهاجرين إلى بلاد الحبشة فأهديت لجعفر جارية قيمتها أربعة آلاف درهم فلما قدمنا المدينة أهداها لعلي عليه السلام تخدمه فجعلها علي في منزل فاطمة.

فدخلت فاطمة عليها السلام يوماً فنظرت إلى رأس علي عليه السلام في حجر الجارية فقالت: يا أباالحسن فعلتها. فقال: لا والله يا بنت محمد ما فعلت شيئاً فما الذي تريدان؟ قالت: تأذن لي في المصير إلى منزل أبي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. فقال لها: قد اذنت لك...(15).

و غاب عن هؤلاء ان اباذر لم يكن ممن هاجر إلى الحبشة.

و تارة لأن علياً عليه السلام خطب بنت ابي جهل على ما يروي البخاري في باب اصهار النبي صلى الله عليه و آله و سلم باسناده عن المسور قال: ان علياً خطب بنت ابي جهل فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقالت: يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك و هذا علي ناكح بنت ابي جهل. فقام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فسمعت حين تشهد يقول: اما بعد انكحت اباالعاص بن الربيع فحدثني و صدقتني و ان فاطمة بضعة مني و اني اكره ان يسونها، والله لا تجتمع بنت رسول الله و بنت عدو الله عند رجل واحد. فترك علي الخطبة.

و اخرى لخلافات غير معروفة كما يروي ذلك ابوهريرة فيقول: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الفجر ثم قام بوجهه كنيب و قمنا معه حتى صار إلى منزل فاطمة عليها السلام فابصر علياً نانماً بين يدي الباب على الذفعاء، فجلس النبي صلى الله عليه و آله و سلم فجعل يمسح التراب، ثم أخذ بيده و دخلا منزل فاطمة فمكتنا هنيهة، ثم سمعنا ضحكاً عالياً؟! ثم خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بوجه مشرق، فقلنا: يا رسول الله دخلت بوجه كنيب و خرجت بخلافه، فقال: كيف لا افرح و قد أصلحت بين اثنتين أحب أهل الأرض إلى أهل السماء(16).

و الذي يروه الهيثمي في مجمعه غير ذلك اذ يروي عن ابن عباس أنه قال: لما آخى النبي صلى الله عليه و آله و سلم بين اصحابه من المهاجرين و الانصار فلم يواخ بين علي بن أبي طالب عليه السلام و بين احدٍ منهم خرج مغضباً حتى اتى جدولاً فتوسد ذراعيه- إلى أن قال- فقال له: ما صلحت أن تكون الآ ابا تراب، اغضبت عليّ حين آخيت بين المهاجرين و الانصار، و لم اواخ بينك و بين احد منهم؟ أما ترضى أن تكن مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه ليس بعدى نبي؟ ألا من احبك حف بالأمن و الايمان، و من ابغضك أماته الله ميتة جاهليه و حوسب بعمله في الاسلام(17).

ثم أن هناك ظاهرة غريبة تتسم بها الروايات و النصوص التي تتحدث عن شؤون البيت العلوي و ما فيه من خلافات!! و هي ان الرواي المباشر رجل يروي مباشرة عن فاطمة الزهراء، و لم يبين لنا ابوهريرة أو غيره كيف تسنى لهم الحصول على أدق التفاصيل عن الخلافات بين علي و الزهراء.

و مهما يكن من امر فان هذه النصوص يجب انتخضع في عمليه التقييم إلى امرين:

الامر الاول: أن علياً و الزهراء معصومان فلا يمكن ان يصدر منهما ما يمس هذا المقام الرفيع المقدس.

و الامر الثاني: انهما يجسدان اعلى متسويات القيم و الاخلاق الاسلاميه، فهما القدوه و الحجه في قولهما و فعلهما، و لا يمكن أن يخالفا ما يدعوان الناس اليه.

فكل نص من هذه النصوص خالف روح التقييم المنطقي و الصحيح لخط مدرسة أهل البيت الاخلاقية يجب أن نتحفظ تجاهه.

قال ابن بابويه رحمه الله و هو يتحدث عن هذه النصوص:

هذا غير معتمد لانهما منزهان أن يحتاجا أن يصلح بينهما رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم(18).

و يقول الامام الصادق عليه السلام مندا بمحاولات التشويه و التضليل:

«أن رضا الناس لا يملك، و السنتم لا تضبط، و كيف تسلمون مما لم يسلم منه انبياء الله و رسله و حجج الله.

الم ينسبوا يوسف عليه السلام إلى أنه هم بالزنا...

الم ينسبوا سيد الاوصاء إلى أنه اراد أن يتزوج ابنه أبي جهل على فاطمة عليها السلام، و أن رسول الله شكاه على المنبر على

المسلمين فقال: أن علياً يريد أن يتزوج ابنه عدو الله على ابنة نبي الله، الا أن فاطمة بعضة مني فمن آذاها فقد آذاني، و من سرها

فقد سرنى، و من غاضها فقد غاظني»(19).

الزهراء في عبادتها

و اكتب الزهرا عليها السلام مسيرة الرسالة، و عاشت أجواء الوحي و النبوة، و رات النبي الاكرم صلى الله عليه و آله و سلم و هو

يجسد أروع صور الانقطاع إلى الله عز و جل، لا في محرابه فقط، بل و في كل شؤون حياته، الصغيرة منها و الخطيرة.

و كان حظ الزهرا عليها السلام في مدرسه النبوة الا وفر، كيف لا و هي العارفة بالله تعالى، المحدثه المختارة التي جعل الله رضاها

من رضاها، و سخطها من سخطه.

و مهما قلنا في عبادتها و طاعتها لله و اخلاصها له فلن نفي لها ببعض حقها فهي كما وصفها صلى الله عليه و آله و سلم:

«كانت اذا قامت في محرابها زهر نورها لاهل السماء كما يزهر نور الكواكب لاهل الأرض».

و ما ذلك إلا بسبب انقطاعها و لله و اخلاصها له.

و وصفها لنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال:

«يا سلمان إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها و جوارحها إيماناً إلى مشاشها(20) تفرغت لطاعة الله...».

و ما أجمل تعبير الحسن البصري حيث يقول:

«ما كان في هذه الامة أعبد من فاطمة عليها السلام كانت تقوم حتى تورم قدمها»(21).

و مع ذلك فان ما يميز تلك العبادة، الطابع الاجتماعي لها بالرغم من كونها فردية و خاصة، فلما اعظم الفرق بين عابد يريد بعبادته نفسه فقط، و بين عابد يريد بعبادته نفع الآخرين قبل نفسه، مؤثراً اخوانه المومنين على نفسه في الدعاء و التضرع إلى الله عز و جل. و هذه هي سيرة أهل البيت عليهم السلام العطاء العام و ايثار الناس على انفسهم حتى في هذه المجالات.

يروى ابن أبي عمير عن زيد النرسي قال:

كنت مع معاوية بن وهب في الموقف و هو يدعو، فتفقدت دعائه فما رأيته يدعو لنفسه بحرف، و رأيته يدعو لرجل رجل من الآفاق، و يسميهم و يسمي آبائهم حتى فاض الناس.

فقلت له: يا عم لقد رايت منك عجباً.

قال: و ما الذي أعجبك مما رأيته؟

قلت: إيثارك اخوانك على نفسك في مثل هذا الموضع، و تفقدك رجلاً رجلاً.

فقال لي: لا تعجب من هذا يا ابن أخي فاني سمعت مولاي و مولاك و مولى كل مؤمن و مؤمنة، و كان والله سيد من مضى و سيد من بقى بعد آبائه عليهم الصلاة و السلام، و الآصمنا أننا معاوية و عميتا عيناه، و لا نالته شفاعة محمد صلى الله عليه و آله و سلم أن لم اكن سمعته منه و هو يقول:

من دعا لأخيه في ظهر الغيب ناداه ملك من السماء الدنيا يا عبدالله و لك مائة الف ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء الثانية يا عبدالله و لك مائتا الف ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء الثالثة يا عبدالله و لك ثلاثمائة ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء الرابعة يا عبدالله و لك اربعمائة الف ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء الخامسة يا عبدالله و لك خمسمائة الف ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء السادسة يا عبدالله و لك ستمائة الف ضعف مما دعوت، و ناداه ملك من السماء السابعة يا عبدالله و لك سبعمائة الف ضعف مما سألت، ثم يناديه الله تبارك و تعالى انا الغني الذي لا افتقر يا عبدالله لك الف الف ضعف مما دعوت.

فأبي الخطين كبر يا ابن أخي ما اخترته انا لنفسي أو ما تأمرني به»(22).

هذه هي الروح الحقيقية التي أراد الله عز و جل أن تتسم بها العبادة النموذجية في اسمى صورها.

و كانت الزهراء و هي ام الأنمة قد جسدت هذا النموذج في اجلى صورته، فكانت تقوم الليل في محرابها، راعه ساجده تدعو للمومنين و المؤمنات.

فعلن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال:

«رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راعه ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، و سمعتها تدعو للمومنين و المؤمنات و تسميهم و تكثر الدعاء لهم، و لا تدعو لنفسها بشيء.

فقلت لها: يا اماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟

فقلت: يا بني الجار ثم الدار»(23).

و عن الامام موسى بن جعفر عن ابيه عن آبائه عليهم السلام قال:

كانت فاطمة عليها السلام إذا دعت تدعو للمؤمنين و المؤمنات و لا تدعو لنفسها، فقيل لها: يا بنت رسول الله انك تدعين للناس و لا تدعين لنفسك؟

فقال: الجار ثم الدار»(24).

و كانت سلام الله عليها، و هي شجنة ممن وصفه ربه بأنه كان بالمؤمنين رحيماً، قد جسدت هذه الرحمة ليس للاحياء من المؤمنين فقط، بل و لمن قضاوا نحبهم من المؤمنين و المسلمين و الشهداء و الصالحين، و من هؤلاء سيد الشهداء و بطل الاسلام حمزة بن عبدالمطلب الذي كانت تذهب لزيارته غداة كل سبت كما جاء عن الامام الصادق صلى الله عليه و آله أنه قال:

«إن فاطمة كانت تأتي قبور الشهداء في لكلّ غداة سبت، فتأتي قبر حمزة و تترحم عليه و تسفر له»(25).

وفي ختام هذا الموضوع اقول أن ما يؤسف له، أن التاريخ حرم الأمة، من تسجيل ما كان يجب ان نعرفه عن عبادة الزهراء، فلا يجد الباحث الا مقاطع قليلة، و هي و ان كانت عظيمة و معبرة و كاشفة عما كانت عليه البتول، من تبجر في ذات الله و إخلاص له ولكنها لا تعكس الحقيقة بشمولية تامه، فلقد كانت اعظم من كل ما ذكر، كيف لا وهي التي اذا قامت في محرابها زهر نورها لاهل السماء كما تزهر الكواكب لاهل الأرض كما يقول المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم.

صدق لهجتها

قالت أم المؤمنين عائشة و قد ذكرت فاطمة:

«ما رأيت أصدق منها إلا أباه».

و كيف لا تكون كذلك و هي بنت المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم و ربيبة النبوة، و حليمة أمام الصادقين علي بن أبي طالب عليه السلام.

و من المؤكد ان الزهراء عليها السلام ليست بحاجة إلى شهادة أحد عن (صدق لهجتها أو عبادتها أو غير ذلك) بعد أن قرّن الله عز و جل رضاه برضاها و سخطه بسخطها، و ما كان سبحانه ليفعل ذلك لولا ما وصلت إليه الزهراء من كمال تام في إخلاص العبادة و الطاعة لله تعالى.

فقد سال بزل الهروي الحسين بن روح رحمه الله فقال:

كم بنات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

فقال: اربع.

قال: ايتهن أفضل؟

فقال: فاطمة.

قال: و لم صارت أفضل و كانت أصغرهن سناً و أقلهن صحبة لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

قال: لخصلتين خصهما الله بهما، إنها ورثت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و نسل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم منها، و لم يخصها بذلك إلا بفضل إخلاص عرفه من نيتها»(26).

و ما يهمنا في هذا المجال هو ما تكشف عنه شهادة عائشة إذ انها تؤكد على مبدأ عظيم جاءت به الاديان السماوية جميعاً، و هو مصداقية الصادقين و تأثيرهم الكبير على القلوب و العقول في عملية التغيير الفردي و الاجتماعي. فبالرغم مما هو معروف تاريخياً

من عدم انسجام عائشة أم المؤمنين مع سيده نساء العالمين من ناحية، و بينها و بين سيد المتقين علي عليه السلام من ناحية اخرى، نجد عائشة سواء في زمن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أو بعد وفاته و وفاة الزهراء تشهد بما كان لهما من فضل و ايمان يفوق المستويات المعروفة للصحابة فعن كتاب أبي اسحاق الثعلبي عن جميع بن عمير عن عمته قالت:

«سألت عائشة من كان أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

فقلت: فاطمة.

قلت: انما اسألك عن الرجال؟

قالت: زوجها، و ما يمنعه فوالله أن كان ما علمت صوأمأ قوأمأ»(27).

و في جامع الترمذي، و إبانة العكبري، و أخبار فاطمة عن أبي علي الصولي، و تاريخ خراسان عن السلامي مسنداً: أن جميعاً التيمي قال:

دخلت مع عمتي على عائشة فقالت لها عمتي:

ما حملك على الخروج على علي؟

فقلت عائشة: دعينا، و فوالله ما كان أحد من الرجال أحب إلى رسول الله من علي، و لا من النساء أحب إليه من فاطمة»(28).

و لم تمنع حاله عدم الانسجام الروحي من أن تشهد عائشة مراراً و تكراراً أنها لم ترأ صدق لهجة من الزهراء.

يروى عبدالله بن الزبير عن ابيه عن عائشة انها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه و آله و سلم قالت:

ما رايت احدا كان اصدق لهجة منها الا أن يكون الذي ولدها»(29).

و تقول عائشة كما في الحلية لابي نعيم، و مسند أبي يعلى:

(ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة غير ابيها»(30).

و وقع خلاف بين فاطمة و عائشة فلم تلجأ عائشة إلى شهود أو يمين و إنما لجأت

الى فاطمة نفهسا لاثبات دعواها عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقالت له:

(يا رسول الله سلها فاهنا لا تكذب)

و قالت عنها كذلك:

(ما رأيت أحداً كان اشبه سمناً برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من فاطمة»(31) و تقول عائشة كذلك:

(ما رايت من الناس أحداً اشبه كلاماً و حديثاً برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من فاطمة...»(32).

الصبر و المواساة

عاشت الزهراء عليها السلام الحقبة الزمنية القاسية من تاريخ الاسلام، حقبة الفقر و العسر و المعانات و الشدة. و لم تكن هذه الحالة خاصة باحد بل عمّت جميع المسلمين فلم يكن من اليسير أن يتوفر لكل بيت أو فرد طعام يوم من زاد بسيط يسدّر مقهم. و سجل التاريخ صوراً لا تكاد تصدق لما كان يعاناه المسلمون من ضنك العيش و قلته ما في اليد.

و الذي يظهر من النصوص المختلفه أن معانات البيت النبوي كانت مضاعفة، اولاً: للوضع الاقتصادي العام الذي كان يعيشه المسلمون و هم جزء منه. و ثانياً: للموضع القيادي الذي كان يمثلته، فالنبي القدوة صلى الله عليه و آله و سلم كان يؤثر غيره حتى بلقمة العيش البسيطة (و يؤثرون على انفسهم و لو كان بهم خصاصة»(33).

و يشهد لذلك أيضاً ما روي عن سبب نزول سورة الدهر، و التي عكست صورة عن الوضع الاقتصادي الصعب، و معانات أهل بيت النبوة الطاهر الشديدة من ذلك،

و اثارهم لغيرهم من المسلمين، مما جعلهم بلا طعا يسد رمقهم ثلاثة ايام نذروا صومها لله تعالى في القصة المعروفة التي بسببها نزلت سورة الدهر.

و قد نالت الزهراء قسطاً وافراً من تلك المعانات، يروي جابر بن عبدالله الانصاري قال:

خرج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يريد فاطمة عليها السلام و انا معه، فلما انتهينا إلى الباب وضع يده فدفعه ثم قال: السلام عليكم.

فقلت فاطمة: عليك السلام يا رسول الله.

قال: ادخل؟

قالت: ادخل يا رسول الله.

قال: ادخل انا و من معي؟

فقلت: يا رسول الله ليس على قناع.

فقال: يا فاطمة خذي فضل ملحفتك فقتعي به رأسك. ففعلت ثم قال: السلام عليكم.

فقلت: و عليك السلام يا رسول الله.

قال: ادخل؟

قالت: نعم ادخل يا رسول الله.

قال: انا و من معي؟

قالت: أنت و من معك.

قال جابر: فدخل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و دخلت انا و اذا وجه فاطمة أصفر كأنه بطن جرادة.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مالي ارى وجهك أصفر؟

قالت: يا رسول الله (الجوع)(34).

و كيف لا يكون وجهها كذلك و هي التي تقول: يا بني الجار قبل الدار، موثرة الناس بدعائها و طعامها على نفسها.

لقد ربي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ابنته الطاهرة على ابسط الوان العيش، و الاقتصار على الحد الأدنى من ضروريات الحياة، و الابتعاد عن كل الوان الترف- إذا صح التعبير- و مواسة الطبقة الفقيرة من المسلمين. يروي ابن شاهين في مناقب فاطمة، و احمد في مسند الانصار باسنادهما عن أبي هريره و ثوبان انهما قالوا:

كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم يبدأ في سفره بفاطمة و يختم بها، فجعلت وقتاً ستراً من كساء خيبرية لقدم أبيها و زوجها فلما رآه النبي صلى الله عليه و آله و سلم تجاوز عنها و قد عُرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر، فنزعت فلالدها و قرطبيها و مسكتيها و نزعت الستر فبعثت به إلى أبيها و قالت: اجعل هذا في سبيل الله، فلما أتاه قال صلى الله عليه و آله و سلم:

قد فعلت فداها ابوها- ثلاث مرات- مالآل محمد و للندنيا فانهم خلفوا للآخرة و خلقت الدنيا لهم (35)

و عن الامام علي بن الحسين عليه السلام انه قال:

حدثتني اسماء بنت عميس قالت: كنت عند فاطمة عليها السلام إذ دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و في عنقها قلادة من ذهب كان اشتراها لها علي بن أبي طالب عليه السلام من في ء فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة لا يقول- الناس- إن فاطمة بنت محمد تلبس لباس الجبابرة.

فقطعتها و باعته و اشترت بها رقبة فاعتقتها. فسرّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (36).

أنّ الزهراء لم تفعل مكروها، فالقلادة اشتراها علي من مال له كان نصيبه من في ء، و له أن يتصرف به كيف شاء. و ما أحلّ الله الذهب إلا للنساء و لكن

فرزيناها باجمال زينه على مدى الزمن حين قال: فدها ابوها صلى الله و سلم عليه و عليها.

الزهراء في علمها

و تميزت شخصية الزهراء عليها السلام بالعلم و المعرفة الشاملة، و الاحاطة بكل صنوفهما، و تجرت في علوم الاسلام تبحراً دقيقاً، و شكل لها ذلك شخصية علمية استثنائية.

و يبدو انها تلقت المعرفة عن اكثر من طريق نذكر منها:

الطريق الاول: عرفت الزهراء عليها السلام بانها (المُحدّثَة) اذ كانت الملائكة تحدّثها، و لم تذكر النصوص حدود ذلك، و انواع العلوم التي تصلها عن هذا الطريق، و لعلّ السبب هو عدم قدرة الناس على استيعاب و فهم هذا الاسلوب من التلقي المعرفي المستند إلى الغيب.

الطريق الثاني: التلقي العام فيما تسمعه من أبيها صلى الله عليه وآله وسلم أو بعلمها عليه السلام، و هي تشترك في ذلك مع بقية المسلمين، و تختلف عنهم في قدرتها على الاستيعاب الشامل الدقيق لما يقولون و يقصدون.

الطريق الثالث: و هو التلقي الخاص المروي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فعن الامام الصادق عليه السلام كما في كتاب بصائر الدرجات قال عليه السلام: و خلفت فاطمة مصحفاً، ما هو قرآن ولكنه كلام من كلام الله انزله عليها، املاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و خط علي عليه السلام.

و عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك اني اريد أن اسألك عن مسألة هاهنا أحد يسمع كلامي، قال: فرفع ابو عبدالله عليه السلام ستر بينه و بين بيت آخر فاضطلع فيه، ثم قال: يا ابا محمد سل عما بدالك قال: قلت جعلت فداك أن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم علياً عليه السلام باباً يفتح له الف باب.

فقال: يا ابا محمد علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً ألف باب يفتح من كل باب باب.

و عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك اني اريد أن اسألك عن مسألة هاهنا أحد يسمع كلامي، قال: فرفع ابو عبدالله عليه السلام سرت بينه و بين بيت آخر فاضطلع فيه، ثم قال: يا ابا محمد سل عما بدا لك قال: قلت جعلت فداك أن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم علياً عليه السلام باباً يفتح له الف باب.

فقال: يا ابا محمد علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً ألف باب يفتح من كل باب باب.

فقلت: هذا والله العلم. فنكت ساعه في الأرض ثم قال: أنه لعلم و ما هو بذلك.

ثم قال: يا ابا محمد و أن عندنا الجامعة و ما يدرهم ما الجامعة!

قلت: جعلت فداك و ما الجامعة؟

قال: صحيفة ظلها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ملانه من فلق فيه، و خط علي عليه السلام بيمينه، فيها كل حلال و حرام، و كل شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرش في الخدش، و ضرب بيده إليّ و قال: تأذن لي يا أبا محمد؟ فقلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت. فغمزني بيده و قال: حتى ارش هذا، كأنه مغضب.

قلت: هذا والله العلم.

قال: أنه لعلم و ليس بذلك.

ثم قال: و أن عندنا الجفر، و ما يدرهم ما الجفر؟

فقلت: و ما الجفر؟

قال: و عاء من آدم، فيه علم النبيين و الوصيين، و العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل.

فقلت: أن هذا هو العلم.

قال عليه السلام: أنه لعلم و ليس بذلك. ثم سكت ساعه ثم قال: و أن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام و ما يدرهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟

قال: فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.

فقلت: هذا والله العلم.

قال: أنه لعلم و ما هو بذلك.

ثم سكت ساعه ثم قال:

ان عندنا علم ما كان و علم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

فقلت: جعلت فداك هذا والله هو العلم.

قال: أنه لعلم و ليس بذلك.

قلت: جعلت فداك فأبي شيء هو العلم؟

قال: ما يحدث بالليل و النهار الامر بعد الامر، و الشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة(37).

وعلى ضوء رؤيتنا العقائدية لمنزلة أهل البيت عليهم السلام، و مكانتهم في الاسلام، التي تتمثل بمهمة القيام بأمر الامامة و الخلافة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و ترسيخ قواعد الاسلام إلى يوم القيامة، كان من الضروري امتلاكهم معرفه شاملة للاسلام بكل ابعاده، و احاطة تامة بكل امور الحياة الحاضرة و المستقبلية. فليس عجباً أن تكون تفاصيل جميع تلك الامور معروفة لهم، و مسجلة عندهم، فيما يسمى بمصحف فاطمة عليها السلام، أو الجفر، أو الجامعة، خاصة بعد التأكيد على انها ليست قرآناً، و إنما هي كلام لله عز و جل باملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كتابة علي عليه السلام.

و عن هذا الطريق و غيره تلقت الزهراء عليها السلام معارف اسلامية غير محدودة في جميع مجالات المعرفة و منها الدينية، فكات العارفة بالله عز و جل، العبادة له حق عبادة، الخاشعة له في كل حالاتها (إنما يخشى الله من عباده العلماء).

أما من يخالفنا في بعض رؤيتنا العقائدية من اخواننا أهل السنة فعلهم في هذا المورد على الاقل أن يوافقونا، بناءً على ما رواه ابوبكر من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: انا معاشر الانبياء لا نورث ذهاباً و لا فضة و لا ارضاً و لا عقاراً و لا داراً و

لكننا نورث الايمان و الحكمة و العلم و السنة) و في بعض الروايات (و النبوة) إذ لا بد من أن نفترض

أن يكون الرسول قد ترك للزهراء علماً و حكمة و ايماناً و سنة تختلف عما هو موجود و معروف لدى المسلمين لترثه منه بدلاً عن الدار و العقار و امثالهما ليتحقق معنى الارث و لو بادنى مراتبه من الأب إلى ولده، و ليكون في الوقت نفسه معنى معقولاً لرواية انا معاشر الانبياء لا نورث.

و لا معنى للقول بانها تراث ما تركه صلى الله عليه و آله و سلم من ايمان و حكمة و معارف عامة معروفة لها و للمسلمين، اذ لا يكون ذلك عوضاً أو خصوصية لها عن الأثر المادي، و سيكون حال المسلمين أفضل منها، لانهم سيرثون آباءهم زانداً العلم و الحكمة التي تركها صلى الله عليه و آله و سلم لعامتهم، و هي عليها السلام تراث فقط الامور المعنوية العامة المشتركة معهم، فهل كان صلى الله عليه و آله و سلم بصدد معاقبتها، أو توريثها ما هو أعظم و اكرم من المال؟

هذه المامات سريعة عن خصال وسجايا الصديقة الكبرى و كان الواجب أن نقف عندها بشكل تفصيلي و واسع- لولا خوف الاطالة- لتتعرف على سيرتها و سجاياها، و نستمد منها الدروس الاخلاقية و الروحية فهي القدوة التي يجب أن يقتدى بها.



1 - بحار الانوار ج 43:111.

2 - بحار الانوار ج 43:111.

3 - بحار الانوار ج 43:119.

4 - بحار الانوار ج 43:104.

5 - بحار الانوار ج 43:117.

6 - مجلت يداها، أي تخن جلدتها في العمل بالاشياء الصلبة.

7 - بحار الانوار ج 43:82، صحيح أبي داوود ج 33 في باب التسبيح عند النوم طبع المطبعة الكسلبية.

8 - بحار الانوار ج 43:86، و كنز العمال ج 6 ص 295.

9 - البحار ج 43:85.

10 - بحار الانوار ج 43:81.

11 - بحار الانوار ج 43:31.

12 - بحار الانوار ج 43:134.

13 - بحار الانوار ج 43:99.

14 - بحار الانوار ج 43:139.

15 - بحار الانوار ج 43:147.

16 - بحار الانوار ج 43:146.

17 - مجمع الهيئى ج 9:111، كنز العمال ج 6:154.

18 - بحار الانوار ج 43:42.

19 - آمالي الصدوق، المجلس 22.

- 20 - المشاش هي رؤوس العظام اللينة.
- 21 - عن بيت الاحزان، لقمى:22 و بحار الانوار ج 43:84.
- 22 - عده الداعي لابن فهد الحلبي:171.
- 23 - بحار الانوار ج 43:81.
- 24 - بحار الانوار ج 43:82.
- 25 - بحار الانوار ج 43:90.
- 26 - بحار الانوار ج 43:37.
- 27 - بحار الانوار ج 43:53.
- 28 - بحار الانوار ج 43:38.
- 29 - بحار الانوار ج 43:68.
- 30 - بحار الانوار ج 43:84.
- 31 - صحيح الترمذي ج 5 ص 700 باب فضل فاطمة.
- 32 - بحار الانوار ج 43:25.
- 33 - سورة الحشر:9.
- 34 - بحار الانوار ج 43:62، و قريب منه في حلية الاولياء ج 2 ص 42.
- 35 - بحار الانوار ج 43:86.
- 36 - بحار الانوار ج 43:81.
- 37 - بيت الاحزان للقمي:17.

مكانة الزهراء في الاسلام

استفاضت الروايات التي تتحدث عن موقع الزهراء في الاسلام، و مكانتها و منزلتها عندالله و رسوله.

و ليس من اليسير احصاء كل تلك الروايات و النصوص لكثرتها و تعدد مصادرها، بل نجد مولفات مستقلة و فصول كثيرة من كتب الرواية و المناقب خصصت للزهراء و تحدثت عن مناقبها و فضائلها و مكانتها عندالله تعالى، و عن حب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لها، و وصفها بانها سيدة من سادات نساء الجنة، أو انها سيدة نساء الدنيا و الآخرة و امثال ذلك.

و لا ينكر احد ما لاهل البيت من مكانه عندالله تعالى بعد أن نصّ القرآن الكريم على ذلك، فهذه آية المبالهه (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا و ابناءكم و نساءنا و نساءكم و انفسنا و انفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين) (1).

فقد اجمع المفسرون انها نزلت في النبي و على و فاطمة و الحسن و الحسين. فقد اخرج الدار قطنى أن علياً يوم الشورى احتج على اهلها فقال:

اتشدكم الله هل فيكم احد جعله الله نفس النبي، و ابناءه ابناءه، و نساءه نساءه غيرى؟
قالوا: اللهم لا.

و هذه آية التطهير:

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهرا)(2).

التي نزلت في أهل الكساء و التي منهم الزهراء.

و هذه آية الموده:

(قل لا اسالكم عليه اجرا الا الموده في القربى)(3) التي نزلت في على و فاطمة و الحسن و الحسين.

الى غير ذلك من الايات الكريمة التي نزلت بحقهم و التي كانت تتلى في كل بيت و مكان من المدينة.

و كان للزهراء عليهاالسلام بالذات اهتمام خاص من قبل ابيها صلى الله عليه و آله و سلم جسديته تعبيرات خاصة، كشفت عن اهميتها عليهاالسلام و مكانتها الكبرى عندالله و رسوله، و هذه النصوص في الوقت الذي تؤكد فيه على مكانه الزهراء الكبرى في الدنيا و الآخرة، ترسم لنا الخطوط العامة لدورها في مسير الاسلام الخالده.

و لنقف على نماذج من تلك النصوص، تلتى رجحنا أن تكون من مصادر ابناء السنه مهما امكن، لأن مدرسه أهل البيت تومن بمضمون تلك الروايات إما نصا في بعض الاحيان، و أما مضمونا في احيان اخرى. هذا بغض النظر عن اسانيدھا و طرق روايتها لانها متواتره معنى. و يمكن تقسيمها إلى طوائف ثلاثة حسب مضمونها و موضوعها.

الطائفة الاولى

و هي مجموعه من الروايات التي تؤكد على أنّ الزهراء عليهاالسلام من افضل نساء الجنة، أو انها خير نساء العالمين، أو انها خير نساء الدنيا و الحنه مطلقا، فمن تلك الروايات:

اولا- انها عليهاالسلام من افضل نساء أهل الجنة، يروى احمد في مسنده قال:

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

افضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد، و آسيا بنت مزاحم امراه فرعون، و مريم بنت عمران(4).

ثانيا- انها خير نساء العالمين على ما اخرج ابو داود بالاسناد إلى انس قال:

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

خير نساء العالمين اربع، مريم بنت عمران، و آسيا بنت مزاحم، و خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد).

ثالثا- قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، و خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد، و آسيا امراه فرعون(5) .

رابعا- ما اخرجه ابن عبدالبر في ترجمتها من الاستيعاب أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم عاها و هي مريضه فقال:

كيف تجدنيك يا بنيه؟

قالت: انى لوجعه و أنه ليزيدنى انى مالى طعام اكله.

قال: يا بنيه أما ترضين انك سيده نساء العالمين؟

قالت: يا ابه فاين مريم بنت عمران؟

قال: تلك سيده نساء عالمها، و انت سيده نساء عالمك، أما والله لقد زوجتك سيدها في الدنيا و الاخره).

خامسا- ما اخرجه الترمذى و النسائى و ابن حبان كما في الفصل الثالث من الباب (11) من الصواعق المحرقة لابن حجر عن

حذيفة أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال له: أما

رايت العارض الذي عرض لى قبل ذلك، هو ملك لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة، استاذن ربه عزوجل ان يسلم على و

يبشرنى ان الحسن و الحسن سيدها شباب أهل الجنة، و ان فاطمة سيده نساء أهل الجنة).

لا حظ روايات (ان فاطمة عليها السلام سيده النساء و افضلهن) في صحيح البخارى في كتاب الخلق، و مسند احمد ج 6 ص 282،

و طبقات ابن سعد ج 2 ص 40 ، و اسد الغابه ج 5 ص 522، و صحيح الترمذى ج 2 ص 306، و مستدرک الصحيحين ج 3

ص 151. و غير ذلك كثير.

و نلاحظ ان هذه النصوص تؤكد على مكانه دينيه خاصه لسيدتنا فاطمة الزهراء فهب بحسب هذه النصوص- سيده من سيدات

الدنيا، و سيده من سيدات أهل الجنة، و هن اربعة كما جاء في النصوص المتقدمه، خديجه بنت خويلد، و مريم بنت عمران، و اسيا

بنت مزاحم، و فاطمة بنت رسول الله.

و يذهب اتباع مدرسه أهل البيت انها افضل نساء العالمين، و نساء أهل الحنه مستندين إلى ادله شرعيه قطعيه، و قد شاركهم

هذا الاعتقاد بعض علماء السنه كالعلامه النبهانى في كتابه- الشرف الموبد- حيث قال:

و صرح بافضليتها على سائر النساء حتى على سيده مريم كثير من العلماء و المحققين منهم التقى السبكى و الجلال السيوطى،

و الدر الزركشى، و التقى المقرئى.

قال: و عبارته السبكى حين سنل عن ذلك:

الذي نختاره و ندين به ان فاطمة بنت محمد افضل.

قال: و سنل عن مثل ذلك ابن ابى داود فقال:

ان رسول الله قال: فاطمة بضعة منى. و لا اعدل ببضعة رسول الله احد).

الطائفة الثانية

و هي نماذج من الاحاديث التي تصعد الاهتمام بالزهراء من مرحله الاشاده و التبجيل إلى اعتبارها معلما خطيرا من معالم الايمان و الاسلام و ذلك لان هذه

النصوص ساوت بينها و بين الرسول في بعض الخصائص بحيث يكون ايذائها ايذاء له، و اغضابها اغضاب له. فمن تلك الروايات:
اولا- ما اخرجه البخارى و مسلم في صحيحيهما عن المسور قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول على المنبر:

فاطمه بضعة منى يوذني ما آذاها و يرييني ما رابها).

ثانيا- البخارى بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: فاطمة بضعة منى يغضبني ما يغضبها).

ثالثا- ما اخرجه الامام احمد بن حنبل عن ابى هريره قال:

نظر النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلى على و الحسن و الحسين و فاطمة فقال:

انا حرب لمن حاربكم و سلم لمن سالمكم).

رابعا- البخارى عن المسور بن مخزومه ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال:

فاطمه بضعة منى فمن اغضبها اغضبني).

و بالامكان مراجعه مصادر الروايات التي تضمنت هذا المعنى في صحيح البخارى في كتاب بدا الخلق، كنز العمال ج 6 ص 220، فيض القدير ج 4 ص 421، صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابه، و صحيح الترمذى ج 2 ص 319، و مستدرک الصحيحين ج 3 ص 159، و مسند احمد ج 4 ص 5، و حليه الاولياء ص 149، و مسند احمد ج 4 ص 5، و حليه الاولياء ج 2 ص 40، و الصواعق المحرقة ص 107، و غيرها كثير.

فالزهراء- بحسب هذه النصوص- تمثل حاله تخص الرسول نفسه، و قد نص القرآن على حرمة ايذاء الرسول أو اغضابه فقال عز من قائل:

(و الذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم)(6) .

(ان الذين يوذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا و الآخرة)(7).

وما ينبغى الالتفات إليه هنا هو تعبير النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن الزهراء باته بضعة منه، و هو امر معلوم لا يشك فيه احد، و لا يحتاج إلى تأكيد، فكل بنت هي بضعة من ابيها من ناحيه الخلقه و التكوين و لكن هل كان مراد الرسول من قوله (فاطمه بضعة منى)(8) الجانب التكويني، أو اراد ان يقول انها بضعة من الشخصيه النبويه لابيها صلى الله عليه و آله و سلم؟ لا نفهم من ذلك الا الثاني لان النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان بصدد بيان اهميه الزهراء من ناحيه ترتب الآثار، في حاله رضاها و سخطها، و انه ايذاء أو ارضاء للرسول النبي لا الاب فقط، ليدخل ذلك في نطاق قوله تعالى (ان الذين يوذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا و الآخرة) و غيرها من الايات. و لا يوجد نص في الكتاب و السنه يعتبر ايذاء ابناء و بنات الانبياء ايذاء لابائهم بمستوى اكثر من الحكم الشرعى العام الا بخصوص الزهراء و حسينها فانه يدخل في نطاق الاحكام الخاصه المشدده.

الطائفه الثالثه

و هي الطائفه التي تصعد من قضيه الاهتمام بالزهراء إلى درجه خطيره جدا اذ تعتبر ان ايذاء الزهراء أو اغضابها، ايذاء و اغضاب لذات الله عز و جل من دون واسطه، فمن تلك الروايات:

اولا- عن علي عليه السلام قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمه:

ان الله يغضب لغضبك و يرضى لرضاك(9).

ثانيا- عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمه سلام الله عليها:

ان الرب يغضب لغضبك و يرضى لرضاك(10).

ثالثا: عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

يا فاطمة ان الله عز و جل يغضب لغضبك و يرضى لرضاك(11).

هذا بعض ما رواه علماء السنه في كتبهم الروانيه و صحاحهم المعتمره بشأن سيدتنا الزهراء.

اما ما رواه علماء الشيعة عن النبي و انمه اهل البيت عليهم السلام فهو كثير جدا يتطابق- كما قلنا- في احيان كثيره نضا أو روحا

مع ما جاء في صحاح اهل السنه، و ما اثبتناه منها تقتضيه طبيعه البحث و هو جزء يسير مما جاء بشأن الصديقه الكبرى.

و نحن هنا ليس بصدد البرهنه على مكانه الزهراء بلسان روائى أو مناقبى، فان ذلك من البديهيات المعروفه لدى جميع المسلمين،

و انما بصدد ايجاد تفسير منطقى لتلك الروايات ينسجم مع ما نعرف من هدفية المشرع الحكيم.

التفسيرات المحتمل:

هناك احتمالات ثلاثه تفسر لنا اهتمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابنته الطاهره فاطمة الزهراء و الاحتمالات هي:

الاحتمال الاول:

ان هذا الاهتمام مجرد لهو و عبث، و عمليه غير هادفه، و لا مقصوده، و انما هو لهو و عبث لمجرد اللهو و العبث.

و هذا الاحتمال لا يستحق البحث، لاننا لو احتملناه فانه سيرد على كل نص دينى صدر من النبي في امور الاسلام التشريعيه و

العقائديه الاخرى، باعتباره صلى الله عليه وآله وسلم المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن.

و قد اجمع المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم معصوم من الخطاء و العبث و اللهو بنص القرآن قال عز و جل:

(و ما ينطق عن لهوى ان هو الا وحى يوحى)(12).

(و ما اتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا)(13).

و على هذا الاساس يكون من المستحيل ان يصدر ذلك منه صلى الله عليه وآله وسلم بهذا المعنى.

الاحتمال الثانى:

ان يكون ذلك بهدف عاطفى بحت، لمجرد ان فاطمة ابنته و بضعه منه، و المحببه اليه. أو لما امتازت به من صفات و كمالات

روحيه استحققت بسببها التكريم و التبجيل. و لم يصدر ما صدر بحقها استنادا إلى نفس الاسس و الملاكات الشرعيه التي يستند

إليها المشرع الحكيم في تشريعاته الاخرى.

و هذا التفسير كذلك ليس منطقيًا، و لا ينسجم مع طبيعه المشرع الحكيم. فلو اراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يشبع

عاطفته كاب تجاه ابنته، أو لما امتازت به من كمالات نفسيه، أو خصال اخلاقيه عظيمه، فان الاكثر منطقيه و فائده ان يحقق لها

ذلك من خلال اعطاءها امتيازات ماديه و معنويه تحقق لها مكاسب شخصيه دنيويه، من دون الحاجه إلى ربط ذلك بسخط الله و

رضاه. فماذا يمكن ان تستفيد الزهراء شخصيا من مثل (ان الله يغضب لغضبها، أو يرضى لرضاها) و امثال ذلك من النصوص، هل

كان الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى ان ذلك يحقق لها مكسبا ماديا أو دنيويا و هو يعلم انها اول اهل بيته لحوقا به؟

لقد كان بإمكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يكرم ابنته بمركز قيادي كبير، أو مسوولييه دينيه تشريعيه و امثال ذلك. و هذا ما لم يحدث على الصعيد العملي، فالزهراء حتى على ضوء اعتقاد الشيعة لم يمنحها ابوها مركزا قياديا.

و بقيت في حياتها زوجة لعلي عليه السلام و ربه لبيته، و لم تمارس دورا قياديا و لا تشريعيًا.

كما كان بإمكانه صلى الله عليه وآله وسلم ان يمنحها امتيازات ماديه كبيره كما يفعل الملوك و السلاطين مع ابناءهم استجابة لرغبه عاطفيه و غريزيه، من دون حاجه إلى تلك النصوص التي ليس لها مردودات ماديه، و من دون الحاجه إلى ربط ذلك بالسماء.

نعم منح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنته الزهراء فدكا، و مهما قالوا عن فدك فاننا لم نجد نصا حتى باتى مراتب الوثاقه و الاعتبار اشار إلى انعكاس المردود المادى على حياه الزهراء من فدك، التي كانت تعتبر من اخصب الاراضى الزراعيه ذات المردود المادى الكبير. فالزهراء كانت بزهدها و تقشفها و عزوفها عن الدنيا تمثل حاله واحده قبل فدك و بعدها.

و هذا يدل ايضا على ان منح النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدكا للزهراء كان ضمن التخطيط النبوى الحكيم، اذ اراد بها ان تكون حلقة في عمليه تثبيت خط الإمامة التي ستقودها الزهراء بعد وفاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و سلاحا لابعاد اشخاص، أو تكتلات سياسيه عن الحكم. و ظهر ذلك بوضوح بعد اقصاء الإمام علي عليه السلام عن الخلافة فقامت الزهراء تحتج بفدك منتهجه اسلوبا خاصا يثبت عدم اهتمام (القياده) بتعاليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم و تشريعاته، و سيأتى تفصيل ذلك ان شاء الله.

و قد تجلى ذلك بوضوح من تذبذب القاده في امر فدك بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتاره توخذ منها على اساس ان النبي قال: انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقه، و هو ما وقع من ابى بكر، و تاره تعطى لورثتها كما فعل عمر بن الخطاب، ثم توخذ في زمن عثمان مره اخرى و هكذا، و هذا يكشف عن عمق ما تعنيه فدك في تلك المرحله من الصراع فحاولوا باسلوب- اجتهادى- ابطال ورقه فدك التي كانت الزهراء تقارع بها الخلافة التي رفعت شعاران النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث، يقول ابن ابي الحديد:

(سالت على بن الفارقي مدرس المدرسه الغريبه ببغداد فقلت له:

اكانت فاطمة صادقته؟

قال: نعم.

قلت: فلمَ لم يدفع إليها ابوبكر فدك و هي عنده صادقته؟ فتبسم، ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه و حرمته و قله دعابته قال: لو اعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجات إليه غدا و ادعت لزوجها الخلافة، و زحزحته عن مقامه، و لم يكن يمكنه الاعتذار و الموافقه على شيء، لانه يكون قد اسجل على نفسه انها صادقته فيما تدعى كاننا ما كان من غير حاجه إلى بينه و لا شهود. و هذا كلا صحيح و ان كان اخرجه مخرج الدعابه و الهزل(14).

و على كل حال فقد كان بوسع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كان هدفه عاطفيا ان يهوى لابنته الأرضيه المناسبه لتوفير حياه ماديه هانئه من خلال الوسائل المتعدده التي اختصه الله تعالى بها من مختلف مصادر الدوله الماديه و الاقصاديه.

الاحتمال الثالث:

ان يكون هذا الاهتمام بامر من الله عز و جل لحكمه الالهيه، و مصلحه دينيه، فاختار عز و جل الزهراء لتقوم بخطوه تكمل بها المسيره الميدانيه للنبيه بعد ابيها صلى الله عليه و آله و سلم و تودى مهمه كبيره لا يستطيع احد غيرها ادائها بما في ذلك النص الشرعى (الكتاب و السنه) فكان التخطيط الربانى ان يجعل موثرا ماديا واضح لا يقبل التأويل و لا التشابه يشير إلى الجبهه الصحيحه التي تستحق وراثه النبى في قياده الامه و مسيره الدعوه الاسلاميه، و بناء نظام الحكم و السياسه في الاسلام، فكان هذا الموشر هو الصديق الكبرى فاطمة الزهرا عليها السلام.

هذا الاحتمال هو الذي ينسجم مع طبيعه الامور و الواقع من جانب، و مع النظره

العقائديه للرسول صلى الله عليه و آله و سلم بنص القرآن الكريم.

يقول عز و جل عن رسوله صلى الله عليه و آله و سلم:

(انه لقول رسول كريم ذى قوه عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين و ما صاحبكم بمجنون)(15).

و يقول:

(انه لقول رسول كريم و ما بقول شاعر قليلا ما تؤمنون و لا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين)(16).

و يقول كذلك:

(و ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى)(17).

و قال:

(لو تقول علينا بعض الاقاويل الخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين)(18).

و على اساس هذا المنطق القرآنى لا يمكن ان نفترض ان النبى صلى الله عليه و آله و سلم اهتم بالزهراء- عبثا- أو ان دافعه كان عاطفيا لمجرد العاطفه الغريزيه البحتة، ليتجاوز وظيفه النبوه، و يتقول على ربه بشانها، فجعل رضا الله من رضاها و سخطه من سخطها. لا يقول ذلك مسلم ابدا.

و اذا كان لابد من هدف اسمى و اعلى و هذا الهدف هو: الاعداء الربانى لدور كبير للزهراء تقوم به في مرحله ما بعد النبى صلى الله عليه و آله و سلم.



1 - آل عمران:61.

2 - الاحزاب:33.

3 - بيت الاحزان للقمى:17.

4 - مسند احمد ج 1 ص 293.

5 - اخرجه الترمذى كما في الاربعين للنبهانى ص 220.

6 - التوبه:61.

7 - الاحزاب:75.

8 - البضعه بالفتح القطعه من اللحم، و قد تكسر، اى انها جزء منى كما ان القطعه من اللحم جزء من اللحم. قاله الجزرى.

- 9 - مستدرک الصحیحین ج 3 ص 153.
- 10 - کنز العمال ج 6:219.
- 11 - ذخائر العقبی ص 39.
- 12 - النجم:2-6.
- 13 - الحشر:7.
- 14 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 16:84.
- 15 - التکویر آیه 19-22.
- 16 - سورہ الحاقه الایه 40-43.
- 17 - النجم الایه 2-6.
- 18 - الحاقه الایه 44-47.

خطوات في طريق الاعداد

وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطوات عديدة- اضافة إلى ما تقدم- تمهيدا لتكريس دور الزهراء، و الاعداد لما كان يجب ان تقوم به بعده، في مرحلة من اخطر مراحل المسيره الاسلاميه. و لعل اهم تلك الخطوات مايلي:

اولا: استعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم اهم وسائل الاعلام في ذلك العصر، المتمثل بالمنبر، للتاكيد على اهميه موقع الزهراء، فقد جاءت تعبيرات بعض الرواه في هذا الصدد على هذا النحو: سمعت رسول الله يقول على المنبر.

فمن ذلك ما رواه النسائي عن السمور بن مخرمه قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب على منبره هذا و انا يومئذ محتلم- اى قد بلغ الحلم- فقال:
ان فاطمة بضعة منى(1).

و هذا يعنى ان الاعلان كان عاما لجميع المسلمين، لم يقتصر على محافل نسائيه مثلا، كان يكون في بيته، أو بين ازواجه، أو بين نساء المهاجرين و الانصار.

و نجده صلى الله عليه وآله وسلم ياخذ بيد فاطمة عليها السلام امام الملا فيشيد و يوصى الامه بها، يروى مجاهد فيقول:
(خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم و هو آخذ بيد فاطمة عليها السلام فقال:من عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، و هي بضعة منى، و هي قلبى و روحى التي بين جنبي. فمن آذاها فقد آذانى و من آذانى فقد آذى الله)(2).

ثانيا: جاء في بعض الروايات تعبيرات خاصه تدل على اهميته موقع الزهرا عليها السلام منها مثلا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: فاطمة ام ابىها).

و كلمه الام في اللغه تعنى (الاصل) نظير قوله تعالى عن مكه المعظمه بانها (ام القرى) اى اصل القرى. و المعلوم ان الوالد اصل الولد لا العكس، و المؤكد انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يقصد العكس قطعا لبداهه الامر و وضوحه، و اذا ما الذي يقصده صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك؟

هل اراد ان يقول انها معها النبوه و حضن الإمامة فمنها و بها يمتد الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشخصيته النبويه، فهي عليها السلام اصله في الامتداد لا في اليجاد و يضىف عليها بذلك مسحه من نور النبوه يمكنها من اداء الدور المرتقب لها.
ام انه اراد صلى الله عليه وآله وسلم ان ينزل الزهراء منزله الام من حيث وجوب طاعتها على كل المسلمين من باب الاولويه؟
و لماذا نستعبد ذلك و القرآن شاهد على نظيره بالنسبه لازواج الرسول حيث نزلهن المولى منزله الامهات في قوله تعالى (النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم و ازواجه امهاتهم)(3) و رتب على ذلك بعض الآثار الشرعيه.

و لا معنى للقول بان تفسير (فاطمه ام ابىها) ان الزهراء ملات فراغا عاطفيا عانى منه الرسول ايام طفولته بسبب فقده لامه- رضوان الله عليها- و هو صغير و ذلك لان المولى كفل له كل ما من شأنه بناء شخصيته القياديه فقال عز من قائل (الم يجدرك يتميا فاوى و وجدك ضالا فهدى و وجدك عانلا فاغنى)(4) و رغم ان الرسول بشر (قل انما انا بشر مثلكم يوحي الى)(5) يحمل كل ما في البشر من فطره، و لكن بنفس الوقت نعتقد ان الرسول الذي احتضنته السماء منذ نعومه اظفاره اكبر من ان يشعر بهذه الحاجات و قد قارب الخمسين.

ثالثا: و جاء في لسان بعض الروايات تعبير (فداها ابوها) الذي يدل دلالة واضحه على استعداد الرسول الاكرم للتضحية من اجلها و هو سيد المرسلين اجمعين.

فهل هي نزعه عاطفيه غلبته، و تآثر بموقفها حين نزع القلاده و تصدقت بها على فقراء المسلمين، أو انها عتقت رقبه في سبل الله بمتئها؟ هل يستوجب ذلك ان يفديها ابوها بنفسه؟

ان هذه العبارة و ان جاءت في سياق القصة المعروفه عن القلاده، الا اننا نقطع ان القضييه اكبر من ان تكون علتها هذه القضييه فقط، ذلك ان حجم العبارة اكبر من ان تحصر بهذا المورد.

لقد اراد الرسول ان يقرر للمسلمين- و كان جالسا في المسجد- ان الزهراء التي- فداها ابوها- و الذي هو اظهر روح، و ازكى نفس، و اغلى دم، و هو سيد المرسلين استعد لان يفديها بروحه، فمن باب الاولى ان تقتدى الامه به في هذه القضييه التي نص عليها بنفسه امامهم، و في مكان من اظهر اماكن الأرض، في المسجد النبوي الشريف، و يؤكد للامه: ان التي افديها بروحي تستحق منكم ارواحكم، لان هذا هو معنى الاقتداء بي.

رابعاً: نجد في بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان يقبل يد الزهراء عليها السلام كما رواه ابن شهر آشوب عن الصادقين، و البحار للمجلسي ج 43، و هذا امر غير مالوف و لا متعارف عند العرب و غيرهم، بل المعروف خلافه تماما. و هذا يجعلنا نتساءل عن السر الذي جعل النبوه الخاتمه بكل ما تحمل من عظمه و جلال تتحنى لتقبل يد الزهراء الطاهره.

هل هي عطافه بحتة، ام ظاهره تحمل هدفا عظيما، و سرا مقدسا، قد يكون مستقبل الاسلام مرهونا به.

هل اراد الرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ان يقول لامته: ان هذه اليد التي اقبلها مقدسه و طاهره و لا يمكن ان تمتد أو تطلب ما ليس لها بحق في حياتي و بعد حياتي؟

او انه اراد لهذه القبلات ان تكون شاهد النبوه و السماء على ان هذه اليد اذا

وضعتها صاحببتها على شيء، كانت القبلات شاهدا على ان هذا الحق لها.

خامساً: ورد في نصوص اخرى ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان يقوم اجلالا لها، و احتراماً لمقامها.

و لم نعهد في نص اور روايه ان النبي كان يقوم لازواجه أو اصحابه.

ان هذه الواقعة تجعلنا نومن بان التفسير المنطقي لاهتمام النبي صلى الله عليه و آله و سلم بالزهراء يبتعد في هدفه إلى ما هو اكبر من قضييه عاطفيه، إذ جرت العاده ان القيام تعبير عن اهتمام كبير بتلك الشخصيه يتناسب مع عظمه مقامها.

و في البحار بالاسناد عن عكرمه عن ابن عباس، و عن ابي ثعلبه الخشني، و عن نافع، عن ابن عمر قالوا:

كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم اذا اراد سفرا كان آخر الناس عهدا بفاطمه، و اذا قدم كان اول الناس عهدا بفاطمه. و لو لم يكن لها عندالله تعالى فضل عظيم لم يكن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يفعل معها ذلك، إذ كانت ولده و قد امر الله بتعظيم

الولد للوالد، ولا يجوز ان يفعل معها ذلك، و هو بصد ما امر به امته عن الله تعالى(6).

فما معنى ان يقوم لا بنته غير التاكيد على ان قيام النبوه العظمى لها انما هو قيام لما تمثله الزهراء من دور في مسيره النبوه الكبرى بالاضافه إلى استحقاقها الذاتي للاحترام و التقديس باعتبارها معلما من معالم الاسلام صلوات الله عليها.

سادساً: نرى كذلك ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان لا يدخل دار الزهراء الا مستأذنا ففي روايه عن الامام الصادق عليه السلام قال:

طرق رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم باب فاطمة عليها السلام ذات يوم.

فقال: من الطارق؟

فقال: يا بنيتي رسول الله.

فقلت: اليس البيت بيتك، و البنت بنتك فما المانع من الدخول؟

فقال صلى الله عليه و آله و سلم: ان الله امرنى ان لا ادخل الا باذنك(7).

و عن عبدالرحمن بن عوف قال:

سالت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ذات يوم: اراك بابى و امى تطيل النظر لباب فاطمه؟

فقال صلى الله عليه و آله و سلم: اعلم و كن عاقلا لما اقول: اطيل النظر للباب لما احتوى عى كنوز و اسرار ايسرها الاستاذان، و اعسرها تطيش له العقول(8).

و يروى كذلك عن النبى انه قال لعلي عليه السلام:

لولا انك بعلها لامرتك بما امرنى الله ان لا تدخل خجرتها الا باذن منها، فانها نورانيه السماوات، ملكوتيه الأرض، متظللّه النور(9).

و لا ندرى هل ان النبى صلى الله عليه و آله و سلم كان مضطرا للاستاذان- من الناحيه الشرعيه- لدخول بيت ابنته لتجنب الوقوع

في محذور شرعى، و هل الزهراء احببته عنه، ام ان عليا عليه السلام لا يتشرف بهذه المثاره الكبى في دخول النبى بيته؟

و مهما حاولنا ان نبحث عن مبرر فقهي لقضيه استاذان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لدخول بيت فاطم فلن نصل إلى نتيجة

و ذلك لانه (اولى بالمومنين من انفسهم)(10) أولا، و انه ابو الزهراء و بيتها بيته و هم اهله من دون ريب، فقد روى الترمذى في

صحيحه انه: لما نزلت هذه الايه (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا و ابناءكم و نساءنا و نساءكم و

انفسنا و انفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنه الله على الكاذبين)(11) دعا رسول الله عليا و فاطمة و حسنا و حسينا و قال: (اللهم هولاء

اهلى)(12).

فهل اراد صلى الله عليه و آله و سلم ان يعلم الامه ان بيت الزهراء عليها السلام هو بيت النبوه الذي عناه الحق بقوله (يا ايها الذين

آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم)(13) إضافة إلى الحكم العام في قوله تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا

و تلموا على اهلها)(14).

اضف إلى ذلك ان بيت الزهراء لا ينطبق عليه حكم (غير بيتكم) بالنسبه إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم فهو اولى بالمومنين

من انفسهم، و الزهراء بنته و هو اولى بها، فلماذا يستاذن في دخول بيتها؟ اليس هذا يدل على ان هناك حكمه بالغه وراء تصرف

النبى صلى الله عليه و آله و سلم و استاذانه.

و من الممكن ايضا ان نقول في تفسير ذلك: ان النبى صلى الله عليه و آله و سلم اراد ان يعلم الامه، بما في ذلك مجتمع الصحابه، ان

هذا البيت لا يجوز دخوله دون استاذان حتى للانبيا فضلا عن غيرهم.

و من هذا نستكشف انه صلى الله عليه و آله و سلم كان يعلم ان بيتها سوف تهتك حرمة في يوم ما، فاراد صلى الله عليه و آله و

سلم ان يصونه و يحميه فوقف عند بابه يستاذن اهله المره تلو المره، ليجعله معلما من معالم الايمان و لتعرف الامه من يتبع

الرسول ممن ينقلب على عقبيه.

و كان من جملة الامور التي ندم عليها ابوبكر قبل موته كشفه لبيت فاطمة عليها السلام مما يدل على ارتكاز هذا المفهوم في ذهنه،

و سيأتى الحديث عن ذلك فيما بعد.

هذه بعض الخطوات التي خطاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طريق الاعداد لدور الزهراء عليها السلام المرتقب في مهمه تثبيت اركان و اساس الإمامة بصيغتها العمليه التنفيذيه.

ان هذا الموضوع يستحق بحثا اعمق و اشمل مما تقدم لاستكشاف الحكمة النبويه في جميع خطوات اعداد الأرضيه لتثبيت خط الإمامة من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم و التي قادتها الزهراء صلوات الله و سلامه عليها، اذ هناك الثير ما يجب ان يبحث و هو يستحق قدرا اكبر من الاستقصاء و الدقه.

طبيعته الموضوع و خصوصيه الزهراء «الخلافة و نظام الحكم»

من الموكد ان اى رساله أو نظام يعتما في مساله استمراره و بقاءه على جملة مقومات اساسيه و ما من شك ان موضوع (الحاكم و طبيعته نظام الحكم و شكله) من اهم تلك المقومات.

و السؤال هنا: هل حدد النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظام الحكم و شكله و طبيعته؟

و هل هذا النظام هو نظام الشورى. و اذا كان كذلك فما هى اساس هذا النظام؟ و كيف يطبق و من المسؤول عن تطبيقه؟ و هل يقصد بالشورى تحكيم راي الاكثريه على الاقليه، ام ان الشورى يراد بها مدارس الامور و القضايا الاساسيه و يكون البت فيها لجهة اخرى؟ ام هى شورى أهل العقد لا شورى الامه؟

ام ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اختار نظام الإمامة فنصب عليا عليه السلام وليا على الامه بعده و اوكل إليه تنظيم تفاصيل ذلك، و ترسيخ نظام الحكم الذي هو بطبيعته يحتاج إلى فتره زمينه طويله من الممارسته العمليه الصحيحه، و تربيته الامه على تفهم تلك الممارسه و استيعابها، و تحديد اتجاه صحيح لها في مجال ممارستها لها؟

و نحن من البدايه نقول و على ضوء طبيعته هذا البحث، و قناعتنا العقائديه، ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصب عليا عليه السلام خليفه بعده، و سخر لاجل تحقيق هذا الهدف كل

الوسائل الممكنه، سواء كانت على مستوى النص، أو الممارسه العمليه القريبه من الممارسه الفعليه للحكم في زمن النبي و في حياته(15).

و لا يعنى ذلك اننا نرفض مبدا الشورى من الاساس و انما الكلام في ان الشورى هل هى نظام الحكم في الاسلام، ام هى مفرده من مفردات النظام، و على اساس الفرض الثاني يقوم هذا البحث بعد ان ثبت بالنصوص القطعيه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظريا- على الاقل- نص على أمير المؤمنين علي عليه السلام خليفه بعده، و هى في الوقت نفسه الصديقه الزهراء لتمارس دورا خاصا لا يستطيع غيرها ادائه، بعد ان استنفذ الوسائل الاخرى المألوفه في مجال التشريع، و اهمها النص- الكتاب و السنه- الذي قد يفرغ من محتواه من خلال التاويل أو التفسير أو التخصيص بالخبر كما حصل في آيه الارث التبي خصصت ب(نحن معاشر الانبياء لا نورث)، و التي على اساسها حرمت الزهراء من ارثها، و امثال ذلك كثير. فاراد صلى الله عليه وآله وسلم ان يجعل موشرا ماديا محسوسا لا يخضع لتلك المورثات، و المتمثل بابنته فاطمة الزهراء، ليحدد الاتجاه الصحيح لمسيره الخلافة، و تحديد شخصيه الخلفيه و تعيينها.

و هذه المهمه من اصعب المهم على الاطلاق لسعه الفارق بين النظرية و التطبيق، و البون الشاسع بينهما، و صعوبه تحدى الواقع الاجتماعى المخالف للنظريه، و الذي عبر عنه القرآن الكريم في قول الحق (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)(16).

فان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على صعيد الواقع قد ابلى رساله بكل جوانبها العقائديه و التشريعيه، و الايه الكريمه نزلت في اواخر حياته- في حجه الوداع- فما هو الامر الذي لم يبلغ غير تعيين الخليفه، و الذي ثم الاپلاغ به في قضيه الغدير المعروفه التي اعقبها نزول قوله تعالى(اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا)(17).

اما على الصعيد العملى فان تطبيق ذلك- اى استخلاف النبى لعلى- ليس بالامر الهين اليسير، و لا يكفى مجرد الاپلاغ للالتزام الامه به، و لا يمكن من الناحيه العمليه ان يترك النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذا الامر من دون اتخاذ احتياطات عمليه في طريق اعداد الأرضيه المناسبه للخليفه المرتقب.

و قبل ان ندخل في التفاصيل لندع هذه الرويه جانباً و نبحت بموضوعيه و تجرد، و بعيداً عن النصوص الشرعيه، و واقع المسيره الاسلاميه بعد وفاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم مباشره و ما اكتنف ذلك من احداث، و نتعرف من خلال رويه موضوعيه و منطقيه على ما يمكن ان يكون عليه موقف الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم من مستقبل الاسلام من بعده هل تركه لمهب الرياح لتبدد تلك الجهود الجباره و لتضحيات الهائله التي بذلها هو واثله الطاهره من اصحابه في سبيل ارساء صرح الاسلام و تثبيت قواعده، ام انه صلى الله عليه وآله وسلم خطط لمستقبل الاسلام و حدد معالم المسيره من بعده و بذل كل ما عنده لتكريس الرويه الربانيه لما يجب ان يكون عليه الوضع من بعده، و لم يرحل الا بعد ان انجز تلك المهمه (اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا)(18).

منطلقين من ذلك إلى التعرف على دور الزهرا عليها السلام و طبيعه مهمتها.

لقد ناقش هذه القضيه الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضى الله عنه نقاضاً عقلياً موضوعياً في كتابه القيم (بحث حول الولايه) و حصر الاحتمالات الممكنه لما كان يمكن ان يقول به الرسول لمعالجه هذه القضيه و بحثها على ضوء العقل و الواقع و استخلص من ذلك النتجيه المنطقيه التي تنسجم مع عظمه الدين و قائد الاسلام العظيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان احرص البشر جميعاً على مستقبل الاسلام و الامه الاسلاميه.

ان من اهم فقرات هذا الكتاب هو البحث عن موقف النبى صلى الله عليه وآله وسلم من مستقبل الدعوه الاسلاميه بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، هل حدد طبيعه نظام الحكم و شكله السياسى؟ و هل اوصى لاحد من بعده ام لا؟ و لم اجد اروع مما كتبه الامام الشهيد الصدر رضى الله عنه في كتابه اليم (بحث حول الولايه) فاحببت ان استفيد من بحثه مومناً ان احدا لا يستطيع ان ياتى بمثل ما اتى به، فعليه رضوان الله و جعل روحه مع اجداده الكرام في الجنان. لخص الامام الشهيد الصدر الرق التي كان بإمكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نهجها بثلاثه:

الطريق السلبي

اولها: الطريق السلبي، و ذلك بان يقف صلى الله عليه وآله وسلم من مستقبل الدعوه موقفاً سلبياً، و يكتفى بممارسه دوره قياده الدعوه و توجيهها فتره حياته و يترك مستقبلها للظروف و الصدق.

و يرى رضى الله عنه ان هذه السلبيه لا يمكن افتراضها في النبى صلى الله عليه وآله وسلم لانها انا تنشأ من احد امريين كلاهما لا ينطبق عليها.

الامر الاول: هو ان نفترض انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتقد ان الهمال و السلبيه لا تؤثر على مستقبل الدعوه الاسلاميه.

و الامر الثاني هو ان نفترض انه صلى الله عليه و آله و سلم كان ينظر إلى الدعوة نظره مصلحيه فلا يهتمه الا ان يحافظ عليها ما دام حيا ليستفيد منها، و يستمتع بمكاسبها، و لا يعنى بحمايه مستقبلها بعد وفاته.

اما الامر الاول فناقشه بان هذا الاعتقاد لا مبرر له من الواقع اطلاقا، بل ان طبيعه الاشياء كانت تدل على خلافه، لان الدعوة- بحكم كونها عملا تغيير انقلابيا في بدايته، يستهدف بناء امه، و استئصال كل جذور الجاهليه منها- تتعرض لأكبر الاخطار اذا خلت الساحة من قائدها دون اى تخطيط فهناك:

اولا- الاخطار التي تتبع عن طبيعه مواجهه الفراغ دون اى تخطيط مسبق، و عن الضروره الاتيه لاتخاذ موقف مرتجل في ظل الصدمه العظيمه بفقد النبي فان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم اذا ترك الساحة دون تخطيط لمصير الدعوة فسوف تواجه الامه و لأول مره مسووليها التصرف بدون قائدها تجاه اخطر مشاكل الدعوه، و هي لا تمتلك اى مفهوم سابق بهذا الصدد. و سوف يتطلب منها الموقف تصرفا سريعا انيا على رغم خطوره المشكله، لان الفراغ لا يمكن ان يستمر، و سوف يكون هذا التصرف السريع في لحظه الصدمه التي تمنى بها الامه و هي تشعر بفقدائها لقائدها الكبير، هذه الصدمه التي تززع بطبيعتها سير التفكير، و تبعث على الاضطراب حتى انها جعلت صحابيا معروفا يعلن- بفعل الصدمه- ان النبي لم يموت و لن يموت فقد قال عمر بن الخطاب:

من قال ان محمدا مات قتلته بسيفي هذا و انا رفع إلى السماء(19).

نعم سيكون مثل هذا التصرف محفوفا بالخطر غير محمود العواقب.

ثانيا: و هناك الاخطار التي تنجم عن عدم النضج الرسالي بدرجه تضمن للنبي- سلفا- موضوعيه التصرف الذي سوف يقع، و انسجامه مع الاطار الرسالي للدعوه، و تغلبه على التناقضات الكامنه التي كانت لا تزال تعيش في زوايا نفوس المسلمين على اساس الانقسام إلى مهاجرين و انصار، أو قریش و سائر العرب، أو مكه و المدينه.

ثالثا: هناك الاخطار التي تنشأ لوجود القطاع المتستر بالاسلام، والذي كان يكيد له في حياه النبي صلى الله عليه و آله و سلم باستمرار، و هو القطاع الذي كان يسميه القرآن بالمنافقين. و اذا اضفنا إليهم عددا كبيرا ممن اسلم بعد الفتح استسلاما للامر الواقع لا انفتاحا على الحقيقه، نستطيع حينئذ ان نقدر الخطر الذي يمكن لهذه العناصر ان تولده، و هي تجد فرصه لنشاط واسع في فراغ كبير مع خلو الساحة من رعايه القائد.

فلم تكن اذا خطوره الموقف بعد وفاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم شيئا يمكن ان يخفى على اى قائد مارس العمل العقائدي فضلا عن خاتم الانبياء.

و اذا كان ابوبكر لم يشا ان يترك الساحة دون ان يتدخل تدخلا ايجابيا في ضمان مستقبل الحكم بحجه الاحتياط للامر، و اذا كان الناس قد هرعوا إلى عمر حين ضرب قائلين: يا اميرالمومنين لو عهدت عهدا. و كل ذلك خوفا من الفراغ الذي سوف يخلفه الخليفه بالرغم من التركيز السياسى و الاجتماعى الذي كانت الدعوه قد بلغت بعد عقد من وفاه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم. و اذا كان عمر قد اوصى إلى سته تجاوبا مع شعور الاخرين بالخطر. و اذا كان عمر يدرك- بعمق- خطوره الموقف في يوم السفيفه، و ما كان بالامكان ان تودى إليه خلفه ابى بكر بشكلها المرتجل من مضاعفات اذ يقول: «ان بيعه ابى بكر كانت فلتته غير ان الله وقي شرها».

و اذا كان ابوبكر نفسه يعتذر عن تسرعه إلى قبول الحكم، و تحمل المسؤوليات الكبيره، بانه شعر بخطوره الموقف و ضروره الاقدام السريع على حل ما اذ يقول -

و قد عوتب على قبول السلطه- ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قبض و الناس حديثو عهد بالجاهليه فخشيت ان يفتنوا و ان اصحابي حملونيها».

و اذا كان كل ذلك صحيحا فمن البديهي اذن ان يكون راند الدعوه و نبيا اكثر شعورا بخطر السلبيه، و اكبر ادراكا و اعماق فهما لطبيعه الموقف و متطلبات العمل التغييرى الذي يمارسه في امه حديثه عهد بالجاهليه على حد تعبير ابى بكر».

الامر الثاني:

ان الامر الثاني الذي يمكن ان يفسر سلبيه القائد تجاه مستقبل الدعوه و مصيرها بعد وفاته، انه على رغم شعوره بخطر هذا الموقف لا يحاول تحصين الدعوه ضد ذلك الخطر، لانه ينظر إلى الدعوه نظره مصلحيه فلا يهمله الا ان يحافظ عليها ما دام حيا ليستفيد منها، و يستمتع بمكاسبها، و لا يعنى بحمايه مستقبلها بعد وفاته.

و هذا التفسير لا يمكن ان يصدق على النبي صلى الله عليه و آله و سلم حتى اذا لم نلاحظه بوصفه نبيا و متربطا بالله سبحانه و تعالى في كل ما يرتبط بالساله، و افترضناه قائدا رساليا كقاده الرسالات الاخرى، لان تاريخ القاده الرساليين لا يملك نظيرا للقائد الرسول محمد صلى الله عليه و آله و سلم في اخلاصه لدعوته و تفانيه فيها، و تضحيتيه من اجلها إلى آخر لحظه من حياته. و كل تاريخه يبرهن على ذلك، فقد كان صلى الله عليه و آله و سلم على فراش الموت و قد ثقل مرضه، و هو يحمل هم معركه كان قد خطط لها، و جهز جيش اسامه لخوضها، فكان يقول: (جهزوا جيش اسامه، انفذوا جيش اسامه، اسلوا بعث اسامه) يكرر ذلك و يعنى عليه بين الحين و الحين.

فاذا كان اهتمام الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بقضيه من قضايا الدعوه يبلغ إلى هذه الدرجه و هو وجود بنفسه على فراش الموت، و لا يمنعه علمه بانه سيموت قبل ان يقطف ثمار تلك المعركه عن تبنيه لها، و ان تكون همه الشاغل و هو يلفظ انفاسه الاخيريه فكيف يمكن ان نتصور ان النبي لا يعيش هموم مستقبل الدعوه، و لا يخطط لسلامتها بعد وفاته صلى الله عليه و آله و سلم من الاخطار المرتقبه؟

و اخيرا فان في سلوك الرسول صلى الله عليه و آله و سلم في مرضه الاخير رقما واحدا يكفى لنفى الطريق الاول، و للتدليل على ان القائد الاعظم نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم كان ابعد ما يكون من فرضيه الموقف السلبى تجاه مستقبل الدعوه لعدم الشعور بالخطر، أو لعدم الاهتمام بشانه، و هذا الرقم اجمعت صحاح المسلمين جميعا- سنه و شيعه- على نقله: و هو ان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لما حضرته الوفاه، و في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال صلى الله عليه و آله و سلم: انتونى بالكف و الدواه اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدًا) فان هذه المحاوله من القائد الكريم المتفق على نقلها و صحتها تدل بكل وضوح على انه كان يفكر في اخطار المستقبل، و يدرك بعمق ضروره التخطيط لتحصين الامه من الانحراف، و حمايه الدعوه من التميع و الانهيار.

فليس اذا من الممكن افتراض الموقف السلبى من النبي صلى الله عليه و آله و سلم بحال من الاحوال».

الطريق الايجابى

و ناقش الامام الشهيد الصدر رضى الله عنه الريق الثاني الذي اسماه بالطريق الايجابى الممثل بالشورى فقال:

ان الطريق الثاني هو ان يخطط الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم لمستقبل الدعوة بعد وفاته، و يتخذ موقفا ايجابيا، فيجعل القيمومه على الدعوة و قياده التجربه للامه ممثله- على اساس نظم الشورى- في جيلها العفاندى الاول الذي يضم مجموع المهاجرين و الانصار. فهذا الجيل للامه هو الذي سيكون قاعده للحكم، و محورا لقياده الدعوة في خط نموها.

بالنسبه لهذا الافتراض يلاحظ هنا: ان طبيعه الاشياء، و الواضع العام الثابت عن الرسول الاكرم و الدعوة و الدعاه يرفض هذه الفرضيه، و ينفى ان يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد انتهج هذا الطريق، و اتجه إلى ربط قياده الدعوة بعده مباشره بالامه ممثله في جيلها الطبيعي من المهاجرين و الانصار إلى اساس نظام الشورى.

و فيما يلي بعض النقاط التي توضح ذلك:

النقطه الاولى: لو كان النبي قد اتخذ من مستقبل الدعوة بعده موقفا ايجابيا يستهدف وضع نظام الشورى موضع التطبيق بعد وفاته مباشره، و اسناد زعامه الدعوة إلى قياده التي تنبثق عن هذا النظام لكان من ابداه الاشياء التي يتطلبها هذا الموقف الايجابى ان يقوم الرسول القائد بعملية توعيه للامه و الدعاه على نظام الشورى و حدوده و تفاصيله، و اعطانه طابعا دينيا مقدسا، و اعداد المجتمع الاسلامى اعداد فكريا و روحيا لتقبل هذا النظام، و هو مجتمع نشا من مجموعه من العشائر لم تكن قد عاشت قبل الاسلام وضعا سياسيا على اساس الشورى، و انما كانت تعيش في الغالب وضع زعامات قبليه و عشائريه تتحكم فيها القوه و الثروه و عامل الوراثة إلى حد كبير.

و نستطيع بسهولة ان ندرک ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يمارس عملية التوعيه على نظام الشورى و تفاصيله التشريعيه و مفاهيمه الفكرية، لان هذه العملية لو كانت قد انجزت لكن من الطبيعي ان تنعكس و تنجسد في الاحاديث الماثوره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و في ذهنيه الامه، أو على الاقل في ذهنيه الجيل الطبيعي منها الذي يضم المهاجرين و الانصار بوصفه هو المكلف بتطبيق نظام الشورى، مع اننا لا نجد في الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اى صورته تشريعيه محدده لنظام الشورى.

و اما ذهنيه الامه، أو ذهنيه الجيل الطبيعي منها فلا نجد فيها اى ملامح أو انعكاسات محدده لتوعيه من ذلك القبيل. فان هذا الجيل كان يحتوى على اتجاهين:

احدهما- الاتجاه الذي يتزعمه أهل البيت.

و الاخر- الاتجاه الذي تمثله السقيفه و الخلافة التي قامت فعلا بعد وفاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فاما الاتجاه الاول: فمن الواضح انه كان يومن بالوصايه و الإمامة، و يؤكد على القرابه، و لم ينعكس منه الايمان بفكره الشورى. و اما الاتجاه الثاني: فكل الارقام و الشواهد في حياته و تطبيقه العملى تدل بصوره لا تقبل الشك على انه لم يكن يومن بالشورى، و لم يبين ممارسته الفعلية على اساسها، و الشيء نفسه نجده في سائر قطاعات ذلك الجيل الذي عاصر وفاه الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم من المسلمين.

و نلاحظ بهذا الصدد للتأكد من ذلك ان ابا بكر حينما اشتدت به العله عهد إلى عمر بن الخطاب، فأمر عثمان ان يكتب عهده و كتب:

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به ابوبكر خليفه رسول الله إلى المومنين والمسلمين.

سلام عليكم، فانى احمد الله اليكم اما بعد: فانى استعملت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا و اطيعوا).

و دخل على عبد الرحمن فقال:

كيف اصبحت يا خليفه رسول الله؟

فقال: اصبحت موليا، و قد زدتموني على ما بي اذ رايتموني استعملت رجلا منكم، فكلكم قد اصبح ورما انفه، و كل يطلبها لنفسه).
و واضح من هذا الاستخلاف و هذا الاستنكار للمعارضه ان الخليفه لم يكن يفكر بعقليه نظام الشورى، و انه كان يرى من حقه تعيين الخليفه، و ان هذا التعيين يفرض على المسلمين الطاعه، و لهذا امرهم بالسمع والطاعه. فليس هو مجرد ترشيح أو تنبيه، بل هو الزام و نصب.

و نلاحظ ايضا ان عمر راي هو الاخر ايضا ان من حقه فرض الخليفه على المسلمين، ففرضه في نطاق سته اشخاص، و أو كل امر التعيين إلى السنه انفسهم دون ان يجعل لسائر المسلمين اى دور حقيقى في الانتخاب(20) و هذا يعنى ان عقليه نظام الشورى لم تتمثل في طريقه الاستخلاف التي انتهجها عمر، كما لم تتمثل من قبل في الطريقه التي سلكها الخليفه الاول.
و قد قال عمر- حين طلب منه الناس الاستخلاف (لو ادركنى احد رجلين فجعلت هذا الامر إليه لوثقت به، سالم مولى ابى حذيفه، و ابى عبيده بن الجراح، و لو كان سالم حيا ما جعلتها شورى).

و قد قال ابوبكر لعبد الرحمن بن عوف و هو يناجيه على فراش الموت: (وددت ان سألت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لمن هذا الامر فلا ينازعه احد).

و حينما تجمع الانصار في السقيفه لتامير سعد بن عباة قال منهم قائل:

ان ابت مهاجره قريش فقالوا نحن المهاجرون و نحن عشيرته و اولياؤه، فقالت طائفه منهم اذن نقول منا امر و منكم امير و لن نرضى بدون هذا منهم ابا).

و حينما خطب ابوبكر فيهم قال:

(كنا معاشر المسلمين المهاجرين اول الناس اسلاما، و الناس لنا في ذلك تبع، نحن عشيره رسول الله، و اوسط العرب انسابا).

و حينما اقترح الانصار ان تكون الخلافة دوريه بين المهاجرين و الانصار رد ابوبكر قائلا:

(ان رسول الله لما بعث عظم على العرب ان يتركوا دين آباؤهم فخالفوه و شاقوه، و خص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه... هم اول من عبد الله في الأرض، و هم اولياؤه و عترته، و احق الناس بالامر بعده، لا ينازعههم فيه الا ظالم).

و قال الحباب بن المنذر و هو يشجع الانصار على التماسك:

(املكوا عليكم ايديكم انما الناس في فينكم و ظلكم فان ابى هولاء فمننا امير و منهم امير).

و قد رد عليه عمر قائلا:

(هيهات لا يجتمع سيفان في غمد... من ذا يخاصمان في سلطان محمد و ميراثه و نحن اولياؤه و عشيرته الا مدل بباطل، و أو متجانف لاثم، أو متورط في هلكه(21) ان الطريقه التي مارسها الخليفه الاول و الخليفه الثاني للاستخلاف، و عدم استنكار عامه المسلمين لتلك الطريقه، و الروح التي سادت على منطق الجناحين المتنافسين من الجيل الطليعى، المهاجرين و الانصار يوم السقيفه، و الاتجاه الواضح الذي بدا لدى المهاجرين نحو تقرير مبدا انحصار السلطه بهم، و عدم مشاركته الانصار في الحكم، و التاكيد على المبررات الوراثيه التي تجعل من عشيرته اولى العرب بميراثه. و استعداد كثير من الانصار لتقبل فكره اميرين، احدهما من الانصار و الاخر من المهاجرين، و اعلان ابى بكر الذي فاز بالخلافة في ذلك اليوم عن اسفه لعدم السؤال من النبى عن صاحب الامر. كل ذلك يوضح بدرجة لا تقبل الشك ان هذا لجيل الطليعى من الامه الاسلاميه بما فيه القطاع الذي تسلم الحكم بعد وفاه النبى

لم يكن يفكر بذهنيه الشورى، و لم يكن يملك فكره محدد عن هذا النظام، فكيف يمكن ان نتصور ان النبى صلى الله عليه و آله و سلم قد مارس عمليه توعيه على نظام الشورى تشريعا و فكريا، و اعد جيل المهاجرين و الاصحاح لتسلم قياده الدعوه بعده على اساس هذا النظام لتسلم قياده الدعوه بعده على اساس هذا النظام، ثم لا نجد لدى هذا الجيل تطبيقا واعيا لهذا النظام أو مفهوما محددًا عنه؟

كما اننا لا يمكن ان نتصور- من ناحيه اخرى- ان الرسول القائد يضع هذا النظام، و يحدده تشريعا و مفهوما ثم لا يقوم بتوعيه المسلمين عليه و تثقيفهم به.

و هكذا يبرهن ما تقدم على ان النبى صلى الله عليه و آله و سلم لم يكن طرح الشورى كنظام بديل على الامه، اذ ليس من الممكن عاده ان تطرح بالدرجه التي تتناسب مع اهميتها ثم تختفى اختفاء كاملا عن الجميع و عن كل الاتجاهات.

و مما يوضح هذه الحقيقه بدرجه اكبر ان نلاحظ:

اولا: ان نظام الشورى كان نظاما جديدا بطبيعته على تلك البينه التي لم تكن قد مارست قبل النبوه اى نظام مكتمل للحكم، فكان لا بد من توعيه مكثفه و مركزه عليه كما اوضحنا ذلك.

ثانيا: ان الشورى كفكره مفهوم غائم لا يكفى طرحه هكذا لامكان وضعه موضع التنفيذ ما لم تشرح تفاصيله و موازينه و مقاييس التفضيل عند اختلاف الشورى، و هل تقوم هذه المقاييس على اساس العدد و الكم، أو على اساس الكيف و الخبره؟ الى غير ذلك مما يحدد لفكره معالمها و يجعلها صالحه للتطبيق فور وفاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

ثالثا: ان الشورى تعبر في الحقيقه عن ممارسه للامه- بشكل أو آخر- للسلطه عن طريق التشاور و تقرير مصير الحكم. فهى مسؤليه تتعلق بعدد كبير من الناس هم كل الذين تشملهم الشورى، و هذا يعنى انها لو كانت حكما شرعيا يجب وضعه موضع التنفيذ عقيب وفاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم لكان لا بد من طرحه على اكبر عدد من اولئك الناس لان موقفهم من الشورى ايجابى، و كل منهم يتحمل قسطا من المسؤليه.

و كل هذه النقاط تبرهن على ان النبى صلى الله عليه و آله و سلم في حال تبنيه لنظام الشورى كبدل له بعد وفاته يتحتم عليه ان يطرح فكره الشورى على نطاق واسع و بعمق و باعداد نفسى عام، و ملء لكل الثغرات، و ابراز لكل التفاصيل التي تجعل الفكره عمليه، و طرح للفكره على هذا المستوى كما و كيفا و عمقا، لا يمكن ان يمارسه الرسول الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم ثم تنطس معالمه لدى جميع المسلمين الذين عاصروه الى حين وفاته صلوات الله عليه.

و قد يفترض ان النبى صلى الله عليه و آله و سلم كان قد طرح فكره الشوره بالصوره اللازمه، و بالحجم الذي يتطلبه الموقف كما و كيفا و استوعبها المسلمون، غير ان الدوافع السياسيه استيقظت فجاه و حجب الحقيقه و فرضت على الناس كتمان ما سمعوه من النبى فيما يتصل بالشورى و احكامها و تفاصيلها.

غير ان هذا الافتراض ليس عمليا، لان تلك الدوافع مهما قيل عنها فهى لا تشمل المسلمين الاعتياديين من الصحابه الذين لم يساهموا في الاحداث السياسيه عقب وفاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و لا في بناء هرم السقيفه، و كان موقفهم موقف المترسل، و هولاء يمثلون في كل مجتمع جزاء كبيرا من الناحيه العديده مهما طغى الجانب السياسى عليه.

فلو كانت الشورى مطروحة من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحجم المطلوب لما اختص الاستماع إلى نصوصها بأصحاب تلك الدوافع، بل لسمعها مختلف الناس، و لا نعكست بصوره طبيعیه عن طريق الاعتياديين من الصحابه كما انعكست فعلا النصوص النبويه على فضل الإمام علي عليه السلام و وصايته عن طرق الصحابه انفسهم، فيكف لم تحل الدوافع السياسيه دون ان تصل اليها منات الاحاديث- عن طريق الصحابه- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فضل علي عليه السلام و وصايته و مرجعيته على الرغم من تعارض ذلك مع الاتجاه السائد و قتنذ، ولم يصلنا شيء ملحوظ من ذلك فيما يتصل بفكره الشورى؟ بل حتى اولئك الذين كانوا يمثلون الاتجاه السائد كانوا في كثير من الاحيان يختلفون في المواقف السياسيه و تكون من مصلحه هذا الفريق أو ذاك ان يرفع شعار الشورى ضد الفريق الاخر. و مع ذلك لم نعهد ان فريقا منهم استعمل هذا الشعار كحكم سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا حظوا على سبيل المثال موقف طلحه من تعيين ابي بكر لعمر و استنكاره لذلك و اعلانه السخط على هذا التعيين، فانه لم يفكر- على رغم ذلك- ان يلعب ضد هذا التعيين بورقه الشورى، و يشجب موقف ابي بكر

بانه يخالف ما هو المسموع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الشورى و الانتخاب)

ثم تطرق السيد الشهيد الصدر رضى الله عنه إلى قضيه اساسيه هي قيمومه الصحابه على الدعوه الاسلاميه فهل جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم القيمومه لهم، و هل عنهم لتحمل هذه المسئوليه الكبيره، و اذا كان الامر كذلك فهل هناك نصوص تدعم هذه الاتجاه؟ فاجاب رضى الله عنه.

النقطه الثانيه:

ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كان قد قرر ان يجعل من الجيل الاسلامي الرائد، الذي يضم المهاجرين و الانصار من صحابته قيما على الدعوه بعده و مسوولا عن مواصلة عمليه التغيير، فهذا يحتم على الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم ان يعبى هذا الجيل تعبنا رساليه و فكريه واسع، يستطيع ان يمسك بالنظريه بعمق و يمارس التطبيق في ضونها بوعى، و يضع للمشاكل التي تواجهها الدعوه باستمرار حلولها النابعه من رساله خصوصا اذا لاحظنا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان- و هو الذي بشر بسقوط كسرى و قيصر- يعلم بان الدعوه مقبله على فتوح عظيمه، و ان الامه الاسلاميه سوف تضم إليها في غد قريب شعوبا جديده و مساحه كبيره، و تواجه مسئوليه توعيه تلك الشعوب على الاسلام، و تحصين الامه من اخطار هذا الانفتاح، و تطبيق احكام الشريعه على الراض المفتوحه و على أهل الأرض، بالرغم من ان الجيل الرائد من المسلمين كان انظف الاجيال التي توارثت الدعوه و اكثرها استعدادا للتضحيه. و بالرغم من كل ذلك لا نجد فيه ملامح ذلك الاعداد الخاص للقيومه على الدعوه، و التقيف الواسع العميق على مفاهيمها، و الارقام التي تبرر هذا النفي كثيره لا يمكن استيعابها في هذا المجال.

و يمكننا ان نلاحظ بهذا الصدد ان مجموع ما نقله الصحابه من نصوص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مجال التشريع لا يتجاوز بضع منات من الاحاديث، بينما كان عدد الصحابه يناهز اثني عشر الفا على ما احصته كتب التاريخ. و كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعيش مع الاف من هولاء في بلد واحد و مسجد واحد صباحا و مساء، فهل يمكن ان نجد في هذه الارقام ملامح الاعداد الخاص؟

و المعروف عن الصحابه انهم كانوا يتحاشون من ابتداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسؤال حتى ان احدهم كان ينتظر فرصه مجىء اعرابي من خارج المدينه يسال لسمع الجواب، و كانوا يرون ان من الترف الذي يجب الترفع عنه السؤال عن حكم قضايا لم تقع بعد و من اجل ذلك قال عمر على المنبر:

(اخرج بالله على رجل سال عما لم يكن فان الله قد بين ما هو كائن).

و قال: (لا يحل لاحد ان يسال عما لم يكن ان الله قد قضى فيما هو كائن)(22) و جاء رجل يوما إلى ابن عمر يساله عن شيء فقال له ابن عمر: (لا تسال عما لم يكن فأتى سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سال عما لم يكن)(23) .

و سأل رجل ابى بن كعب عن مساله قال:

يا بنى اكان الذي سالتنى؟

قال: لا.

قال: اما لا فاجلنى حتى يكون)(24)

و قرا عمر يوما القران فانتهى إلى قوله تعالى (فانبتنا فيها حبا و عبا و قضا و زيتونا و نخلا و حدائق غلبا و فاكهه و ابا)(25)

قال: كل هذا عرفناه فما الاب؟ ثم قال: هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك ان لا تدرى ما الاب، اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به، و ما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه).

و هكذا نلاحظ اتجاها لدى الصحابه إلى العزوف عن السؤال الا في حدود المشاكل المحدوده الواقعه.

و هذا الاتجاه هو الذي ادى إلى ضناله عدد النصوص التشريعيه التي نقلوها عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و هو الذي ادى بعد ذلك إلى الاحتياج إلى مصادر اخرى غير الكتاب و السنه كالاستحسان و القياس و غيرهما من الوان الاجتهاد التي يتمثل فيها العنصر الذاتى للمجتهد، الامر الذي ادى إلى تسرب شخصيه الانسان بذوقه و تصوراته الخاصه إلى التشريع، و هذا الاتجاه ابعد ما يكون عن عمليه الاعداد الرسالى الخاص التي كانت تتطلب تثقيفا واسعا لذلك الجيل و توعيه له على حلول الشريعه للمشاكل التي سوف يواجهها عبر قيادته.

و كما امسك الصحابه عن مبادره النبى بالسؤال كذلك امسكوا عن تدوين آثار الرسول الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم و سنته على رغم انها المصدر الثانى من مصادر الاسلام، و ان التدوين كان هو الاسلوب الوحيد للحفاظ عليها و صيانتها من الضياع و التحريف، فقد اخرج الهروى في ذم الكلام عن طريق يحيى بن سعد عن عبدالله بن دينار قال:
(لم يكن الصحابه و لا التابعون يكتبون الاحاديث و انما كانوا يودونها لفظا و ياخذونها حفظا).

بل ان الخليفه الثانى- على ما في طبقات ابن سعد- ظل يفكر في الموقف الافضل تجاه سنه الرسول، و استمر به التفكير شهرا ثم اعلن منعه عن تسجيل شيء من ذلك و بقيت سنه الرسول الاعظم التي هى اهم مصدر للاسلام بعد الكتاب الكريم في ذمه القدر يتحكم فيها النسيان تاره، و التحريف اخرى، و موت الحفاظ ثالثه طيله مانه و خمسين سنه تقريبا.

و يستثنى من ذلك اتجاه أهل البيت فانهم دابوا على التسجيل و التدوين منذ العصر الاول، و قد استفاضت رواياتنا عن ائمه أهل البيت بان عندهم كتابا ضخما مدونا باملاء رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و خط على بن ابى طالب عليه السلام فيه جميع سنن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

فهل ترى بربك ان ذلك الاتجاه الساذج- ان كانت المساله مساله سذاجه- الذي ينفر من السؤال عن واقعه قبل حدوثها و يرفض تسجيل سن النبى صلى الله عليه و آله و سلم بعد صدورهما كفوا لزعامة الرساله الجديده و قيادتها في اهم واصعب مراحل مسرتها الطويله؟.

او هل ترى بربك ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان يترك سنته مبعثره بدون ضبط و تسجيل مع انه يامر بالتمسك بها؟. أو لم يكن من الضروري اذا كان يمهّد لفكره الشورى حقا ان يحدد للشورى دستورها و يضبط سنته لكي تسير الشورى على منهاج ثابت محدد لا تتلاعب به الاهواء؟

ليس التفسير الوحيد المعقول لهذا الموقف من النبى انه كان قد اعد الامام عليا للمرجعيه و زعامه التجربه بعده، و اودعه سنته كامله، و علمه الف باب من العلم.

و قد اثبتت الاحداث بعد و فاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان جيل المهاجرين و الانصار لم يكن اى تعليمات محده عن كثير من المشاكل الكبيره التي كان من المفروض ان تواجهها الدعوه بعد النبى، حتى ان المساحه الهائله من الأرض التي امتد إليها الفتح الاسلامى، لم يكن لدى الخليفه و الوسط الذي يسنده، اى تصور محدد عن حكمها الشرعى، و عما اذا كانت تقسم بين المقاتلين أو تجعل وقفا على المسلمين عموما. فهل يمكننا ان نتصور ان النبى يؤكد للمسلمين انهم سوف يفتحون ارض كسرى و قيصر، و يجعل من جيل المهاجرين و الانصار القيم على الدعوه، و المسوول عن هذا الفتح ثم لا يخبره بالحكم الشرعى الذي يجب ان يطبقه على تلك المساحه الهائله من الدنيا التي سوف يمتد إليها الاسلام؟.

بل اننا نلاحظ اكثر من ذلك: ان الجيل المعاصر للرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يملك تصورات واضحه محده حتى في مجال القضايا الدينيه التي كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يمارسها منات المرات و على مرأى و مسمع من الصحابه. و نذكر على سبيل المثال لذلك الصلاه على الميت فانها عباده كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد مارسها علانيه منات المرات، و اداها في مشهد عام من المشيعين و المصلين و بالرغم من ذلك يبدون ان الحصابه كانوا لا يجدون ضروره معرفه هذه العباده ما دام النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوديتها، و ما داموا يتابعون فيها النبى فصلا بعد فصل. و لهذا وقع الاختلاف بينهم بعد وفاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم في عدد التكبيرات في صلاه الميت فقد اخرج الطحاوى عن ابراهيم قال: قبض رسول الله و الناس مختلفون في التكبير على الجنازه، لا تشاء ان تسمع رجلا يقول سمعت رسول الله يكبر خمسا، و آخر يقول سمعت رسول الله يكبر اربعا، فاختلّفوا في ذلك حتى قبض ابوبكر، فلما ولى عمر و رأى اختلاف الناس في ذلك شق عليه جدا، فارسل إلى رجال من اصحاب رسول الله فقال: انكم معاشر اصحاب رسول الله متى تختلفون على الناس يختلفون من بعدكم، و متى تجتمعون على امر يجتمع الناس عليه فانظروا ما تجتمعون عليه، فكانا ايقظهم فقالوا: نعم ما رايت يا اميرالمؤمنين.

و هكذا نجد ان الصحابه كانوا في حياه النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتكلمون غالبا على شخص النبى صلى الله عليه وآله وسلم و لا يشعرون بضروره الاستيعاب المباشر للاحكام و المفاهيم ما داموا في كنف النبى صلى الله عليه وآله وسلم. و قد تقول ان هذه الصوره التي عرضت عن الصحابه و ما فيها من ارقام على عدم كفائتهم للقياده يتعارض مع ما نؤمن به جميعا من ان التربيه النبويه احرزت درجه هائله من النجاح و حققت جيلا رساليا رائعا.

و الجواب: انا بما قدمناه قد حددنا الصوره الواقعيه لذلك الجيل الواسع الذي عاصر وفاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم دون ان نجد في ذلك ما يتعارض مع التقييم الايجابى بدرجه عاليه للتربيه النبويه التي مارسها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حياته الشريفه، لاننا في نفس الوقت الذي نؤمن فيه بان التربيه النبويه كانت مثلا ربانيا رائعا و بعثا رساليا متميزا في تاريخ العمل النبوى على مر الزمن نجد ان الايمان بذلك و الوصول إلى تقييم حقيقى لمحصل هذه التربيه و نتائجها لا يقوم على اساس ملاحظه النتائج بصوره منفصله عن ظروف التربيه و ملابساتها، و لا على اساس، ملاحظه الكم بصوره منفصله عن الكيف.

ففى مجال تقييم التربيه النبويه يجب ان ناخذ بعين الاعتبار:

اولا: قصر الفتره الزمنيه التي مارس النبي صلى الله عليه و آله و سلم فيها تربيته، لانها لا تتجاوز تقريبا عقدين من الزمن بالنسبه إلى اقدم صحبه، و لا تتجاوز عقدا واحدا من الزمن بالنسبه إلى الكثره الكاثره من الانصار، و لا تتجاوز ثلاث سنوات أو اربع بالنسبه إلى الاعداء الهائله التي دخلت الاسلام ابتداء منذ صلح الحديبيه، و استمرارا إلى حين فتح مكه.

ثانيا: الوضع المسبق الذي كان هولاء يعيشونه من الناحيه الفكرية و الروحية و الدينيه و السلوكيه قبل ان يبدا النبي صلى الله عليه و آله و سلم بممارسه دوره، و ما كانوا عليه من سذاجه و فراغ و عفويه في مختلف مجالات حياتهم.

ثالثا: ما زخرت به تلك الفتره من احداث و الوان الصراع السياسى و العسكرى على جبهات متعدده، الامر الذي ميز طبيعه العلاقه بين الرسول الاعظم و صحابته من نوع العلاقه بين شخص كالسيد المسيح و تلامذته فلم تكن علاقه مدرس و مرب متفرغ لاعداد تلامذته، و انما هى العلاقه التي تتناسب مع موقع الرسول كمرب و قائد حرب و رئيس دوله.

رابعا: ما واجهته الجماعه المسلمه نتيجته احتكاكها باهل الكتاب، و بثقافات دينيه متنوعه من خلال صراعها العفاندى الاجتماعى فقد كان هذا الاحتكاك و ما يطرحه على الساحه خصوم الدعوه الجديده المثقفين بثقافات دينيه سابقه، مصدر قلق و اثاره مستمره. و كلنا نعرف انه شكل بعد ذلك تيارا فكريا اسرانياليا تسرب بصوره عفويه، أو بسوء نيه إلى كثير من مجالات التفكير. و نظره فاحصه في القرآن الكريم تكفى لا اكتشاف حجم المحتوى لفكر الثوره المضاده، و مدى اهتمام الوحي برصدها و مناقشه افكارها.

خامسا: ان الهدف الذي كان يسعى المربى الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم لتحقيقه على المستوى العام، و في تلك المرحله هو ايجاد القاعده الشعبيه الصالحه التي يمكن

لزعامه الرساله الجديده- في حياته أو بعد وفاته- ان تتفاعل معها و تواصل عن طريقها التجربه، و لم يكن الهدف المرحلى و قتنذ تصعيد الامه إلى مستوى هذه الزعامه نفسها بما تتطلبه من فهم كامل للرساله، و تفقه شامل على احكامها، و التحام مطلق مع مفاهيمها و تحديد الهدف في تلك المرحله بالدرجه التي ذكرناها كان امرا منطقيا تفرضه طبيعه العمل التغييرى، اذ ليس من المعقول ان يرسم الهدف الا وفقا لممكناات عمليه، و لا مكان عملى في حاله كالحاله التي واجهها الاسلام الا ضمن الحدود التي ذكرناها، لان الفاصل المعنوى و الروحى و الفكرى و الاجتماعى بين الرساله الجديده و بين الواقع الفاسد القائم و قتنذ كان لا يسمح بالارتفاع بالناس إلى مستوى زعامه هذه الرساله مباشره.

سادسا: ان جزءا كبيرا من الامه التي تركها النبي صلى الله عليه و آله و سلم بوفاته كان يمثل مسلمه الفتح، اى المسلمين الذين دخلوا الاسلام بعد فتح مكه و بعد ان اصحبت الرساله الجديده سيده الموقف في الجزيره العربيه سياسا و عسكريا، و هولاء لم يتح للرسول الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم ان يتفاعل معهم في الفتره القصيره التي اعقبت الفتح الا بقدر ضئيل، و كان جل تفاعله معهم بوصفه حاكما بحكم المرحله التي كانت الدوله الاسلاميه تمر بها.

ففى اطار هذه الامور الستته نجد ان التربيه النبويه انتجبت انتاجا عظيما، و حققت تحولا فريدا، و انشأت جيلا صالحا موهلا لما استهدفه النبي من تكوين قاعده شعبيه صالحه للالتفات حول الزعامه القانده للتجربه الجديده و اسنادها، و لذلك نجد ان ذلك الجيل كان يودى دوره كقاعده شعبيه صالحه مادامت الزعامه القانده الرشيديه كانت قائمه في شخص النبي. و لو قدر لهذه الزعامه ان تاخذ مسارها الربانى لظلت القاعده تودى دورها الصالح، غير ان هذا لا يعنى بحال من الاحوال انها مهياه فعلا لى تتسلم هذه الزعامه، و تقود بنفسها التجربه الجديده، لان هذه لاتهينه تتطلب درجه اكبر من الانصهار الروحى و الايمانى بالرساله، و احاطه

اوسع كثيرا باحكامها و مفاهيمها و وجهات نظرها المختلفه عن الحياه، و تطهيرا اشمل لصفوفها من المنافقين و المندسين و المولفه قلوبهم الذين كانوا لا يزالون يشكلون جزءا من ذلك الجيل له اهميته العديده و مواقعه التاريخيه، كما ان له آثاره السلبيه، بدليل حجم ما تحدث به القران الكريم عن المنافقين و مكائدهم و مواقفهم مع تواجد افراد في ذلك الجيل قد استطاعت التجربه ان تبنيهم بناء رساليا رفيعا و تصهرهم في بوتقتها كسلمان و ابي نر و عمار و غيرهم.

او قل: ان تواجد هؤلاء الافراد ضمن ذلك الجيل الواسع لا يبرهن على ان ذلك الجيل ككل بلغ إلى الدرجه تبرر اسناد مهام التجربه إليه على اساس الشورى، و حتى اولئك الافراد الذين مثلوا النمط الرفيع رساليا من ذلك الجيل لا يوجد في اكثرهم ما يبرر افتراض كفايتهم الرساليه لزعامه التجربه من الناحيه الفكرية و الثقافيه على رغم شدة اخلاصهم، و عمق ولائهم، لان الاسلام ليس نظريه بشريه لكى يتحدد فكريا من خلال الممارسه و التطبيق و تتبلور مفاهيمه عبر التجربه المخلصه، و انما هو رساله الله التي حددت فيها الاحكام و المفاهيم و زودت ربانيا بكل التشريعات العامه التي تتطلبها التجربه فلا بد لزعامه هذه التجربه من استيعاب الرساله بحدودها و تفاصيلها، و من وعى بكل احكامها و مفاهيمها، و الا اضطرت إلى استلها م سبقاتها الذهنيه و مرتكزاتها القبليه، و ادى ذلك إلى نكسه في مسيره التجربه، و بخاصه اذا لا حظنا ان الاسام كان هو الرساله الخاتمه من رسالات السماء التي يجب ان تمتد مع الزمن، و تتعدى كل الحدود الوقتيه و الاقليمييه و القومييه الامر الذي لا يسمح بان تمارس زعامته التي تشكل الاساس لكل ذلك الامتداد تجارب الخطا و الصواب التي تتراكم فيها الاخطاء عبر فتره من الزمن حتى تشكل ثغره تهدد التجربه بالسقوط و الانهيار.

و كل ما تقدم يدل على ان التوعيه التي مارسها النبي صلى الله عليه و آله و سلم على المستوى العام للمهاجرين و الانصار لم تكن بالدرجه التي يتطلبها اعداد القياده الواعيه الفكرية

و السياسيه لمستقبل الدعوه و عمليه التغيير، و انما كانت توعيه بالدرجه التي تبني القاعده الشعبيه الواعيه التي تلتف حول قياده الدعوه في الحاضر و المستقبل.

و اى افتراض يتجه إلى القول بان النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان يخطط لاسناد قياده التجريه و القيمومه على الدعوه بعده مباشره إلى جيل المهاجرين و الانصار، يحتوى ضمنا اتهام اذكى و ابصر قائد رسالى في تاريخ العمليات التغييريه بعدم القدره على التمييز بين الوعى المطلوب على مستوى القاعده الشعبيه للدعوه و الوعى المطلوب على مستوى قياده الدعوه و امامتها الفكرية و السياسيه.

النقطه الثالثه:

ان الدعوه عمليه تغيير، و منهاج حياه جديده و هى تستهدف بناء امه من جديد و اقتلاع كل جذور الجاهليه و رواسبها من وجودها.

و الامه الاسلاميه ككل لم تكن قد عاشت في ظل عمليه التغيير هذه الا عقدا واحدا من الزمن على اكثر تقدير، و هذا الزمن القصير لا يكفى عاده في منطقي الرسالات العقائديه و الدعوات التغييريه لا ارتفاع الجيل الذي عاش في كنف الدعوه عشر سنوات فقط إلى درجه من الوعى و الموضوعيه و التحرر من رواسب الماضى، و الاستيعاب لمعطيات الدعوه الجديده توهله للقيومه على الرساله و تحمل مسؤوليات الدعوه و مواصلة عمليه التغيير بدون قائد، بل ان منطق الرسالات العقائديه يفرض ان تمر الامه بوصايه عقائديه فتره اطول من الزمن تهيوها للارتفاع إلى مستوى تلك القيمومه.

و ليس هذا شيئا نستنتجه استنتاجا فحسب و انما يعبر ايضا عن الحقيقه التي برهنت عليها الاحداث بعد وفاه القائد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و تجلت عبر نصف قرن أو اقل من خلال ممارسه جيل المهاجرين و الانتصار لامامه الدعوه و القيمومه عليها، اذ لم يمض على هذه القيمومه ربع قرن حتى بدأت الخلافة الراشده و التجربه الاسلاميه التي تولى جيل المهاجرين و الانتصار قيادتها تنهار تحت وقع الضربات الشديده

التي وجهها اعداء الاسلام القدامى ولكن من داخل اطار التجربه الاسلاميه لا من خارجها، اذ استطاعوا ان يستلوا إلى مراكز النفوذ في التجربه بالتدرج، و استغلوا قياده غير الواعيه ثم صاروا بكل وقاحه و عنف تلك القياده، و اجبروا الامه و جيلها الطبيعي الراند على التنازل عن شخصيته و قيادته، و تحولت الزعامه إلى ملك موروث يستهتر بالكرامات و يقتل الابرياء و يبعثر الاموال و يعطل الحدود و يجمد الاحكام و يتلاعب بمقدرات الناس، و اصبح الفى ء و السواد بستانا لقريش، و الخلقه كره يتلاعب بها صبيان بنى اميه.

فواقع التجربه بعد النبى، و ما تخض عنه بعد ربع قرن من نتائج يدعم الاستنتاج المتقدم الذي يؤكد ان اسناد القياده و الإمامة الفكرية و السياسيه لجيل المهاجرين أو الانتصار عقيب وفاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم مباشره احراء مبكر و قبل وقته الطبيعي، و لهذا ليس من المعقول ان يكون النبى قد اتخذ اجراء من هذا القبيل.



-
- 1 - خصائص النسائي، ص 36. طبع مطبعه التقدم العلميه بمصر.
 - 2 - بحار الانوار ج 54:43.
 - 3 - الاحزاب:6.
 - 4 - الضحى:6-8.
 - 5 - الكهف:110.
 - 6 - بحار الانوار ج 40:43.
 - 7 - اصل العلل للعمري ج 328:4.
 - 8 - الادله الواضحه للترمذى، ص 16 الطبعه الحجرية.
 - 9 - النجم الثاقف للراوندى ص 95 ط مصر.
 - 10 - الاحزاب:6.
 - 11 - آل عمران:61.
 - 12 - صحيح الترمذى ج 5:596، صحيح مسلم ج 4 ص 1873.
 - 13 - الاحزاب:53.
 - 14 - النور:27.

15 - في الصواعق المحرقة قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالسا مع جماعه من اصحابه فجاءه خصمان فقال احدهما يا رسول الله ان لى حمارا و ان لهذا بقرة، و ان بقرته قتلت حمارى. فبدا رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اقض بينهما يا على.

فقال علي عليه السلام لهما: اكانا مرسلين ام مشدودين، ام احدهما مشدودا و الاخر مرسلا؟

قالا: كان الحمار مشدودا و البقره مرسله و صاحبها معها.

فقال عليه السلام: على صاحب البقره ضمان الحمار.

فاقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكمه و امضى قضاءه)

و يجب ان يبحث هذا الموضوع- و اعنى ممارسه علي عليه السلام للحكم في زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم و بامر منه- من قبل المختصين: لان ذلك يكشف عن اوضح مستويات اعداده للخلافه، ان لم نقل هو التنصيب بذاته.

الصواعق المحرقة ص 73 طبع المطبعة الميمنية بمصر، و نور الابصار للشبلنجى ص 71.

16 - المائدة:67.

17 - المائدة:3.

18 - المائدة:3.

19 - الملل و النحل ج 1 ص 15.

20 - جاء في تاريخ الطبرى ج 2 ص 581 ما يلى:

«قال عمر لصهيب: صل بالناس ثلاثه ايام، و ادخل عليا و عثمان و الزبير و سعدا و عبدالرحمن بن عوف و طلحه- ان قدم- و احضر عبدالله بن عمر و لاشى له من الامر، و قم على رويسهم فان اجتمع خمسه و رضوا رجلا و ابى واحد فاشدخ راسه، أو اضرب راسه بالسيف.

و ان اتفق اربعة فرضوا رجلا منهم و ابى اثنان فاضرب رويسهما، فان رضى ثلاثه رجلا منهم، و ثلاثه رجلا منهم، فحكموا عبدالله بن عمر، فابى الفريقيين حكم له فليختاروا رجلا منهم، فان لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف و اقتلوا الباقيين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس...).

21 - تاريخ الطبرى ج 2 ص 243، و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ج 6 ص 96.

22 - سنن الدارمى ج 1:50 طبع مطبعة الاعتدال دمشق.

23 - سنن الدارمى ج 1:50 طبع مطبعة الاعتدال دمشق.

24 - سنن الدارمى ج 1:56.

25 - سوره عبس آيه 27-31.

طريق التعيين

و تحدث رضوان الله عليه عن الطريق الثالث و هو طريق التعيين و الاستخلاف لشخص يمتلك مقومات قياده التجربه على خطى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و منهجه فقال:

ان الطريق الثالث المفترض هو الايجابيه ممثله في اعداد و نصب من يقود الامه و هذا هو الطريق الوحيد الذي بقى منسجما مع طبيعه الاشياء، و معقولا في ضوء ظروف الدعوه و الدعاه، و سلوك النبي صلى الله عليه و آله و سلم و هو ان يقف النبي صلى الله عليه و آله و سلم من مستقبل الدعوه بعد وفاته موقفا ايجابيا، فيختار بامر الله سبحانه و تعالى شخصا يرشحه عمق وجوده في كيان الدعوه، فيعده اعدادا رساليا و قياديا خاصا لتمثل فيه المرجعيه الفكرية و الزعامه السياسيه للتجربه، و ليواصل بعده بمسانده القاعده الشعبيه الواعيه من المهاجرين و الانتصار قياده الامه و بناءها عقانديا، و تقريبها باستمرار نحو المستوى الذي يوهلها لتحمل المسؤوليات القياديه.

و هكذا نجد ان هذا هو الطريق الوحيد الذي كان بالامكان ان يضمن سلامه مستقبل الدعوه، و صيانه التجربه في خط نموها و هكذا كان.

و ليس ما تواتر عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم من النصوص التي تدل على انه كان يمارس اعدادا رساليا و تثقيفا عقانديا خاصا لبعض الدعاه على مستوى يهيئه للمرجعيه الفكرية و السياسيه، و انه صلى الله عليه و آله و سلم قد عهداليه بمستقبل الدعوه و زعامه الامه من بعده فكريا و سياسيا، ليس هذا الا تعبيرا عن سلوك القائد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم للطريق الثالث الذي كانت تفرضه و تدل لعيه من قبل ذلك طبيعه الاشياء كما عرفنا.

و لم يكن هذا الشخص الداعيه المرشح للاعداد الرسالي القياى و المنسوب لتسلم مستقبل الدعوه، و تزعمها فكريا و سياسيا الا على بن ابي طالب، الذي رشحه لذلك عمق وجوده في كيان الدعوه، و انه المسلم الاول و المجاهد الاول في سبيلها عبر كفاحها المرير ضد كل اعدائها، و كذلك عمق وجوده في حياه القائد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و انه ربيبه الذي فتح عينيه في حجره و نشا في كنفه، و تهيات له من فرص التفاعل معه و الاندماج بخطه مالم يتوفر لاي انسان آخر.

و الشواهد من حياه النبي و الإمام علي، على ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان يعد الامام اعدادا رساليا خاصا كثيره جدا، فقد كان النبي يخصه بكثير من مفاهيم الدعوه و حقائقها، و يبذره بالعطاء الفكرى و التثقيف اذا استنفذ الامام اسئلته، و يختلى به الساعات الطوال في الليل و النهار، يفتح عينيه على مفاهيم رساله و مشاكل الطريق، و مناهج العمل إلى آخر يوم من حياته الشريفه.

روى الحاكم في المستدرک بسنده عن ابي اسحاق قال: سالت القاسم بن العباس: كيف ورث على رسول الله؟ قال: لانه كان اولنا به لحوقا و اشدنا به لزوقا.

و في حليه الاولياء عن ابن عباس انه يقول: كنا نتحدث ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم عهد إلى علي بسبعين عهدا لم يعهد إلى غيره.

و روى النسائي في الخصائص عن الإمام علي انه يقول: كانت لى منزله من رسول الله لم تكن لاحد من الخلاق، كنت ادخل على نبي الله كل ليله، فان كان يصلى سبح، و ان لم يكن يصلى اذن لى فدخلت.

و روى النسائي عن ام سلمه انها كانت تقول: والذى تحلف به ام سلمه ان اقرب الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وآله و سلم علي، قالت: لما كانت غداه قبض رسول الله، فارسل إليه رسول الله، و اظنه كان بعثه في حاجه، فجعل يقول: جاء علي؟ ثلاث مرات، فجاء قبل طلوع الشمس، فلما ان جاء عرفنا ان له إليه حاجه، فخرجنا من البيت، و كنا عند رسول الله يومئذ في بيت عائشه و كنت في آخر من خرج من البيت ثم جلست وراء الباب فكنت ادناهم إلى الباب، فاكب عليه علي فكان آخر الناس به عهدا فجعل يساره و ينجيه.

قال اميرالمومنين في خطبته القاصعه الشهيره و هو يصف ارتباطه الفريد بالرسول القائد، و عنايه النبي باعداده و تربيته: و قد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابه القريبه و المنزل الخصيصه، و ضعني في حجره و انا ولد، يضمني إلى صدره و يحنني في فراشه، و يمسنى جسده، و يشمنى عرفه، و كان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، و ما وجد لي كذبه في قول، و لا خطله في فعل... و لقد كنت اتبعه ابتاع الفصيل لآثر امه، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علما، و يامرني بالاعتداء به، و لقد كان يجاور في كل سنه بجراة فاره و لا يراه غيري، و لم يجتمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله و خديجه و انا ثالثهما، ارى نور الوحي و الرساله و اشم ريح النبوه.

ان هذه الشواهد، و شواهد اخرى كثيره تقدم لنا صوره عن ذلك الاعداد الرسالي الخاص الذي كان النبي صلى الله عليه وآله و سلم يمارسه في سبيل توعيه الإمام علي السمتوى القيادى للدعوه.

كما ان في حياه الإمام علي عليه السلام بعد و فاه القائد الرسول صلى الله عليه وآله و سلم ارقاما كثيره جدا تكشف عن ذلك الاعداد العقائدى الخاص للإمام علي عليه السلام من قبل النبي صلى الله عليه وآله و سلم بما تعكسه من آثار ذلك الاعداد الخاص و نتائجه فقد كان الامام هو المفزع و المرجع لحل اى مشكله يستعصى حلها على القيادة الحاكمه و قتنذ. و لا نعرف في تاريخ التجربه الاسلاميه على عهد الخلفاء واقعه واحده رجع فيها الامام إلى غيره لكى يتعرف على راي الاسلام و طريقه علاجه للموقف، بينما نعرف في التاريخ عشرات الوقائع اليت احست القيادة الاسلاميه الحاكمه بضروره الرجوع إلى الإمام علي رغم تحفظاتها في هذا الموضوع.

و اذا كانت الشواهد كثيره على ان النبي صلى الله عليه وآله و سلم كان يعد الامام اعدادا خاصا لمواصله قياده من بعده، فالشواهد على اعلان الرسول القائد على تخطيطه هذا، و اسناد زعامه الدعوه الفكرية و السياسيه رسميا إلى الإمام علي عليه السلام لا تقل عنها كثره، كما نلاحظ ذلك في حديث الدار، و حديث الثقلين و حديث المنزله، و حديث الغدير و عشرات النصوص النبويه الاخرى(1).

من خلال هذه الدراسه المعمقه للسيد الشهيد الصدر رضى الله عنه لما يمكن ان يفعله النبي صلى الله عليه وآله و سلم في مرحله ما بعد وفاته لضمان مستقبل مسير الاسلام نصل إلى النتيجة المنطقية و الطبيعیه التي تؤكد انه صلى الله عليه وآله و سلم اعد عليا عليه السلام للخلافه، و قياده مسيره الاسلام من بعده.

إعداد علي للخلافه

و على صعيد الواقع نجد لعلي عليه السلام دون سواه من الصحابه، زخما هائلا من الاحاديث النبويه التشريفه التي تشييد و تمجد بشخصيته من جوانبها المختلفه.

يقول احمد بن حنبل: ما جاء لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفضائل ما جاء لعلي بن ابي طالب(2) وهي تمثل اشواط مرحله الاعداد من ناحيتين: الاولى ما يتعلق بالشخصيه القياديه لعلي عليه السلام، و ثانيا اعداد الامه و تهيتها روحيا و نفسيا للعمل مع القيادة الجديده المكمله لمسيره النبوه.

و من البدايه يجب ان نستبعد افتراض ان يكون سبب ذلك القرابه لرسول الله، المجرده عن اى استحقاق ديني و رباني، و ان ما صدر انما صدر بدافع القرابه المطلقه، أو ان ذلك بدافع الهوى أو العبث مثلا.

ان هذا المنطق لا يجوز افتراضه بشأن الرسول الاكرم الذي لا (ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى)(3) و انه (لو تقول علينا بعض الاقاويل لا خذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين)(4) .

فان الامه الاسلاميه مجمعه على الايمان بهذه الرويه القرانيه عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و انه معصوم و لا يبلغ الا عن الله عز و جل فلا حاجه إلى نقاش ذلك. و قد تقدم نظيره حينما بحثنا الاحتمالات المنطقيه للروايات التي صدرت بحق الزهرا عليها السلام، و نفس الكلام ياتي هنا.

و على هذا الاساس يجب ان نتناول الموضوع في زاويته الطبيعيه و المنطقيه، و نقيم الاحاديث التي وردت بحق الإمام علي عليه السلام في اطار الحكمة و الهدفيه الساميه، التي اتسم بها الاسلام و نبيه العظيم صلى الله عليه وآله وسلم بعيدا عن المؤثرات العقائديه و الشخصيه لاتباع المذاهب الاسلاميه.

كما يجب ان نوكد ان هذا اللون من البحث لا يعنى التعريض بالصحابه، أو لعدد منهم، أو اهانتهم و ذلك لاننا نعتقد ان المجتمع الذي بناه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يمثل القمه في الطهاره و النقاء. و اذا صدر من هذا الصحابي أو ذاك شيء لا ينسجم مع وصفنا لمجتمع الصحابه بالقداسه، و نستشهد به خلال بحثنا فلا نقصد من ذلك التعريض، أو توجيه الامانه و انما ننظر للحادثه كواقع تاريخي يساعد على فهم النص و استيعاب محتواه الحقيقي، على ضوء الظروف و المؤثرات زمن الصدور.

كما ان عرضنا لواقع الإمام علي عليه السلام و مكانته الكبيره عندالله تعالى و رسوله لا

يعنى التكرار لجميع ايجابيات مجتمع الصحابه التي اضاءت تاريخ الامه الاسلاميه، بل نقصد معالجه واقعيه ملتزمه لواقع عاشته الامه خلال اللقرون الماضيه، و نحن هنا لا نبحث عن المناقبيه بل عن الهدفيه، و لا نبحث عن الثوره بل عن العبره.

ان الالتزام بهذا المنهج يمكن ان يقربنا من الواقع باباعاده الكامله، و صورته الحقيقيه، و على هذا الاساس فحينما نستعرض بعض ابعاد شخصيه الإمام علي عليه السلام انما نقصد معاشه لظاهره اسلاميه كبيره تكتنز في داخلها قضيه دينيه كبيره، هي قضيه الخلافة و الحكم، و الطريقه التي سلكها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتركيه خط الحكم و الاستخلاف، و الصعوبات التي ستواجه الخليفه المرتقب. و ما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد اعده من معالجات لجميع العقبات التي تواجه مسيره الاستخلاف.

و لا نريد ان نفرض رويه معينه على القارى و نقول ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نصب عليا خليفه من بعده بناء على ادله كثيره، منها حديث الغدير المتفق على روايته و تواتره، بل نقول ان دراسته ما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشأن علي عليه السلام يشكل ظاهره استثنائيه تستحق الدراسه، و لا يمكن تفسيرها ب(المناقبيه) البحثه، و عزلها عن الهدفيه الواعيه التي نعرفها في كل بصمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و خطواته على امتداد تاريخه المقدس. و سوف نلاحظ

بعد قليل (الهدفية) في كل مراحل العداد التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي لا تقبل تفسيراً غير التفسير المنطقي الذي ينسجم مع هدفية الدين نفسه. فالرسول أي رسول إنما هو مبلغ لرسالات الله، و أمين له في أرضه و عبادته، وليس مداحاً لهذا أو ذاك (إنما عليك البلاغ) و حين يصدر من الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم مدحاً لشخص يساويه فيه بنفسه في القمية و القداسة، و يتجاوز حدود الإشادة إلى مراحل حاسمة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم أنت منى بمنزلة هارون من موسى، فهنا يجب أن نبحث عن الأطار الصحيح الذي ينبغي أن نضعه فيه من الدين. لأن المسألة في هذه الحالة خرجت عن كونها إشادة و ثناء، إلى قضية دينية أساسية، يترتب عليها معظم ما يترتب على النبوة نفسها. و هذا الذي نعيه بالهدفية، و هو ما وقع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشأن علي عليه السلام.

و لا أريد أن اتطرق إلى سيره علي عليه السلام في عبادته و تقواه و جهاده و أمثال ذلك، و افترض أنها المبرر القوي- و هي بلاشك وحدها تكفي لذلك- لاستحقاق الخلافة و أنا اترك ذلك لمجاله، و اتمسك بنوعين من النصوص:

اولاً: النصوص التي تثبت أن علياً عليه السلام يمتلك من الخصائص القيادية و الدينية التي تميزه عن غيره و لا يمتلكها سواه، و ثانياً: النصوص التي تعتبره نفس النبي و لكن من دون نبوه مع ذكر بعض الخصائص الأخرى التي توهمه للخلافه دون غيره من الصحابة، و هذه الروايات يمكن تقسيمها إلى طوائف.

الطائفة الأولى

و هي التي تؤكد على امتلاك الإمام علي عليه السلام للخصائص التي يجب أن تتوفر في القائد، و تشكل معالم شخصيته القيادية الإسلامية و الإنسانية. و إذا كان ما يجب أن نتحدث عنه كثيراً فإنا هنا سنتطرق إلى الام منها فقط، و بما يساهم في عطاء الصورة الكاملة للشخصية القيادية لعلي عليه السلام مع ملاحظته الاختصار مهما أمكن.

علي أول و اعظم الناس ايمانا

و هي مجموعة من الروايات التي تتحدث عن علي عليه السلام باعتباره اعظم الناس ايمانا، و ان الله عز و جل قد امتحن قلبه للايمان، و انه أول الناس ايمانا و اثبتهم عليه.

1- عن عمر بن الخطاب قال: اشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسمعته و هو يقول: لو ان السماوات السبع وضعت في كفه و وضع ايمان علي في كفه لرجح ايمان علي(5).

2- عن ربي بن حراش، حدثنا علي بن ابي طالب عليه السلام قال:

لما كان يوم الحديبية خرج الينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو،

و اناس من روءاء المشركين فقالوا: يا رسول الله خرج اليك ناس من ابنائنا و اخواننا و ارقاننا و ليس لهم فقه في الدين و انما خرجوا فرارا من اموالنا و ضياعنا فاردهم الينا.

قال: فان لم يكن لهم فقه في الدين سنفقهم. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلبه على الايمان.

قالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال ابوبكر: من هو يا رسول الله؟ و قال عمر: من هو يا رسول الله. قال هو خاصف النعل، و كان اعطى علياً عليه السلام نعله يخصفها...(6).

3- عن المامون عن الرشيد عن المهدي عن المنصور عن ابيه عن عبدالله بن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول:

كفوا عن ذكر علي بن ابي طالب فقد رايت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه خصالا لنن تكون لي واحده منهم في آل الخطاب احب إلى مما طلعت عليه الشمس، كنت انا و ابو بكر و ابو عبيده في نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتتهيت إلى باب ام سلمه و علي قائم على الباب فقلنا: اردنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يخرج اليكم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسرنا إليه فاتكا على علي بن ابي طالب ثم ضرب يده على منكبه ثم قال: اتك مخاصم تخاصم انت اول المومنين ايمانا، و اعلمهم بايام الله، و اوفاهم بعداه، و اقسهم بالسويه، و ارافهم بالرعيه، و اعظمهم رزيه، و انت عاضدى و غاسلى و دافنى و المتقدم إلى كل شديد و كريهه، ولن ترجع بعدى كافرا، و انت تتقدمنى بلواء الحمد و تزدود عن حوضى...)(7).

4- اخرج ابو احمد و ابن منده و غيرهما من طريق اسحاق بن بشر الاسدى عن خالد بن الحارث عن عوف عن الحسن عن ابي ليلي الغفارى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: سيكون من بعدى فتنه فاذا كان ذلك فالزموا علي بن ابي طالب فانه اول من آمن بي، و اول من يصفحنى يوم القيامة، و هو الصديق الاكبر و هو فاروق هذه الامه، و هو يعسوب المومنين و المال يعسوب المنافقين)(8).

علي اعلم الناس

كما انه يجب ان يتوفر في القائد الايمان المطلق و العميق بالرساله، كذلك يجب ان تتوفر فيه المعرفه التفصيليه لكل آفاق الرساله العقائديه و الفكرية و الفقهييه، و من دون ذلك لا يمكنه ان يمارس دوره في قياده رساله و هو يجهلها. ونحن لا نبحث عن المعرفه الاجماليه التي يتمتع بها معظم الصحابه (رض) و الذين تلقوا قسطا منها في مدرسه النبوه، فهي مفيده على الصعيد الشخصى كتقافه عامه، و انما نبحث عن المعرفه الشامله المستوعبه لكل ابعاد الاسلام، و مختلف جوانب الحياه الانسانيه، هذه المعرفه لم تتوفر لاحد كما توفرت لعلي عليه السلام و لنستعرض بعض لنصوص التي تشهد لذلك:

1- عن علي عليه السلام قال:

علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الف باب، كل باب يفتح الف باب)(9).

2- عن ابي المعتمر مسلم بن اوس و جاريه بن قدامه السعدى انهما حضرا على بن ابي طالب عليه السلام يخطب و هو يقول: سلونى قبل ان تفقدونى فانى لا اسال عن شيء دون العرش الا اخبرت عنه)(10).

3- عن عبدالله بن مسعود قال:

ان القرآن انزل على سبعة احرف ما منها حرف الا له ظهر و بطن، و ان على بن ابي طالب عنده علم الظاهر و الباطن)(11).

و في حليه الاولياء كذلك عن علي عليه السلام انه قال:

والله ما نزلت آيه الا و قد علمت فيم انزلت و اين انزلت، ان ربي و هب لي قلبا عقولا و لسانا سوولا)(12).

و عن ابن الطفيل عامر بن وانله قال:

شهدت على بن ابي طالب عليه السلام يخطب فقال في خطبته:

سلونى فوالله لا تسالونى عن شيء يكون إلى يوم القيامة الا حدثتكم، سلونى عن كتاب الله فوالله ما من آيه الا انا اعلم ابليل نزلت ام بنهار، ام في سهل نزلت ام في جبل)(13).

4- عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انا مدينة الحكمة و على بابها فمن اراد الحكمة فليات الباب (14).

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: انا دار الحكمة و على بابها(15).

و عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

انا مدينة العلم و على بابها فمن اراد المدينة فليات الباب(16).

علي افضى الناس

لقد شهد كبار الصحابة لعلي عليه السلام انه افضى الصحابه على الاطلاق، سواء في

زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بعده، و هذه الشهاده تعبير عن المعرفة الشامله لتفاضيل الشريعة و موضوعات الحياه الفرديه و الاجتماعيه، فقد اثبتت الوقائع التاريخيه في مجال الممارسه للقضاء انه عليه السلام كان إلى جانب معرفته التفصيليه بالاحكام الشرعيه الواقعيه يمتلك القدره الهائله على تشخيص القضايا و الوقائع المتعلقة بالموضوع حيث عبر بعض الصحابه عن تلك الحاله بقوله (ما من معظله الا و لها ابو الحسن) و ما ذلك الا بسبب احاطته الشامله و دقته المتناهيه و معرفته الواسعه للحكم و الموضوع لدرجه ابهرت الصحابه، بل الطليعه منهم من الذين و اكبوا مسيره الاسلام منذ السنوات الاولى، و عايشوا معظم تاريخ التشريع في جوابنه المختلفه.

و لنقف مع بعض تلك الحاديث و الشهادات:

1- صحيح البخارى في كتاب التفسير في باب قوله تعالى (ما ننسخ من آيه أو ننسها) روى بسنده عن ابن عباس حديثا قال فيه: قال عمر: و افضانا على(17).

2- عن انس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم و افضاهم على بن ابى طالب(18).

3- عن ابن مسعود قال:

كنا نتحدث ان افضى أهل المدينة على بن ابى طالب عليه السلام(19).

4- و عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: افضى امتى على(20).

و كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا له حينما بعثه إلى اليمن ان يهدى قلبه، و يثبت لسانه، حيث روى ابن ماجه في صحيحه عن علي عليه السلام قال:

بعثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن فقلت: يا رسول الله تبعثنى و انا شاب افضى بينهم و لا ادري بالقضاء؟

قال: فضرب بيده في صدرى ثم قال: الله اهد قلبه و ثبت لسانه.

قال: فما شككت بعد في قضاء بين اثنين(21)

و سجلت كتب السير و التاريخ، نماذج من تلك الوقائع القضائيه، التي تبرهن على امتلاكه عليه السلام للخبره و المعرفة الكامله و النموذجيه في مجال القضاء، و من شاء التفصيل فليراجع: صحيح النسائي ج 2: 108، و مسند احم بن حنبل ج 1: 77، و الاستيعاب لابن عبدالبر ج 2: 462، و كنز العمال ج 3: 53، و الصواعق المحرقة لابن حجر ص 73 و غيرها.

و هذه المعرفة و الخبره جعلت الصحابه و في مقدمتهم ابوبكر و عمر يرجعون إليه في معضلات المشاكل القضائيه و السياسيه ابان فتره حكمهم، و لمعرفة التفاصيل يمكن لارجوع إلى الرياض النظره ج 2 ص 224، 195 و كنز العمال ج 3: 301 و ص 99،

و مسند احمد ج 1 ص 140 و 154 و موطا مالك بن انس كتاب الاشربه ص 186 و مستدرک الصحيحين ج 4:375 و غيرها من لصادر المعروفه.

و الحقيقه ان هذا الجانب، و اعنى امتلاك علي عليه السلام للخصائص الدينيه و المعرفيه و القياديه، يستحق بحثا شاملا و دقيقا و تفصيليا، لانه يمثل احد المعالم التي انفردت بها شخصيه الإمام علي عليه السلام عن بقيه الصحابه خصوصا و المسلمين عموما، و ما تقدم انما هو على نحو الاشاره فقط.

الطائفه الثانيه

و هي مجموعه الاحاديث و النصوص التي ترسم المعالم الخصاه للشخصيه القياديه و المرجعيه لعلي عليه السلام، و تحديد موقعه في الكيان العقائدي و التشريعي الاسلامي.

و لو اردنا ان نتحدث عن جميع تفاصيل هذا الموضوع لا ستعرف منا مجالا اوسع و لكننا نقتصر على الحد الادنى مما يقتضيه البحث.

من احب عليا فقد احب الله

هناك الكثير من النصوص التي تقرون بين حب علي عليه السلام و بين حب الله عز و جل و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم، او بين بغضه و بغض الله و رسوله فمن تلك النصوص:

1- ما عن ابن عباس قال: نظر النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلى علي عليه السلام فقال:

يا علي انت سيد في الدنيا و سيد في الاخره، حبيبك حبيبي، و حبيبي حبيب الله، و عدوك عدوي، و عدوي عدو الله، و الويل لمن ابغضك بعدى(22).

2- عن عوف بن ابي عثمان قال: قال رجل لسمان: ما اشد حبك لعلي عليه السلام .

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: من احب عليا فقد احبني، و من ابغض عليا فقد ابغضني(23).

3- عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

من احبني فليحب عليا، و من ابغض عليا فقد ابغضني، و من ابغضني فقد ابغض الله عز و جل و من ابغض الله ادخله النار(24).

و للاطلاع على المزيد من هذه النصوص يمكن الرجوع إلى المصادر التاليه: اسد الغبه ج 4:383، و كنز العمال ج 6:158، 391، 140، و الرياض النظره ج 2:213، 166، 209، خصائص النسائي و غيرها.

و ما يمكن ان نقوله في هذا الموضوع هو: ان الثابت على المستوى الفقهي عدم وجوب حب الومون و عدم حرمة بغضه قلبيا، و ان كان حب الومون و عدم بغضه قلبيا يمثل الصوره النموذجيه للايمان، اى هو المستحب الاكيد. و الذي يمكن القطع به، هو ان الاسلام حفظ للومون حقوقه على الومونين فلا يجوز ايدانه أو غشه أو التعرض لحرمة و عرصه و ماله و امثال ذلك. اما هل يجب حبه حبا قلبيا، و هل يحرم بغضه قلبيا.

و بعاره اخرى نقول لو ان مومنا ابغض مومنا قلبيا و لم يظهر ذلك على جوارحه هل يكون آثما مستحقا للعقوبه؟

على ضوء القرآن و السنه و جميع اجتهادات المذاهب الاسلاميه لا يوجد ما يثبت حرمة الفرض لاخير، نعم قد يحرمه من الثواب الجزيل ولكنه لا يحقق له العقاب.

و نجد هذه القاعدة تختزم بالسنبه للامام علي عليه السلام فان الاحاديث صريحه بحرمة البغض القلبي فضلا عن اظهار ذلك، و فضلا عن ايدانه ايضا، فنرى النبي صلى الله عليه و آله و سلم على ما في كنز العمال يقول: اللهم من احبه من النسا فمن له حبيبا، و من ابغضه فكن له مبغضا(25).

كما ان الصنوص في كتب الفريقين متظافره على وجوب حبه حبا قلبيا خالصا لانه حب لله عز و جل و حب لرسوله صلى الله عليه و آله و سلم. و جاء في نصوص كثيره ان حبه ايمان و بغضه نفاق كما عن ثابت ان زر عن علي عليه السلام قال: و الذي فلق الحبه و برا النسمة انه لعهد النبي الامى إلى ان يلا يحبنى الا مومن و لا يبغضنى الا منافق(26). و لا يتسع المجال لذكر كل م جاء بشأن علي عليه السلام من نصوص تتعلق بنفس الموضوع و هى تدور في اطار التاكيد على وجوب محبته و حرمة بغضه.

و منه نستفيد ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جعل حب علي و حرمة بغضه حتى على المستوى القلبي حكما شرعيا مستقلا فحكم بحرمة بغضه قلبيا و وجوب حبه كذلك و قس على ذلك الموارد المشابهه التي لم نبحثها توخيا للاختصار. و لا يشك عاقل في ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم انما كان يستهدف- إلى جانب ما لعل من مقام و منزله- ايجاد الأرضيه الطبيعیه و المناسبه لبلوره الشخصيه الدينيه و القياديه لعلي عليه السلام و انه المصدر الشرعى و الكيان القايدى بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم، ولم يكن الهدف محدودا بحب علي عليه السلام لمجرد الحب. و لا معنى لربط ذلك بحب الله عز و جل و بغضه. بالنحو الذي يترتب عليه دخول الجنه أو دخول النار. اليس ذلك يفسر لنا ان هذا الاعداد الربانى لعلي عليه السلام انما يتم في اطار اكمال الدين في مسيرته التشريعيه و الفكرية، و انه الامين على مستقبل الاسلام و الحكومه الاسلاميه التي اسسها خاتم الانبياء و المرسلين محمد صلى الله عليه و آله و سلم و ليس لمجرد رغبه شخصيه غير هادفه للنبي (حاشاه)؟

و نلاحظ بصوره جليه في لسان بعض النصوص التي وردت عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، الربط الاكيد، بين حب علي و مولاته، و بين التاكيد على انه عليه السلام لا يخرجكم من هدى و لا يدخلكم في ضلال، فقد روى زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم انه قال:

من يريد ان يحيى حياتى و يموت مماتى و يسكن جنه الخلد التي وعدنى ربي فليتول على بن ابى طالب فانه لن يخرجكم من هدى و لن يدخلكم في ضلاله(27).

فماذ يعنى قوله صلى الله عليه و آله و سلم انه (لن يخرجكم من هدى و لن يدخلكم في ضلاله) غير التاكيد على المعنى القيايدى و التشريعي لشخصيه علي عليه السلام و الا فكيف يمكن ان يتحقق ذلك من دون ان يكون له مركز قيايدى دينى و حاكميه فعليه في المجتمع؟

من سب عليا فقد سب الله و رسوله

و جاءت نصوص كثيره في الربط المباشر بين سب علي عليه السلام و بين سب الله و رسوله نذكر بعضها:

1- عن ابى عبدالله الجدلى قال: دخلت على ام سلمه فقالت لى: ايسب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فيكم؟ فقلت: معاذ الله، أو سبحان الله، أو كلمه نحوها.

فقلت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول:

من سب عليا فقد سبني(28).

2- و عنه ايضا قال:

حجبت و انا غلام فمررت بالمدينه و اذا الناس عنق واحد فاتبعتهم فدخلوا على ام سلمه زوج النبي صلى الله عليه و آله و سلم فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي، فاجابها رجل جلف جاف: لبيك يا امه.

قالت: يسب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في ناديكم؟

قال: و انى ذلك؟

قالت: فعلى ابن ابى طالب؟

قال: انا لنقول اشياء نريد عرض الدنيا.

قالت: فانى سمت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول:

من سب عليا فقد سبنى، و من سبنى فقد سب الله(29).

3- و عن ابن عباس قال:

اشهد بالله لسمعت من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول:

من سب عليا فقد سبنى، و من سبنى فقد سب الله، و من سب الله عز و جل اكبه الله على منخريه(30).

4- و عن ابن عباس انه مر- بعد ما حجب بصره- بمجلس من مجالس قريش و هم يسبون عليا عليه السلام.

قال: ايكم الساب لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

قالوا: سبحان الله من سب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقد كفر.

قال: فايكم الساب لعلي عليه السلام؟

قالوا: اما هذا فقد كان.

قال: فانا اشهد بالله لسمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول:

من سب عليا فقد سبنى، و من سبنى فقد سب الله، و من سب الله عز و جل اكبه الله على منخريه(31).

5- عن ابى بكر بن خالد بن عرفطه انه اتى سعد بن مالك فقال:

بلغنى انكم تعرضون على سب على بالكوفه فهل سببته؟

قال: معاذ الله و الذى نفس سعد بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول في علي عليه السلام شنيا لو وضع

المنشار على مفرقى ما سببته ابد(32).

ان هذه النصوص تؤكد على حرمة سب علي عليه السلام و تعتبر سبه سباً لله و رسوله، و على هذا الاساس نرى الفرق بين سب

الإمام علي عليه السلام و بين سب المومن الاعتيادى فالاول يعنى الكفر الصريح، لانه سب لله عز و جل و لرسوله صلى الله عليه

و آله و سلم، اما الثاني فبالرغم من كونه ذنباً عظيماً، ولكنه لا يصل إلى حد الكفر و الخلود في النار.

و من هذا نعرف ان الرسول الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم و بتوجيه من السماء حدد واحداً من اهم الخطوط الحمراء عن

شخصيه الإمام علي عليه السلام اذ لا معنى للمقارنه و الربط بين سب علي عليه السلام و سب الله و رسوله لو لم تكن هناك حكمه

بالغه في مسيره الاعداد

لمستقبل الاسلام بعد وفاه الرسول العظم صلى الله عليه وآله وسلم. يضاف إلى ذلك مجموعه من الروايات والنصوص التي تؤكد على ان ايداء علي عليه السلام ايداء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تلك النصوص ما روى عن عمرو بن شاس الاسلمى- و كان من اصحاب الحديبيه- قال:

خرجنا مع علي عليه السلام إلى اليمن فجفاني في سفره ذلك حتى وجدت في نفسي، فلما قدمت اظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فدخلت المسجد ذات غداه و رسول الله في ناس من اصحابه فلما رأني ابدني عينيه- اى حدد إلى النظر- حتى اذا جلست قال: يا عمرو اما والله لفققد آذيتني. فقلت: اعوذ بالله ان اوذيك يا رسول الله. قال: بلى من أذى عليا فقد آذاني(33).

و كذلك روايات: ان من فارق عليا عليه السلام فقد فارق الله عزوجل، من تلك الروايات ما عن ابي ذر الغفارى قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

يا على من فارقتى فقد فارق الله، و من فاركك يا على فقد فارقتى(34) والمفارقة تعنى بعدا عميقا للشخصيه العقائديه و القياديه لعلي عليه السلام تستحق بحثا معمقا و شاملا، اذ ان هذا اللون من النصوص يشير إلى كون شخصيه علي عليه السلام احد اسس الاسلام و قواعده.

و نظير هذه النصوص كثير، و هى كلها تؤكد على الشخصيه المرجعيه و القياديه لعلي عليه السلام في خطوه طبيعيه لمرحله الاستخلاف، و قياده المسيره التشريعيه و سياسيه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.



- 1 - بحث حول الولاية للامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر: طبع دار التعارف بتصريف يسير.
- 2 - مستدرک الصحيحين ج 3:107.
- 3 - النجم:3-4.
- 4 - الحاقه 44-46.
- 5 - الرياض النظره ج 2:226 مطبعه الاتحاد بمصر.
- 6 - صحيح الترمذى ج 2 و كذلك خصائص النسائى ص 11، تاريخ بغداد ج 1:133.
- 7 - كنز العمال ج 6:393.
- 8 - الاصابه ج 7 القسم 1 ص 167. طبعه مصر ماخوذه عن طبعه كلكتا.
- 9 - كنز العمال ج 6:392.
- 10 - كنز العمال ج 6:405.
- 11 - حليه الاولياء ج 1:65.
- 12 - حليه الاولياء، ج 1:67.
- 13 - كنز العمال ج 1:228.
- 14 - تاريخ بغداد ج 11:204.

- 15 - صحيح الترمذى ج 2:229.
- 16 - مستدرك الصحيحين ج 2:126.
- 17 - الاستيعاب ج 2:461، الرياض النظره ج 2 ص 198.
- 18 - صحيح ابن ماجه ص 14. طبع مطبعه الفاروقى في دهلى.
- 19 - مستدرك الصحيحين، ج 3:135.
- 20 - الرياض النظره ج 2:198.
- 21 - صحيح ابن ماجه ذكر القضاء، ص 168.
- 22 - مستدرك الصحيحين ج 3:127.
- 23 - مستدرك الصحيحين ج 3:130.
- 24 - تاريخ بغداد ج 13:32. مطبعه الساده بمصر.
- 25 - كنز العمال ج 6:399.
- 26 - صحيح الترمذى ج 2:301.
- 27 - مستدرك الصحيحين ج 3:128. و هو صحيح الاسناد و رواه في الحليه ج 4:349 و كنز العمال ج 6:155 و غيرهما كثير.
- 28 - مستدرك الصحيحين ج 1:121.
- 29 - مستدرك الصحيحين ج 3:121.
- 30 - ذخائر العقبى ص 66.
- 31 - الرياض النظره ج 2:166.
- 32 - مجمع الهيئى ج 9:129. طبع مكتبه القدسى عام 1352 هـ.
- 33 - مستدرك الصحيحين ج 3:112.
- 34 - مستدرك الصحيحين ج 3:123.

انت منى بمنزله هارون من موسى

و هنا مجموعه من النصوص تؤكد على ان منزله علي عليه السلام من النبي صلى الله عليه و آله و سلم
كمنزله هارون من موسى عليهما السلام نذكر منها النماذج التاليه:

1- عن ابراهيم بن سعد عن ابيه قال: قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم لعلي عليه السلام:
اما ترضى ان تكون منى بمنزله هارون من موسى(1).

2- عن عامر بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لعلي عليه السلام: انت منى بمنزله
هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى.

قال: سعيد: فاحببت ان اشافه بها سعدا فلقيت سعدا فحدثته بما حدثني عامر فقال: انا سمعته. فقلت: انت سمعته!؟ فوضع اصبعيه
على اذنيه فقال: نعم و الا فاستكتنا(2) اى صمتا.

3- عن سعد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال لعلي عليه السلام:
انت منى بمنزله هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى(3).

4- عن جابر بن عبدالله ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال لعلي عليه السلام:
انت منى بمنزله هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى و لو كانت لكنته(4).

5- عن ابن اسحاق في حديث غزوه تبوك قال فيه: فلما سار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تخلف عن عبدالله بن ابي فيمن
تخلف من المنافقين و أهل الريب و كان عبدالله بن ابي اخا بنى عوف بن الخزرج، و عبدالله بن نبيل اخا بنى عمر و بن عوف و
رفاعه بن يزيد بن التابوت اخا بنى قينقاع، و كانوا من عظماء المنافقين، و كانوا ممن يكيد الاسلام و اهله- إلى ان قال- انزل الله
عز و جل (لقد ابتغوا الفتنة و قلبوا لك الامور...) الايه قال: و قال ابن اسحاق:

و خلف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم علي بن ابي طالب عليه السلام و امره بالاقامه فيهم...

فارجف المنافقون بعلي بن ابي طالب عليه السلام و قالوا: ماخلفه لا استثقالا له و تخفيفا مه. فلما قال ذلك المنافقون اخذ علي
عليه السلام سلاحه ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو بالجرف فقال:
يا نبى الله زعم المافقون انك خلفتني انك استثقتني و تخففت منى.

فقال صلى الله عليه و آله و سلم: كذبوا ولكنى انما خلفتك لما ورائى فارجع فاخلفنى في هلى و اهلك، افلا ترضى يا علي ان تكون
منى بمنزله هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى.

فرجع علي عليه السلام إلى المدينه و مضى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على سفره(5).

و لابد ان نفهم منزله هارون من موسى كمقدمه لفهم النص النبوى الشريف. ان القرآن الكريم حدد بوضوح مستوى علاقه بين
موسى و هارون فقال عز و جل:

(واجعل لى وزيراً من اهلى هارون اخى اشدد به ازرى و اشركه فى امرى)(6).

و حينما ينص الرسول الكريم محمد صلى الله عليه و آله و سلم على ان عليا عليه السلام بمنزله هارون من موسى لا نفهم منه
غير ما نص عليه القرآن الكريم بشأن هارون من كونه الوزير و الشريك لموسى عليه السلام الا ما استثناه صلى الله عليه و آله و
سلم بقوله (الا انه لا نبى بعدى) لانه صلى الله عليه و آله و سلم خاتم النبيين و المرسلين و رسالته خاتمه الرسالات. فعلى اساس

ذلك يكون ما ردد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان عليا وزيره و شريمه و خليفته في وظائف النبوه كالتبليغ و الحكم و التشريع المستند إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و الذي يناسب المهمه.

اما القول بغير ذلك فلا يعنى الا تفرغ النص- القرآنى و النبوى- من محتواه

و تحويله إلى ما لم يقصد، و ذلك لان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انما اختار التشبيه بموسى و هارون، لا لمستوى علاقه الاخوه أو المحبه التي تربطها، حيث لم يبين القرآن ذلك، و انما الذي بينه مستوى الشراكه بينهما في كل ما يتعلق بامور الدين، باستثناء النبوه حيث لا نبوه بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. و ما يويد هذه الرويه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الا انه لا نبى بعدى» فانها يدل على استمرار دور النبوه- لا النبوه- بلعى بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فهو المسؤول عن كل ما يتعلق بامور الاسلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و الا فلا معنى لكلمه (بعدى) لو لم يكن يشير إلى استمرار دور النبوه بلعى عليه السلام و لا يتحقق ذلك الا عن طريق الاستخلاف المباشر له من بعده صلى الله عليه وآله وسلم كما حصل لهارون بعد موسى عليهما السلام، حيث كان شريكه في حياته و خليفته بعد موته، و من هذا المنطق جاء التشبيه بهارون عليه السلام.

من كنت مولاه فهذا على مولاه

و هنا مجموعه من النصوص، تحكى حادثه غدير خم، حينما رجع النبى صلى الله عليه وآله وسلم من حجه الوداع، فامر بجمع المسلمين، ثم خطب فيهم، و قال من كنت مولاه فعلى مولاه و اليك نماذج منها:

1- عن البراء بن عازب قال: اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجه التي حج فنزل في بعض الطريق فامر الصلاه جامعه فاخذ بيد على عليه السلام فقال:

الست اولى بالمومنين من انفسهم؟

قالوا: بلى.

قال: الست اولى بكل مومن من نفسه؟

قالوا: بلى.

قال: فهذا ولى من انا مولاه، اللهم وال من والاه اللهم عاد من عاداه(7).

2- و عن البراء قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فنزلنا بغدير خم فنودى فينا الصلاه جامعه، و كسح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر و اخذ بيد على عليه السلام فقال:

الستم تعلمون انى اولى بالمومنين من انفسهم؟

قالوا: بلى.

قال: الستم تعلمون انى اولى بكل مومن و مومنه من نفسه؟

قالوا: بلى.

قال: فاخذ بيد على عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه؟

قال: فلقية عمر بعد ذلك فقال له: هنيئا لك يا ابن ابى طالب اصبحت و امسيت مولى كل مومن و مومنه(8).

3- عن زيد بن ارقم قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع و نزل غدیر خم امر بدوحات فقممن فقال:

كانى دعيت فاجبت، انى قد تركت فيكم الثقليين احدهما اكبر من الاخر كتاب الله تعالى و عترتى فنظروا كيف تخلفونى فيهما فاتهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض- ثم قال- ان الله عز و جل مولائى و انا مولى كل مومن، ثم اخذ بيد على فقال:
من كنت مولاه فهذا لىه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه(9).

4- و عن كنز العمال ما هذا نصه: يا ايها الناس انه قد نبانى الطيف الخبير انه لن يعمر نبى الا نصف عمر الذى بيه من قبله و انى قد يوشك ان ادعى فاجيب، و انى مسوول و انكم مسوولون فماذا انتم قائلون؟
قالوا: نشهد انك قد بلغت و جاهدت و نصحت.

قال: اليس تشهدو ان لا اله الا الله و ان محمدا عبده و رسوله و ان جنته حق و نارہ حق، و ان الموت حق، و ان البعث حق بعد الموت، و ان الساعة آتية لا ريب فيها و ان الله يبعث من فى القبور؟
يا ايها الناس ان الله مولائى و انا مولى المومنين اولى بهم من انفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه.

يا ايها الناس انى فرطكم و انكم واردون على الحوض اعرض مما بين بصرى الى صنعاء، فيه عدد النجوم قد حان من فضه، و انى سانلكم حين تردون على عن الثقليين، فانظروا كيف تخلفونى فيها، الثقل الاكبر كتاب الله عز و جل سبب طرفه بيد الله و طرفه بايدكم فاستمسكوا به لا تضلوا و لا تبدلوا، و عترتى اهل بيتى فانه قد نبانى اللطيف الخبير انهما لن ينقضيا حتى يردا على الحوض(10).

5- عن زيد بن يثيع و غيره قالوا: سمعنا عليا عليه السلام يقول:
نشدت الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدیر ما قال لما قام، فقام ثلاثه عشر رجلا فشهدوا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: الست اولى بالمومنين من انفسهم، قالوا: بلى يا رسول الله فاخذ بيد على عليه السلام و قال:
من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه، و احب من احبه، و ابغض من ابغضه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله(11).

و لسنا بحاجة للحديث عنخير الغدير، بعد ان بحثه فطاحل العلماء، كالعلامه الحجة الشيخ الامينى رحمه الله، و الامام الكبير السيد عبدالحسين شرف الدين قدس سره، و غيرهما من الاعلام، و بينوا وجه الدلالة فيه على تنصيب لعى عليه السلام، خليفه على المسلمين، من بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فمن شاء فليراجع تلك المصادر القيمة التى منها، كتاب الغدير، و كتاب المراجعات.

و ما يجب ان نلاحظه فى هذا المجال ان ما ورد بشأن على عليه السلام لم يرد نظيره بشأن اى من الصحابه و المقربين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و لا نريد بهذا مصادره ما ورد فى الصحاح كصحيح البخارى و مسلم و غيرهما، من كلمات اجلال و تقدير و اشاده بعدد كبير من الصحابه رضوان الله عليهم، فنحن مع الرسول فى كل قول و مقوف، فان، اشاد اشدنا، و ان سكت سكتنا، ولكن ما نريد التاكيد عليه من خلال فهمنا للنصوص ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان بصدد اعداد على عليه السلام للخلافه من بعده دون باقى الصحابه، و يشهد لذلك جميع النصوص اليت سلف ذكرها، و النصوص الاخرى التى لم نذكرها، و التى

تكرس فكره الاستخلاف من خلال الاحاطه بجميع مقاييس الاستحقاق و الاولويه، فان كان القدم في الاسلام و الايمان، فان عليا هو اقدم الصحابه اسلاما و ايمانا، فقد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قد اشار اليه:

«ان هذا اول من آمن بي، و اول من يضافحني يوم القيامة، و هذا الصديق الاكبر، و هذا فاروق هذه الامه»(12).

و اذا كان المقياس القرابه و الصله فهو ابن عم الرسول و زوج البتول و ابوالسبطين.

و هو عليه السلام من النبي صلى الله عليه و آله و سلم و النبي منه، بل هو نفس النبي صلى الله عليه و آله و سلم بنص القرآن (فقل تعالوا ندع ابناءنا و ابنانكم و نساءنا و نساءكم و انفسنا و انفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين)(13).

و ايضا كما قال صلى الله عليه و آله و سلم: (هو عندي كنفسى)، و هذا التعبير هو اصرح التعابير عن توحيد الشخصيتين، من ناحيه المضمون و المحتوى الدينى و المعنوى. و معناه ان الامه اذا ارادت لحياء نبيها صلى الله عليه و آله و سلم ان تمتد بعد موته، فعليها ان تختار عليا عليه السلام من بعده، لانه نفسه و من طينته و يحمل في اعماقه ذات الخصائص النبويه و السمات المحمديه. و هذا ما لا ينطبق على اى من الصحابه مع ما لهم من كانه كبيره.

و هكذا القول بالنسبه لكل الخصائص الاخرى التي اشار اليها الرسول صلى الله عليه و آله و سلم في احاديثه عن علي عليه السلام، و لم نذكرها هنا، فهي تؤكد و تكرس فكره الاعداد لاستخلاف علي عليه السلام بامر من الله عز و جل دون باقى الصحابه. و الحقيقه ان فكره (الاعداد) لا استخلاف علي عليه السلام تستحق مدى اوسع من البحث و التحقيق لاستكشاف خطوات الرسول في هذا المجال و دراستها واحده واحده و بيان الحكمة و الهدفيه فيها، و الفرق بين ما صدر من الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بشأن علي عليه السلام و ما صدر بشأن الصحابه. فوجدت ان ذلك سيستوعب موضوع البحث و هو يستحق بذاته بحثا مستقلا. لاحظ مثلا حديث الغدير الذي تضمن من المعانى الهادفه التي لا يمكن ان نمر عليها مرورا عابرا كقوله صلى الله عليه و آله و سلم: (انى تركت فيكم الثقيلين احدهما اكبر من الاخر كتاب الله تعالى و عترتى فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) و امثالها.

فمن الواضح انها تؤكد على مرجعيه أهل البيت عليهم السلام على التسلسل الذي يبدا باميرالمومنين علي عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين، حتى تنتهى بالامام الحجه عجل الله تعالى فرجه اذ ماذا تعنى كلمه (عترتى) أو (عترتى أهل بيتى) غير علي و آله المعصومين الذين قرنهم الله عز و جل بكتابه الخالد. و هذا القرن بالنحو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بانهما (لن يفترقا حتى يردا على الحوض) يعبر عن طريقه خاصه على الاستدلال على مرجعيه أهل البيت، و ذلك لان قرنهم بالقرآن يعنى الاتباع و الانصياع و التمسك بهم، تبعا للامر باتباع القرآن و العمل بما فيه كما هو مفاد الكثير من الايات الكريمه، كما ان تعبيره صلى الله عليه و آله و سلم باهما لن يفترقا، (ولن) تفيد التابيد، يعنى ان القول بمرجعيه القرآن دون مرجعيه أهل البيت عليهم السلام لا يحقق الغرض من الشريعه، فلا بد من القرن بينهما كمصدر واحد لا يقبل التفريق، و ان اى عمليه تفريق بينهما تستوجب عقوبات مشدده في يوم الجزاء. و على هذا الضوء فان حديث الغدير في الوقت الذي نص على خلافه علي عليه السلام، نص كذلك على ولايه أهل البيت،

و مرجعيتهم التشيعيه و الفكرية و السياسيه، اذ لا معنى لقرنهم بالقرآن من دون ذلك.

و على صعيد الواقع نجد ان الصحابه بعد وفاه الرسول الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم اختاروا ابا بكر خليفه على المسلمين، و اهلوا عليا عليه السلام اهمالا تاما. و هنا نسال: هل يعقل ان تتجاهل الامه ما صدر من الرسول صلى الله عليه و آله و سلم

بشأن علي عليه السلام بمجرد لحوقه بالرفيق الاعلى؟

و اين ذهب عشرات الالف من الحجيج الذين رافقوا النبي صلى الله عليه و آله و سلم في حجه الوداع و سمعوا منه نص التصيب (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)؟

و اين أهل المدينة الذين كان صوت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم يملا اسماعهم بالوان من الاشاده بعلي و مكانته عندالله عز و جل و عند رسوله و اهتمامه الخاص به دون غيره؟

و لماذا تجاهل المجتمع تاريخ علي عليه السلام و سابقته في الاسلام و موافقه الجهاديه، و هي وحدها تكفي- حتى لو لم يكن هناك نص- لتوهله للخلافه، و تولى الامر بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم.؟

و هل سجل أهل المدينة و مجتمع الصحابه علي عليه السلام موقفا سلبيا تجاه الاسلام أو الرسول استحق به هذا الحجم من التنكر و التجاهل و الاهمال؟

مما لا ريب فيه ان هذه القضية في اطار معالجتها، و استكشاف الاسباب الحقيقيه التي كانت وراءها قد نالت قدرا وافرا من الاهتمام و البحث و التحقيق. و نحن هنا لا نريد ان نعالج القضية بنفس المنطق، و نكرر ما قاله الاجلاء من العلماء و الباحثين، من البحث في مداليل الالفاظ و محتوى النص، و هل الولي هو المحبوب أو الحاكم مثلا. أو نبحت الظروف التاريخيه و الاجتماعيه لابعاد علي و استخلاف ابي بكر، و الاجواء السياسيه التي رافقت ذلك الحدث كالسقيفه و امثال ذلك. لقد وقع ما وقع و ليس امامنا اليوم الا الحدث بعد وقوعه، و ما يهمننا الان هو دور الزهراء و موقعها في اطار هذا الحدث و دورها في احقاق الحق و اعادته إلى اهله ضمن التخطيط النبوي

لا كمال ميره النبوه و الاسلام، و لماذا اصر صلى الله عليه و آله و سلم على اشراك الزهراء في عمليه سياسيه معقده؟

و هل كانت الخيار الوحيد الممكن لتنفيذ اخطر مهمه نبويه بعد وفاته صلى الله عليه و آله و سلم؟

و لاجابه علي ذلك يجب ان نشير إلى حقيقتين:

الاولى تتعلق بالنص الشرعي هل يحقق- دائما- الغرض و المصالح الدينيه المقصوده منه، ام قد يفرع من محتواه، أو يهمل و يترك حسب الظروف السياسيه أو المصالح الشخصيه أو غيرهما؟

و الثانيه تتعلق بشخصيه الإمام علي عليه السلام و فهمه للاسلام و تربيته الرفيعه في مدرسه النبوه، التي جعلته على طول الخط، حازما في الحق، شديدا في الله تعالى، لا يعرف المجامله و المداهنه في دنيه. و نظره المجتمع و موقفه منه هل كان سلبيا ام ايجابيا؟

فمن خلال بحث الحقيقتين السالفتين يمكن ان نفهم بدقه جوانب مهمه من تخطيط الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لمرحله ما بعد وفاته، و هذا ما سنبحثه في الفصل التالي.

عقبات في طريق الاستخلاف

الحقيقه الأولى: النص قد لا يحقق الغرض

و هنا يجب ان نلاحظ من خلال الواقع التاريخي لرسالات السماء عموما، و تاريخ الرساله الاسلاميه خصوصا مقدار تأثير النص من جانب، و التحديات التي يواجهها من جانب آخر، و لا نستغرب النتائج التي ينتهي إليها البحث و ذلك لان مهمه الانبياء كانت

في ابرز صروها هو الجهاد لتثبيت النص في واقع الحياه الانسانيه ، و من اجله قاتلوا و قتلوا و عذبوا و نالهم من العذاب بما لا يحتاج إلى بيان.

و ينبغي ان نبحث الموضوع من خلال الحقائق التاليه:

الحقيقه الاولى: و هي هل ان النص يحقق الغرض المراد منه دائما، او لا؟

ان الاداه الاولى للتبليغ و الشتريع هو النص- الكتاب و السنه، فهو الوسيله الالوى في كل الشرايع السماويه و الأرضيه، و لكننا على صعيد الواقع نجد النص في بعض الاحيان، و في ظل ظروف خاصه، يفقد تأثيره بعد عمليات تحوير و تاويل تقع عليه فتفرعه من محتواه مع الاحتفاظ بشكله اللفظي، و صورته الظاهريه.

و ما من شك فان (النص) تاريخه الخاص من ناحيه التأثير، و يمكن ان نفرق بين مرحله اول النبوه، حيث حاله الشك و العناد و الكبرياء، و بين مرحله استقرار الاسلام في المدينه التي اتسمت بالاذعان لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، بعد ان اصبح الاسلام هو السطله الوحيدة الحاكمه في الجزير العربيه، فهو القاعده و غيره الاستثناء. و صار كلام الله عز و جل يتلا في كل مكان، و احكامه تطبق في ارجاء الجزيره، و اصبح الرسول صلى الله عليه و آله و سلم مطاعا في كل بقاعه.

و تميز النص القرآني- الذي هو اقدس النصوص- بالاعجاز من ناحيه المحتوى و التركيب اللغوي و البلاغي مما اضفى عليه قداسه كبيره و تأثيرا بالغا، فكانت الامه المسلمه تتجاوب معه من اعماقها، و تتأثر به غاية التأثير، لانها تدرك بعقلها و وجدانها انه كلام رب العالمين، و لا يمكن لبشر ان ياتي بمثله مهما كانت قدرته اللغويه و البيانيه عاليه.

و من الملاحظ ان الانسان، على امتداد التاريخ، يبدا صراعه مع النص حينما يقع التعارض أو التزاحم مع مصالحه أو عقائده، فيحاول ان يكيفه بما يخدم تلك المصالح، من خلال التاويل أو التفسير، الذي يفرغه من محتواه الحقيقي و يحوله إلى اتجاه آخر. لا بل تجد في احيان كثيره و من خلال تاريخ و مسيره الانبياء مع اممهم، ان المعجزه التي هي اهم وسائل الاقناع، لا تحقق الاثر المطلوب في الامه المومنه فضلا عن الكافره.

و لنحاول عرض بعض المواقف التي تؤكد ذلك و تثبت ان النص وحده قد لا يحقق الغرض.

فمن تاريخ الانبياء نجد صراعا حاميا بينهم و بين المومنين بهم، لابل مع المقربين منهم في تحدى النص الشرعي، و في بعض الاحيان تحدى المعجزه القائمه، فيحصل الحجاج و النقاش في ذلك، و قد يقع عدم النقياد و الاذعان لهما، و على سبيل المثال ما وقع لموسى عليه السلام مع قومه المومنين به و برسالته حين غاب عنهم لميقات ربه، فقال عز و جل حاكيا عن انحرافهم و تركهم عبادته و طاعته و شكر نعمته:

(و اذ واعدنا موسى اربعين ليله ثم اتخذتم العجل من بعده و انتم ظالمون. ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون. و اذ ءاتينا موسى الكتاب و الفرقان

لعلكم تهتدون. و اذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باخذكم العجل فتوبوا إلى بارنكم فاقتلوا انفسكم نلكم خير لكم عند بارنكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم)(14).

و حادثه اخرى تجسد حاله من العناد و العصيان لا و امر الله و رسوله في قصه ذبح البقره فقال تعالى:

(و اذ قال موسى لقومه ان الله يامرکم ان تذبحوا بقره قالوا اتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقره لا فرض و لا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تومرون. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقره صفراء فاقع لونها تسر الناظرين. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا و انا ان شاء الله لمهتدون.

قال انه يقول انها بقره لا ذلول تثير لارض و لا تسقى الحرث مسلمه لا شيه فيها قالوا الان جنت بالحق فذبوها و ما كادوا يفعلون. و اذ قلتم نفسا فاداء تم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى و يريكم آياته لعلمك تفعلون. ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجاره أو اشد قسوه و ان من الحجاره لما يتفجر منه الانهار و ان منها لما يشقق فيخرج منه الماء و ان منها لما يهبط من خشيه الله و ما الله بغافل عما تعملون(15).

ان هاتين الحادثتين، كانتا من الناحيه الزمنيه، بعد معجزه عبورهم البحر، و نجاتهم من فرعون و جنوده، و هلاك عدوهم بالغرق في مشهد منهم، و هم ينظرون إلى قدره الله و رحمته، و مع ذلك فقد تحدوا النص و المعجزه في وقت واحد، و اظهروا تكبرا و تحديا، و لا اقل من خطابهم لموسى عليه السلام بقولهم (ادع لنا ربك) و لم يقولوا (ربنا).

و من تلك الوقائع، ما حدث لعيسى عليه السلام مع قومه، و منهم الحواريون، الذين هم صفوه القوم، و المقربين منه فقد قال الله عز و جل عنهم:

(و اذ اوحيت إلى الحواريين ان آمنوا بى و برسولى قالوا آمنا و اشهد باننا مسلمون. اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائه من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مومنين. قالوا نردى ان ناكل منها و تطمنن قلوبنا و نعلم ان قد صدقتنا و نكون عليها من الشاهدين. قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائه من السماء تكون لنا عيدا لاولنا و اخرنا و ايه منك و ارزقنا و انت خير الرازقين.

قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين(16).

يحدث هذا الامر الغريب من الحواريين، و هم الذين شاهدوا آيات الله تعالى تقع على يد عيسى عليه السلام، و تشهد له بالنبوه، كاحياء الموتى، و ابراء الاكمه و الابرص، و الاخبار عن المغيبات، فما الذي جعلهم يطلبوا من عيسى انزال مائه من السماء ل(تطمنن قلوبنا و نعلم ان قد صدقتنا) الم يكتفوا باحياء الموتى و ابراء الاكمه و الابرص؟ اليس هذا يشهد ان مساله الايمان الحقيقى الصادق قد لا يتحقق حتى بالمعجزه فضلا عن النص! و ان كل ما نراه ملاكا تماما لوجوب الازعان و التسليم كالمعجزه مثلا قد لا يحقق الغرض.

و في القرآن الكريم العديد من النماذج التي تؤكد هذا المعنى كقصه الناقه، و قصه سفينه نوح عليه السلام و امثالهما، و هي كلها تشير إلى مواقف تحدى النص أو المعجزه، اما من قبل امم أو افراد ذا اشان منهم.

و في تاريخ النبوه الخاتمه نجد العشرات من الامثله التي تتحدث عن نفس الموضوع، و عن روح التعنت، و مخالفه الاوامر و تحديها، و نجد ان روح التحدى

و العناد لا تقف عند مخالفه امر من اوامر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم يكتنفه شيء من الغموض يقتضى قدرا من الجهد في فهمه، مما قد يودى إلى نوع من المخالفه لامره صلى الله عليه و آله و سلم، بل ان روح التحدى تتجاوز النص، لتصل إلى الرسول نفسه، فتتمثل تاره بموقف على شكل اضراب عام، و اتفاق على عدم الاستجاباه له، رغم اصراره صلى الله عليه و آله و

سلم على تنفيذ هذا الامر. و تاره يقوم إليه احد الصحابه فيعتته من ثيابه، ليمنعه بالقوه من القيام بعمل من الاعمال. و تاره يعترض عليه بروح المحاججه في خلفه للوعد، كما يزعم هذا الصحابي أو ذاك. و لنقف مع بعض تلك المواقف موكدين مره اخرى ان الهدف ليس التعريض باحد من صحابه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و انما لان ما سنذكره حقائق تاريخيه مرويه في كتب الصحاح و السيره و التاريخ و تشهد على ما تقول.

الموقف الاول:

ما وقع لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في صلح الحديبيه بعد ان صدته قريش عن حج بيت الله الحرام في السنه السادسه من الهجره، بعد بيعه الرضوان، التي احدثت هزه عفيفه في نفوس القرشيين، ودويا هانلا، و رعبا كبيرا في قلوبهم، لانهم علموا ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم، مصمم على نشر الدعوه، و اعلاء كلمه الحق، و ان كلفه ذلك التضحيه بحياته. فقد بلغ قريش انه صلى الله عليه و آله و سلم قال:

(يا ويح قريش نهكتهم الحرب فماذا عليهم لوخلوا بيني و بين العرب فان هم اصابوني كان الذي ارادوا، و ان اظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام و افرين، و ان ابوا قاتلوني و بهم قوة. فما تظن قريش فوالله الذي لا اله الا هو لا ازال اجاهد على الذي بعثني به ربي حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفه(17)) (18).

فلما علمت قريش بذلك استقر رايها على الصلح و الموداعه فارسلوا إليه عده

من كبارهم كان على راسهم سهيل بن عمرو بن عبدود العامري، فتصالح مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، على ان يرجع النبي صلى الله عليه و آله و سلم باصحابه من الحديبيه، فاذا كان العام المقبل، تخرج قريش من مكه، فيدخلها الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، مع المسلمين فيقيم بها ثلاثا، و ليس مع من السلاح سوى السيوف في القرب، و ان توضع الحرب بينه و بينهم عشر سنين، و انه من احب من العرب ان يدخل في عقد محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و عهده دخل فيه، و من احب ان يدخل في عقد قريش و عهدهم دخل فيه، و انه من اتى محمدا من قريش ممن هو على دين محمد بغير اذن وليه رد إليه، و من اتى قريشا ممن كان مع محمد فارتد عن الاسلام لا ترده قريش إليه. و ذكروا شروطا اخرى تتعلق بالموداعه.

و لا اظن ان مسلما يشك في ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يعمل وفق وحى السماء، و ما ينزل به جبرئيل من عند رب العالمين في هذا المورد بالذات. و حتى لو فرضنا ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم قبل بهذه الشروط ابتداء من دون وحى، فان ذلك يكفي للادعان بما ارتضاه لانه المصدر الثاني للتشريع، (و ما كان لمؤمنو لا مومنه اذا قضى الله و رسوله امرا ان يكون لهم الخيره من امرهم)(19).

و لا معنى- على ضوء المنطق الايماني- للنقاش و الاحتجاج بعد قبوله للصلح وفق الشروط المذكوره. و ما يقتضيه الايمان و التسليم من الصحابه جميعا، ان يقولوا رضينا بما رضى به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و لكن لنرى ماذا كان موقف الصحابه، و المبرزين منهم بالذات، فهل اذعنوا لرسولهم و سمعوا و اطاعوا؟

يقول المورخون و اصحاب الحديث، انه بعد ان كتب الإمام علي عليه السلام كتاب الصلح قال صلى الله عليه و آله و سلم لاصحابه: قوموا فاتحروا ثم احلقوا.

قال: فوالله ما قام منهم رجل. حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم احد دخل صلى الله عليه و آله و سلم خباءه ثم خرج فلم يكلم احدا منهم بشيء حتى نحر بدنة بيده، و دعا حالقه فحلق رأسه(20).

هذا هو موقف الصحابه في لحظه حرجه من تاريخ الدعوه الاسلاميه تمثل باضراب عام عن طاعه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.

اما خواص الصحابه المحيطين بالرسول ليلا و نهارا، العارفين به و بحكمته و حرصه على الاسلام فلنا خذ موقف النموذج الكبير، المتمثل بالخليفه الثاني عمر بن الخطاب، فقد روى البخارى في صحيحه الواقعه التاليه:

قال عمر لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: الست نبى الله حقا؟

قال: بلى.

قلت: السنا على الحق و عدونا على الباطل؟.

قال صلى الله عليه و آله و سلم: بلى.

قلت: فلم نعطى الدنيه في ديننا اذا؟.

قال صلى الله عليه و آله و سلم: انى رسول الله و لست اعصيه و هو ناصرى.

قلت: أو ليس كنت تحدثنا انا سناتى البيت نطوف به؟

قال صلى الله عليه و آله و سلم: بلى، افا خبرتك انا ناتييه العام؟

قلت: لا.

قال صلى الله عليه و آله و سلم: فانك آتياه و مطوف به.

قالعمر: فاتيت ابابكر فقلت:

يا ابابكر اليس هذا نبى الله حقا؟

قال: بلى.

قلت: السنا على الحق و عدونا على الباطل؟

قال: بلى.

قلت: فلماذا نعطى الدنيه في ديننا اذا؟

قال: ايها الرجل انه لرسول الله و ليس يعصى ربه و هو ناصره، فاستمسك بغرزه فو الله انه لعلى الحق.

فقلت: اليس كان يحدثنا انا سناتى البيت و نطوف به؟

قال: بلى، افاخبرك انك تاتييه العام؟

قلت: لا.

قال: فانك آتياه و مطوف به.

قال عمر فعملت لذلك اعمالا(21).

و قد اشار الإمام علي عليه السلام إلى هذه الحادثه و غيرها من محاولات الاعتراض على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم

بقوله: و قد علم المستحفظون من اصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم انى لم ارد على الله و لا على رسوله ساعه قط...

و علق ابن أبي الحديد على ذلك بقوله (و اعلم ان هذا الخبر صحيح لا ريب فيه، والناس كلهم رووه، و ليس عندى بقبيح و لا

مستهجن ان يكون سوال هذا الشخص لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عما ساله عنه على سبيل الاسترشاد، و التماسا

لطمانيه النفس فقد قال الله لخليله ابراهيم (او لم تومن قال بلى ولكن ليظمنن قلبى) و قد كانت الصحابه تراجع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في الامور، و تساله عما يستبهم عليها و تقول له: اهذا منك ام من الله؟ و قال له السعدان- سعد بن معاذ و سعد بن عباد- رحمهما الله يوم الخندق، و قد عزم على مصالحه الاحزاب ببعض تمر المدينة: اهذا من الله ام راى رايته من نفسك؟ قال: بل من نفسى. قالوا: لا والله لا نعطيهم منها تمره واحده و ايدينا في مقابض سيوفنا.

و قالت الانصار له يوم بدر، و قد نزل بمنزل لم يستصلحوه: انزلت هذا المنزل

عن راى رايته ام بوحى اوحى اليك؟ قال: بل عن راى رايته. قالوا: انه ليس لنا بمنزل ارحل عنه فانزل بموضع كذا(22).

و نحن لا نشك ان الصحابه كانوا حريصين على الدعوه الاسلاميه، و على اعلاء كلمه الله، و محاربه الفكر و الطاغوت، و ارغام قريش- في ذلك الوقت- على الخضوع و الاستسلام. و لكن ذلك لا يعنى انهم احرص على الاسلام من رسوله صلى الله عليه و آله و سلم اولاً، كما انه لا يبرر لهم اتخاذ موقف موحد، أو اضراب عام، احتجاجاً على موقفه صلى الله عليه و آله و سلم ثانياً.

ان ما وقع ليس (نصاً) يحتمل التاويل و انهم هى ممارسه حيه لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و هو يرسم منعظاً من اهم منعظفات الاسلام فكيف اعترض الخليفه الثاني و معه الصحابه على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فامتنعوا عن الذبح و الحلق و هو حى بينهم؟ و اذا كانت شهامه بعض الصحابه، و حرصهم على الاسلام، دفعهم إلى اتخاذ هذا الموقف، فماذا لا نتوقع ان يحدث نفس الشيء لنصوص اكثر اهميه من صلح الحديبيه فتغير، أو تهمل، أو تخالف بدافع الغيره و الحرص و الشهامه على الاسلام، في فتره ما بعد الرسول؟

و يشهد على وقوع المخالفه ندم الخليفه الثاني عمر بن الخطاب فيما بعد- اى في فتره خلافته- حيث قال: مازلت اصوم و تصدق و اصلى و اعتق مخافه كلامى الذي تكلمت به(23) اى في قصه صلح الحديبيه.

الموقف الثاني:

و نرى هنا مشهداً و نموذجاً من عدم التسليم و الاذعان لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و الذي يفترض بالصحابه انهم اكثر تفاعلاً و استجاباً للرسول صلى الله عليه و آله و سلم و لكن

سنلاحظ التباين بين النظرية و التطبيق في مجال الممارسه العمليه و ذلك حينما يشير النبى صلى الله عليه و آله و سلم إلى ظاهره ايمانيه مزيفه و هى التي عبر عنها القرآن الكريم ب(النفاق) و يطلب من الصحابه اجتناب احد رموزها الخبيثه و القضاء عليه.

فهل استجاب الصحابه لامر واضح صدر من الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بقتل منافق متستر بالدين و الشعائر الاسلاميه؟
والقصه كما يلى:

يروى انس فيقول:

كان في عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رجل يعجبنا تعبه و اجتهاده، و قد ذكرناه لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم باسمه فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينما نحن نذكره اذ طلع الرجل علينا فقلنا: هو هذا.

قال صلى الله عليه و آله و سلم: انكم لتخبرونى عن رجل ان في وجهه لسفحه من الشيطان.

فاقبل حتى وقف عليه و لم يسلم.

فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: انشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم احد افضل منى أو خير منى؟

قال: اللهم نعم.

ثم دخل يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من يقتل الرجل؟

قال ابوبكر: انا، فدخل لعيه فوجده يصلي فقال سبحان الله اقتل رجلا يصلي و قد نهى رسول الله عن قتل المصلين!

فخرج فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما فعلت؟

قال: كرهت ان اقتله و هو يصلي و قد نهيت عن قتل المصلين.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من يقتل الرجل؟

قال عمر: انا. فدخل فوجده واضعا جبهته. قال عمر: ابوبكر افضل مني. فخرج فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهيم؟

قال: وجدته واضعا جبهته لله فكرهت ان اقتله. فقال صلى الله عليه وآله وسلم من يقتل الرجل؟

فقال علي: انا.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: انت ان ادركته. فدخل عليه فوجده قد خرج.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: لو قتل ما اختلف من امتي رجلا(24) هذا الرجل الذي امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتله هو ذو النديه و يسمى بذي الخويصره التميمي حرقوص بن زهير، و هو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

سلم- كما اخرج مسلم في صحيحه- حينما كان يقسم المال: يا رسول الله اعدل! فقال له: ويلك من يعدل اذا لم اعدل.

و هو راس الخوارج و قد ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اخبار المغيبات فقال: آيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدى المراه، أو مثل البضعة تدردر، و يخرجون على حين فرقه من الناس.

قال ابوسعيد: فاشهد اني سمعت هذا الحديث من رسول الله، و اشهد ان علي بن ابي طالب قاتلهم و انا معه، فامر بذلك الرجل فالتمس فاتى به حتى نظرت اليه على نعت لابنى صلى الله عليه وآله وسلم الذي نعتة(25).

فهل فعل النص شيئا تجاه الظاهره المزيفه المتلبسه بالدين، و الرسول فيهم يامرهم بقتل راسها و القضاء عليه؟ ان تحليلا بسيطا لما جرى سيؤكد ان تاثر الصحابه ببعض اساليب المنفقين و تسترهم بلباس التقوى و الورع و داء بعض الشعائر كان اقوى في تأثيره من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، رغم علمهم انه صلى الله عليه وآله وسلم المقياس الحقيقي للالتزام الحقيقي بالاسلام.

الموقف الثالث:

ما وقع من خالد بن الوليد الصحابي المعروف بموافقه الكثيره، نجد هذا الصحابي في موقف له يتجاهل النص و يتجاوزه بصراحه و جراه على ما يروى صاحب الاستيعاب في قصه بطشه ببنى جذيمه و خلاصه القصة:

ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث خالدًا في ثلاثمانه من المهاجرين و الانصار بعد فتح الحديبيه إلى بنى جذيمه داعيا إلى الاسلام، و لم يبعثه مقاتلا- و كان بنو جذيمه قتلوا في الجاهليه عمه الفاكه بين المغيره- فلما جاءهم بمن معه قال لهم: ضعوا اسلحتكم فان النساء قد اسلموا. فوضعوا اسلحتهم، و امر بهم فكتفوا، ثم عرض على السيف فقتل منهم مقتله عظيمه فلما انتهى الخبر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفع يديه إلى السماء فقال: اللهم انى ابرا اليك مما صنع خالد بن الوليد، اللهم انى ابرا اليك مما صنع خالد بن الوليد(26).

ثم ارسل صلى الله عليه وآله وسلم عليا عليه السلام و معه مال و امره ان ينظر في امرهم، فودى لهم الدماء و الاموال حتى انه ليدي ميلغة الكلب(27).

فنرى هنا خالد بن الوليد- و هو من ظليعه الصحابه- لا يتحدد بالنص و لا يلتزم به بل و يعمل بخلافه تماما اذ ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يبعثه مقاتلا و انما بعثه داعيا إلى الاسلام، و مع ذلك فانه بداهم بالقتل، و هم آمنون بدعوته لهم بالقاء السلاح.

الموقف الرابع:

و في هذا الموقف نعيش مع لحظه غضب للخليفه الثاني عمر بن الخطاب دعتة إلى جذب الرسول من ثوبه مستكرا عليه عملا قام به لمصلحه الاسلام و المسلمين، ثم هو بعد سنوات يندم على ذلك مما سنرى و خلاصه القصة كما جاءت في صحيح البخارى و كنز العمال كما يلي:

قال عبدالله بن عمر: لما توفى عبدالله بن ابي جاء ابنه فقال: يا رسول الله اعطني قميصك اكفنه فيه، و صل عليه و استغفر له. فاعطاه قميصه- و قد قيل له الم اعطيتة قميصك؟! فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان قميصى لم تغن عنه من الله شيئا، و انى ارجو ان يدخل به في الاسلام خلق كثير- و قال له:

اذا فرغت منه فاذنا به، فجاء صلى الله عليه وآله وسلم ليصلى عليه ف جذبته عمر فقال له: اليس قد نهاك الله ان تصلى على المنافقين فقال لك (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مره فلن يغفر الله لهم)؟.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اخر عنى يا عمرانى خيرت، قيل لى (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مره فلن يغفر الله لهم) فلو اعلم انى زدت على السبعين غفرا لله له لزدت. ثم صلى عليه و مشى خلفه(28).

و قد اسلم بعد ذلك من قوم عبدالله بن ابي الف رجل تائرا بموقف الرسول. و كان صلى الله عليه وآله وسلم قد صلى على عبدالله بن ابي قبل نزول قوله تعالى (و لا تصل على احد منهم مات ابدا و لا تقم على قبره).

و بعد سنوات من ذلك و بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ندم عمر بن الخطاب على موقفه فاقول:

اصبت في الاسلام هفوه ما اصبت مثلها قط، اراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يصلى على عبدالله بن ابي فاخذت ثوبه فقلت: والله ما امرك الله بهذا لقد قال الله لك (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مره فلن يغفر الله لهم) فقال رسول الله: خيرنى ربي فقال: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) فاخترت(29).

من الصعب ان نبرر موقف الخليفه الثاني في هذه الواقعة بغير تحدي النص، اذ ليس من المعقول ان يكون عمرا أو الناس اجمعين احرص من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، على كيان الاسلام أو حفظ مصالحه، فما هو السبب الذي جعل عمر يجذب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من ثوبه، هل كان لحكمة لا يعرفها الرسول، أم هو خطأ وقع فيه صلى الله عليه وآله وسلم و هو الذي لا ينطق عن الهوى؟

ان مقتضى القاعده ان يتجاوب عمر و المسلمون مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في موقفه إذعانا لقوله تعالى (و ما كان لمومن و لا مومه اذا قضى الله و رسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم) و يدع عمر اجتهاده و حرصه جانباً و يتمسك بروح العبوديه و الطاعه، و كذلك يجب ان يفعل كل مسلم آمن بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فهل يمكن بعد هذا ان نفترض ان النص يمكن ان يؤدي الغرض، و يحقق النتيجة دانما، و نحن نرى خير الخلق يجذب من ثوبه -
اعتراضا عليه - لمنعه من القيام بعمل ما؟

الموقف الخامس:

هو المعروف برزية يوم الخميس، حيث كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على فراش الموت، فاراد ان يحسم امر الخلافة
و الحكم من بعده، فطلب دواه و صحيفه ليكتب للامه كتابا لن تضل بعده ابداء، و خلاصه ما جرى كالتالى:

اخرج البخارى في صحيحه بسنده إلى عبيدالله بن عبدالله بن مسعود عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله صلى الله عليه و آله
و سلم و في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: هلم اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده.

فقال عمر: ان النبي قد غلب عليه الوجع و عندكم القرآن، حسبنا كتاب الله.

فاختلف أهل البيت فاختموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتابا لن تضلوا بعده، و منهم من يقول ما قال عمر، فلما
اكثروا اللغو و الاختلاف عند النبي قال لهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

قوموا عنى:

فكان ابن عباس يقول: ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله و بين ان

يكتب ذلك الكتاب من اختلافهم و لغطهم(30).

و في روايات اخرى جاءت العبارة بصيغته:

(هجر رسول الله).

او (ان النبي يهجر).

و مهما يكن الامر، و هل قال عمر ان البنى غلبه الوجع، أو ان النبي يهجر، فاننا نعتقد ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم
في صحته أو مرضه على حد سواء، فهو رسول رب العالمين في الصحة و المرض، و ان ما يصدر منه منقول ان عمل في مرضه،
يمتلك نفس الحبيه فيما لو كان قد صدر منه في صحته، لا فرق عندنا في ذلك، و هو اجماع الامه الاسلاميه بكل مذاهبها و فرقها
الا من شد منهم، و ما يهمنا الان هون فهم الاسباب و لظروف التي تحجم النص الشرعى، و تحرفه عن اتجاهه و تجعله في بعض
الاحيان عديم الجدوى.

و الذي يظهر من نصوص واقعه (أتونى اكتب لكم كتابا) و هى كثيره ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم فاجا الجميع بقوله
(أتونى بدواه و صحيفه اكتب لكم كتابا) باراده مباشره الكتابه بخط يمينه، و ليس املاء، كما كان يفعل في الامور الاخرى، بما في
ذلك القران الكريم نفسه.

و هذه هى المره الوحيدة في جميع كتبه و مراسلاته، و في جميع مراحل حياته بعد النبوه يطلب فيها الكتابه بهذا النحو يشهد لذلك
قوله صلى الله عليه و آله و سلم (أتونى... اكتب لكم كتابا) أو (أتونى بكتاب اكتبه لكم) فانه يدل على انه صلى الله عليه و آله و سلم
سلم اراد مباشره الكتابه بيده لآكريمه و الا فان بامكانه ان يقول ما كان يريد كتابته امام الحاضرين، أو ان يامر من كان يفرا و
يكتب من الحاضرين بكتابته ما يريد من دون حاجه إلى ان يقول (أتونى...).

و يشهد لذلك ايضا قول الموافقين للكتابته كما في صحيح البخارى حيث جاءت العبارة هكذا (قربوا يكتب لكم) فلمن يقربون الدواه و
الصحيفه اذا لم يكن هو الذي اراد مباشره الكتابه؟

و هذا الامر هو الذي جعل عمر بن الخطاب يتفاجىء من قول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فقال كلمته المشهوره انه يهجر، أو غلبه الوجد لان الطلب كان غريبا، فهو يعتقد كما هو حال باقى المسلمين ان الرسول لا يقرأ و لا يكتب، فكيف يقول آتونى بدواه و صحيفه اكتب لكم كتابا. و يشهد لصحة هذه الرويه من ان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم اراد مباشره الكتابه بنفسه ما جاء في الصحيحين ايضا خرجاه معاه عن ابن عباس انه كان يقول: يوم الخميس و ما يوم الخميس، ثم بكى حتى بل دمعاه الحسا فقلنا: يا ابن عباس و ما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و جعه، فقال: آتونى بكتاب اكتبه لكم- و لفظ مسلم: انتونى اكتب لكم كتابا لا تظلوا بعدى ابدًا. فتنازعوا. فقال قائل: ما شانه؟ اهجر؟ استفهموه. فذهبوا يعيدون عليه: فقال: دعونى و الذي انا فيه خير من الذي انتم فيه...)(31).

فما معنى (استفهموه! فذهبوا يعيدون عليه) أو (آتونى بكتاب اكتبه لكم) غير الذي ذكرناه.

و لو افترضنا صورته عكسيه لما وقع وقلنا مثلا ان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كان يقرأ و يكتب، و الناس تعرف ذلك ثم طلب صلى الله عليه و آله و سلم و هو لعى فراش الموت دواه و صحيفه ليكتب كتابا فهل سيكون طلبا غريبا يستوجب ان يقول احد (انه يهجر) أو (استفهموه)؟ و لم نجد اى اعتراض على طلبات النبى صلى الله عليه و آله و سلم الاخرى التي رافقت طلب كتابه الكتاب كقوله صلى الله عليه و آله و سلم: قوموا عنى، فقاموا أو اكرام الوفود أو اخراج المشركين من الجزيره أو تجهيز جيش اسامه و غير ذلك، و لم يقل احد انه هجر، فلماذا في هذا المورد بالذات اتهم النبى بانه هجر؟

من هنا استطاع عمر ان يوجد في داخل الجماعه المتواجده في البيت النبوى، تيارا يويد رويته، فقالوا معه حسابانا كتاب الله، متسفيدا من غرابه طلب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بالكتاب، اذ ليس من المعقول ان يتمكن عمر من استحصال تاييد كبير، أو قل اتجاه واسع في صفوف الحاضرين من دون وجود محفز ظاهرى مثير، فعمر لم يكن يملك تاثيرا على المسلمين و لم يذكر المورخون انه كان يتمتع بقوه ماديه، و لا رصيد اجتماعى، للتاثير على الحاضرين للحد الذي يستطيع ان يحول بين النبى صلى الله عليه و آله و سلم و آله و سلم و كتابه الكتاب. خاصه و ان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم في هذه الفتره من حياته كان يتمتع باحترام جميع المسلمين على اختلاف دوافعهم للاحترام، بينما لا يملك عمر ذلك.

اما الدافع الحقيقى الذي دفع عمر للتصريح بكلمته هذه، فهو ما بينه بنفسه فيما بعد، اذ يروى ابن ابي الحديد عن عمر فيقول: «ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اراد ان يذكره- لعلى- للامر في مرضه، فصدته عنه خوفا من الفتنة و انتشار امر الاسلام»(32).

و روى ايضا عن ابن عباس رضى الله عنه قال:

دخلت على عمر في اول خلافته، و قد القى له صاع من تمر على خصفه، فدعانى إلى الاكل، فاكلت تمره واحده، و اقبل ياكل حتى اتى عليه، و استلقى على مرفقه له، و طفق يحمد الله، يكرر ذلك، ثم قال: من اين جنت يا عبدالله؟ قالت: من المسجد.

قال: كيف خلفت ابن عمك؟

- فظننته يعنى عبدالله بن جعفر-

قلت: خلفته يلعب مع اترابه.

قال: لم اعن ذلك، و انما عنيت عظيمكم أهل البيت.

قلت: خلفته يمتح بالغرب- اى بالدلو- على نخيلات من فلان و هو يقرأ القرآن.

قال: يا عبدالله عليك دماء البدن ان كتمتنيها، هل بقى في نفسه شيء من امر الخلافة؟

قلت: نعم.

قال: ايزعم ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نص عليه؟

قلت: نعم، و ازيدك سالت ابي عما يدعيه فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في امره ذرؤ،- اى طرف- من قول لا يثبت حجه و لا يقطع عنرا، و لقد كان يربع في امره وقتا ما، و لقد اراد في مرضه ان يصرح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقا و حيطة على الاسلام، لا و رب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش ادبا، و لو وليها لا نتقضت عليه العرب من اقطارها، فعلم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انى علمت ما في نفسه فامسك، و ابي الله الا امضاء ما حتم(33).

اما الذين قالوا: قربوا يكتب لكم كتابا، فهم يرون ان الذين يعقه مويدا بالايات و البيئات و المعجزات، قادر على الهامه القراءه و الكتابه في لحظه واحه فيكتب ما يريد كتابه و لو على نحو الاعجاز.

و من هنا سيكون هذا الكتاب- اضافه الى محتواه الكبير في تحديد مستقبل الخلافة و نظام لحكم- مقرونا باخر و اجمل معجزه- باستثناء القرآن- لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ستاخذ طريقها الى قلوب المسلمين و المومنين الى قيام يوم الدين، و سوف لن تضل الامه بعده ابدا، لانه سيحدد خط الإمامة و الخلافة من بعده فلا يقع اختلاف و لا ضلال.

و على كل حال فان عمر بن الخطاب حرص على منع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من كتابه الكتاب، و وافقه على ذلك عدد كبير من الصحابه.

هذا كله و الرسول صلى الله عليه و آله و سلم حى يرزق و هو بكالم خصائصه الانسانيه و الدينيه مما اثار غضبه صلى الله عليه و آله و سلم فخطب الحاضرين بكلمته المشهوره (قوموا عنى). و لم نعهد

من صاحب الخلق العظيم حده أو الما دعاه إلى رده فعل اكثر من السكوت، أو في اشد الحالات ظهور علامات عدم الارتياح على وجهه، اما ان يغضب فيقول قوموا عنى فهى المره الاولى و الاخيره في حياته صلى الله عليه و آله و سلم.

و مما يجب ان نشير إليه في النهايه هو اننا من خلال استقراء امثال الوقائع التي ذكرناها نلاحظ ان النص الشرعى ينال التقديس و الاحترام اذا كان يتعلق بالامور العباديه ذات الطابع الشخصى كالصلاه و الصيام و امثالهما فلا نجد في امثال هذه المواضيع اى شكل من اشكال الاعتراض أو النقاش أو التحدى.

و اما النص الذي يتعلق بالامور الاقتصاديه أو السياسيه أو الاجتماعيه فانه كثيرا ما يواجه مصاعب في مجال الازعان أو التطبيق، و معه تبدا محاولات التغيير، كالحرص على عدم تفرق الامه، أو خوف الفتنة، أو الحيطة على الاسلام، و امثال ذلك من المبررات الحق، التي لا يراد بها الحق، لاننا لا يمكن ان نفترض احدا في الدنيا احص من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على الاسلام و وحده الامه الاسلاميه.

الحقيقه الثانيه: شخصيه الإمام علي

والحديث في هذا الموضوع يتم من خلال محاور ثلاثه:

1- الخصائص الذاتية لشخصية الإمام علي عليه السلام.

2- العدل المطلق في حياه علي عليه السلام.

3- تركيبه مجتمع الصحابه و موقع علي عليه السلام فيها.

المحور الاول: الخصائص الذاتية

الخصائص الذاتية لعلي عليه السلام بقدر ما تحمل من عظمه سببت له مشاكل و مصاعب بنفس المستوى رافقته في جميع مراحل حياته، و افرزت له قطاعات واسعه من الاعداء، حركهم الحسد و الغيره و المصالح الذاتية للانتقام منه بمختلف الوسائل.

ان الإمام علي عليه السلام ربيب النبوه، و التلميذ الاول لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تلقى علي

يديه الكريمتين، جميع مكارم الاخلاق و العلم و المعرفة، يقول صلوات الله و سلامه عليه.

(وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابه القريبه و لامنزهه الخصيصه، وضغني في حجره و انا ولد يضمنى إلى صدره، و يكفني في فراشه و يمسنى جسده، و يشمنى عرفه، و كان يمضغ الشيء ثم يلقمينه، و ما وجد لى كذبه في قول، و لا خطله في فعل).

و لقد كنت اتبعه اتباع الفصيل لآثر امه، يرفع لى في كل يوم من اخلاقه علما، و يامرني بالافتداء به...)(34).

و يقول عليه السلام ايضا:

ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم آيه الا اقرانيها و املاها على فكتبتها بخطى، و علمنى تاويلها و تفسيرها، و ناسخها و منسوخها، و محكمها و متشابهاها، و خاصها و عامها، و دعا الله ان يعطينى فهمها و حفظها، فما نسبت آيه من كتاب الله تعالى و علما املاه على و كتبتة منذ دعا الله لى بما دعا، و ما ترك رسول الله علما علمه الله من حلال أو حرام، و لا امر و لا نهى كان أو يكون الا علمنيه و حفظته، و لم انس حرفا واحدا منه...)(35).

هذه الميزات الفريده في تربيته النبى صلى الله عليه و آله و سلم له و تعليمه، و اثاره له من دون باقى الصحابه، و انتمائه على سره و امره، و تزويجه ابنته الصديقه فاطمه، و اهتمامه البالغ به، و غير ذلك مما يشاكل هذه الامور استوجب حسدهم له، و غيظهم منه. و لم يبق ذلك حبيس نفوسهم و ساكن سرهم بل طفحت من بعضهم نيران الحسد، و ظهر منهم الحقد و الغضب، فاتهموا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بانهم يحابى عليا عليه السلام بدافع القرابه و المصاهره، حتى بدت الكراهه في وجوه الصحابه لذلك، فعن جابر قال ناجى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على بن ابي طالب يوم الطائف فاطال مناجاته، فرأى الكراهه في وجوه رجال، فقالوا قد اطال مناجاته منذ اليوم. فقال: ما انا انتجيتة ولكن الله عز و جل انتجاه(36).

فاكن من الصعب على بعضهم ان يجدوا لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نظيرا له في خلقه و عدله و تتمره في ذات الله تعالى، و حرصه على الاسلام، و بطشه بعروش الكفر و عادات الجاهليه.

و كان الجميع يعلم ان عليا عليه السلام لو ولى الخلافة ما كان ليعدل عن سنه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قيد انمله، و لعمل بما كا يعمل به صلى الله عليه و آله و سلم و لسار على هديه و شريعته. و هذا ما لم يكن يرق لعدد كبير من المستسلمين، من ذوى الجاه و السلطان و الحكم و الرياسه، من الذين لم تكن صدورهم تتسع لشخص آخر كمحمد صلى الله عليه و آله و سلم بعد له و حزمه في تطبيق الحق و العدل.

ان الإمام علي عليه السلام يمثل الامتداد الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لانه عدیل نفسه بنص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، اذ يروى ابن أبي الحديد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما هدد بني وليعه قال لهم: لتنتهن با بني وليعه أو لا بعثن عليكم رجلا عدیل نفسى يقتل مقاتلتكم و يسبى ذراريكم. قال عمر بن الخطاب: فما تمنيت الاماره الا يومئذ و جعلت انصب له صدرى رجاء ان يقول: هو هذا، فاخذ بيد على و قال: هو هذا(37) .

هذا التمثيل الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و انه عدیل نفسه سبب لعلي عليه السلام مشكله حقيقه امتدت معه امتداد العمر، و عانى من تبعاتها في حياته و بعد موته، بل و امتدت إلى آله و ذريته، فكان الحاقدون الموتورون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرون في الانتقام من علي عليه السلام انتقاما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عليه السلام:

كل حقد حقدته قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اظهرته في،

و ستظهره في وليدى من بعدى، مالى و لقريش! انا و ترتهم بامر الله رسوله، افهذا جزاء من اطاع الله و رسوله ان كانوا مسلمين(38).

و يقول ايضا:

«اللهم انى استعديك على قريش، فانهم اضمروا لرسولك صلى الله عليه وآله وسلم ضروبا من الشر و الغدر، فجزوا عنها، و حلت بينهم و بيننا، فكانت الوجبه بى، و الدانه على»(39).

و لا نستغرب ذلك لان واقع الحال بعد وفاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كشف عن حقيقه مره، و هى ان شطرا من (المسلمين) كان اعتناقهم للاسلام استسلاما للواقع، بحكم ان التيار العام كان لصالح الاسلام، و ان التظاهر بغير ذلك يهدد مصالحهم الشخصيه، و هم في حقيقتهم لا زالوا يحملون في اعماقهم افكار الجاهله و عاداتها و تقاليدھا و كانت نظرتهم إلى الاسلام و رسوله القائد صلى الله عليه وآله وسلم نظره ماديه بحتة، و ان ما حققه ليس الا مجدا شخصيا استطاع بذكائه ان يقيمه على انقاض المجتمع العربى المتفكك، لا علاقہ له بوحى و لا نبوه يقول ابوسفیان لعثمان بن عفان بعد ان ولى الخلافة: بابى انت انفق و لا تكن كابى حجر، و تداولوها يا بنى اميه تداول الولدان الكره، فوالله ما من جنه و لا نار..(40).

و ايضا يشهد لذلك حركه الارتداد الواسعه التي وقعت بعد وفاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مباشره يقول ابن الاثير في الكامل:

فتوفى النبي صلى الله عليه وآله وسلم و لم يسر الجيش و ارتدت العرب اما عامه أو خاصه من كل قبيله، و ظهر النفاق و اشرايت يهود و النصرانيه(41).

و قد افرد في الكامل فصلا مستقلا لاخبار الرده و رغم تحفظنا على بعضه لان

شعار الرده استعمل في بعض الاحيان كشعار سياسى لتصفيه المعارضه، أو لتحقيق اغراض شخصيه، الا انه على كل حال يكشف عن ان شطرا كبيرا من المجتمع كان مستسلما فقط(42).

و من الطبيعى في ظل وضع من هذا القبيل ان تتقلص الفرص، ان لم نقل تتعدم لوصول علي عليه السلام إلى الحكم، اذ كيف يقبل المرتدون حامما هو كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي ثقلت نفوسهم به، فهو يمثل لهم (ماساه) حقيقه ضاقت بها صدورهم.

و يصف لنا علي عليه السلام حاله الموسفه للوضع الذي كان عليه المجتمع في ذلك الوقت و قد قال له قائل: يا اميرالمومنين، ارايت لو كان رسول الله صلى الله عليه و آله ترك ذكرا قد بلغ الحلم، و آنس ممة الرشد، اكانت العرب تسلم إليه امرها؟ فقال عليه السلام: لا، بل كانت سقتله ان لم يفعل ما فعلت، ان العرب كرهت امر محمد صلى الله عليه و اله و حسدته على ما آتاه الله من فضله، و استطالت ايامه حتى قذفت زوجته، و نفرت به ناقته، مع عظيم احسانه اليها، و جسيم مننه عندها. و اجمعت مذكان حيا على صرف الامر عن أهل بيته بعد موته. و لولا ان قريشا جعلت اسمه ذريعه إلى الرياسه، و سلما إلى العز و الامر، لما عبتد الله بعد موته يوما واحدا، و لا رتدت في حافرتها، و عاد قار حها جذعا، و بازلهها بكرا، ثم فتح الله عليها الفتوح، فاثرت بعد الفاقه، و تمولت بعد الجهد و المخصصه، فحسن في عيونها من الاسلام ما كان سمجا، و ثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطربا و قالت: لولا انه حق لما كان كذا، ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها و حسن تدبير الامراء و القانمين بها...

و ما عسى ان يكون الولد لو كان! ان رسول الله صلى الله عليه و آله لم يقربني ما تعلمونه من القرب للنسب و اللحمه، بل للجهاد و النصيحه، افتراه لو كا اله و لدهل كان يفعل ما فعلت! و كذاك لم يقرب ما قربت، ثم لم يكن عند قريش و العرب سببا للحظوه و المنزله، بل للحرمان و الجفوه.

اللهم انك تعلم اني لم اراد الامر، و لا علو الملك و لارياسه، و انما اردت القيام بحدودك، و الاداء لشرعك، و وضع الامور في مواضعها، و توفير الحقوق على اهلها، و المضى على منهاج نبيك، و ارشاد الضال إلى نوار هدايتك(43).



1 - صحيح البخارى كتاب بدء الخلق.

2 - صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابه.

3 - صحيح الترمذى ج 2:301.

4 - تاريخ بغداد ج 3:288، صحيح الترمذى ج 2 ص 301، و مسند احمد ج 3:338 .

5 - تاريخ ابن جرير الطبرى ج 2:368.

6 - طه:29-33.

7 - صحيح ابن ماجه في باب فضائل اصحاب رسول الله ص 12.

8 - مسند احمد ج 4:281. المطبعه الميمينه بمصر.

9 - مستدرک الصحيحين ج 3:109.

10 - كنز العمال ج 1:48.

11 - كنز العمال ج 6:403.

12 - الاصابه ج 4:171.

13 - آل عمران:61.

- 14 - سورة البقره الايه 51- 54.
- 15 - سورة البقره الايه 67- 74.
- 16 - سورة المائده الايه 111- 115.
- 17 - السالفه صفحه العنق كنى بذلك عن القتل.
- 18 - السيره الحلبيه ج 2:692.
- 19 - الاحزاب:36.
- 20 - صحيح البخارى ج 2:122 ط دار الكتب العربيه.
- 21 - صحيح البخارى ج 2:122 ط دار الكتب العربيه.
- 22 - شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 10:180.
- 23 - السيره الحلبيه ج 2:706.
- 24 - الاصابه لابن حجر ج 1:484 ط السعاده، و حليه الاولياء ج 2:317.
- 25 - صحيح البخارى ج 4:243 ط مطابع الشعب، و صحيح مسلم ج 2:744.
- 26 - الاستيعاب بهامش الاصابه ج 1:153.
- 27 - المصدر السابق، و السيره النبويه لابن هشام ج 4:53.
- 28 - كنز العمال ج 1:247، الكامل في التاريخ ج 2:661 ط دار لكتب العلميه.
- 29 - كنز العمال الحديث رقم 4404.
- 30 - الكامل في التاريخ ج 2:185 ط دار لكتب العلميه، صحيح البخارى ج 7:9 ط دار الفكر، مسند احمد ج 4:356 دار المعارف بمصر.
- 31 - شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 2:54.
- 32 - شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 12:79.
- 33 - شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 12:20.
- 34 - نهج البلاغه الخطبه رقم 192.
- 35 - نهج البلاغه الخطبه 210.
- 36 - النوادر في جمع الاحاديث للمولى محسن الكاشانى:105.
- 37 - شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 1:294.
- 38 - شرح النهج لابن ابي الحديد ج 20:328.
- 39 - شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 20:298.
- 40 - شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 2:45.
- 41 - الكامل لابن الاثير ج 2:199.

42 - بالنسبه لآخبار الرده يمكن بحثها على عدة اصعده و على مستويات مختلفه، فقد تفسر على انها ارتداد عن الاسلام و رجوع إلى الكفر. و قد حصل هذا و وقع في بعض مراحل الاحداث، و قد تفسر على انها ارتداد، بمعنى عم قبول الكثير من العبر لخلافه ابي بكر، و مثال ذلك ما هو معروف عن مالك بن نويرة الذي اعتبر مرتدا لانه امتنع عن دفع الزكاه للخليفه.

و على ضوء ذلك تترتب نتائج متباينه لسنا بصد مناقشتها.

43 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 20:298.

المحور الثاني: العدل المطلق في حياة علي

لقد تربى الإمام علي عليه السلام على يد المعلم الأكبر للإنسانية صلى الله عليه وآله وسلم فتشربت روحه بتعاليم الإسلام و احكامه و اخلاقه، و عزز تلك التربيته انه عليه السلام عاش تجربته الإسلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و عايش العدالة المطلقة حينما كان صلى الله عليه وآله وسلم يمارسها في كل مرافق الحياه الاجتماعيه و السياسيه، فذاق حلاوه ذلك و عشق تلك التجربه و جسدها في كل مناحي حياته، فاصبح كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حرصه و دابه و امانته على تلك المبادئ. و تجلى للجميع ان شخصا بهذه المواصفات و السمات ان خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حكم الامه و اداره شئونها كافه فسيسير على نفس السيره و ينهج ذات النهج فلا يفضل شريفا على مشروف، و لا عربى على اعجمى، ولن يبذل بيت مال المسلمين على هذا و ذاك ليصانعهم و يذلهم لسلطانه، و انما سيسير بهم بما سار عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و آله و سلم.

و لم يكن اشرف القوم و اعيانهم ليرغبوا بالعدل المطلق الذي عايشوه في حياتهم العمليه زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و لم يكن اشرف القوم و اعيانهم ليرغبوا بالعدل المطلق الذي عايشوه في حياتهم العمليه زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و سلم فكانت النفوس تتوق إلى ساعه من الرخاء و الاسترخاء بعيدا عن مراره الحق و غصه العدل. و إذا كانت هذه الرويه واضحه لعدد من الصحابه دون معظم الناس في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقد تجلت للجميع بعد ذلك في فتره خلافته، حيث تفرق الناس عنه مما اضطر مالك الاشر و حرصا منه على الخلافة ان يقول له:

«و انت تاخذهم بالعدل و تعمل فيهم بالحق، و تتصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزله على الوضيع، فضجعت طائفه ممن معك من الحق اذ عموا به، و اغموا من العدل اذ صاروا فيه، و راوا صنائع معاوية عند أهل الغناء و الشرف، فتاقت انفس الناس إلى الدنيا، و قل من ليس للدنيا بصاحب، و اكثرهم يجتوى الحق و يشتري الباطل و يوتر الدنيا، فان تبذل المال يا اميرالمؤمنين تمل اليك اعناق الرجال، و تصف نصيحتهم لك» فاجابه عليه السلام:

اما ما ذكرت من علمنا و سيرتنا فان الله عز و جل يقول (من عمل صالحا فلنفسه و من اساء فعليها و ما ربك بظلام للعبيد) و ان من ان اكون مقصرا فيما ذكرت اخوف.

و اما ما ذكرت من ان الحق ثقل عليهم ففارقونا فقد علم الله انهم لم يفارقونا من جور، و لا لجاوا إلى عدل، و لم يلتمسوا الا دنيا زائله عنهم كان قد فارقوها، و ليسالن يوم لقيامه اللدنيا ارادوا ام الله عملوا؟

و اما ما ذكرت من بذل الاموال و اصطناع الرجال فانه لا يسعنا ان نوتى امراء من الفى ء اكثر من حقه و قد قال الله سبحانه و تعالى و قوله الحق (كم من فنه قليله غلبت فنه كثيره باذن الله و الله مع الصابرين) و قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وحده، فكثره بعد القله، و اعز فنته بعد الذله، و ان يرد الله ان يولنا هذا الامر يذل لنا صعبه، و يسهل لنا حزنه...)(1).

و هذا هو علي عليه السلام يقول لعبد الله بن جعفر ابن ابى طالب حينما طلب منه معونه او نفقه يقول له: لا والله ما اجد لك شيئا الا ان تامر عمك ان يسرق فيعطيك(2).

و هو الذي يقول لاهل الكوفه:

ياهل الكوفه اذا انا اخرجت من عندكم بغير راحلتى و رحلى و غلامى فلان فانا خانن(3).

و يقول عليه السلام لامراه مسلمه عربيه طلبت منه مالا- و كان قد اعطى لامراه اعجميه نفس العطاء- قالت له: انى امراه من العرب و هذه من العجم؟! محتجه على تساويهما في العطاء.

فقال: انى والله لا اجد لبنى اسماعيل في هذا الفى ء فضلا على بنى اسحاق(4).

و يقول عليه السلام لعلقه بن علقمه و كان راه ياكل كسر خبز يابس مع لبن حامض فقال له: يا اميرالمومنين اتاكل مثل هذا؟ فقال عليه السلام:

يا ابا الجنوب كان رسول الله ياكل ايبس من هذا و يلبس اخشن من هذا- و اشار إلى ثيابه- فان لم آخذ بما اخذ به خفت الا الحق به(5).

و يروى على بن ابى سيف المدائنى ان طائفه من اصحاب علي عليه السلام مشوااليه فقالوا: يا اميرالمومنين اعط هذه الاموال و فضل هولاء الاشراف من العرب و قريش على الموالى و العجم، و استمل من تخاف خلفه من الناس و فراره- وانما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال-

فقال لهم: اتامرونى ان اطلب النصر بالجور، لا والله لا افعل ما طلعت شمس و ما لاح في السماء نعم، والله لو كان المال لى لواسيت بينهم، فيكف و انما هى اموالهم...(6).

ان من الطبيعى لمن ينهج هذا النهج في تطبيق العدالة الاجتماعيه المطلقه بحيث لا يرى لابناء اسماعيل على ابناء يعقوب ميزه، و لا يرى لعربى على اعجمى فضلا، و لا للاشراف ميزه على غيرهم في العطاء و لا في غيره، و لا يرى كذلك للباقيين في الجهاد فضلا على غيرهم من المسلمين يستوجب تمييزهم عن غيرهم في امر العطاء، ان شخصا يتمسك بهذه المبادئ بشكل مطلق من دون هواده في مجتمع يتمسك بنس القوه بالقيم الاجتماعيه القانه على اساس الطبقيه و الفوارق الاجتماعيه و القوميه و القبليه و التي عاشها فتره زمنييه تفوق التفره التي عاشها في ظل الاسلام و التي دعت بعض الصحابه إلى اضافه شرط جديد لتولى علي عليه السلام للخلفه و هو ان يسير بسيره الشيخين. و لا يعنى هذا الشرط الا ان يقر بالفوارق الطبقيه و التمييز المالى و الاجتماعى بين المسلمين، مما دعاه إلى رفض الاستخلاف بعد مقتل عمر بن الخطاب، و اصر على العمل بكتاب الله عز و جل و سنه و سيره رسوله صلى الله عليه و آله و سلم فقط باعتبارهما مصدر التشريع الاسلامى و هى بطبيعتها ترفض كل الوان التمييز .
و هو الذي يقول:

«و انى لعالم بما يصلحكم، و يقم اودكم و لكنى لا ارى اصلاحكم بافساد دينى». ان شخصا بهذا المستوى من الحرص على تطبيق الاحكام الاوليه للاسلام لن يلقى ترحيبا في مجتمع احب الانفلات من حياه العدل المطلق إلى حياه الامتيازات الطبقيه و القوميه و القبليه التي اعتادها قبل الاسلام، و سوف يجد في طريقه منات العقبات و الصعاب و ما لا يحصى من المشاكل.
و هذا هو الذي حدث لعلي عليه السلام على امتداد مسرته الطويله مع الدعوه الاسلاميه سواء في حياه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أو فيما بعد ذلك.

و لم يكن- بحسب الصنوص السابقه- خافيا على علي عليه السلام هذا الامر، فكان من اهم اهدافه بعد ان تولى الخلافة اصلاح هذا الواقع و اعادته إلى ما كان عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، الامر الذي حرمة من تحقيق انجازات كبيره و حيويه للاسلام على المستوى الجغرافى و هو ما يعبر عنه بالفتوحات الاسلاميه، و دخل في صراعات عسكريه و سياسيه لتغيير المجتمع و بناء على اساس الاسلام و قيمه الساميه.

المحور الثالث: نظره الدعاء و الحقد

كما نلاحظ ان قطاعات كبيره من المجتمع، كانت تنظر إلى علي عليه السلام نظره حقد و عدا، و تحمل له ضغانن في قلوبها، لانه على حد تعبيرهم (قاتل الاحبه) رغم ان السيف الیذ قطع تلك الرووس، لم يكن يحمل لهم حقدا شخصيا، و انما كان اداء لواجب الجهاد في سبيل الله، و دفاعا عن الاسلام، و تشييدا لاركانه، و اعلاء لكلمه الله تعالى، و ان الذين قتلهم كانوا كفارا عتاتا، طالما وقفوا بوجه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فحاربوه و آذوه، و حاربوا دعوته و رسالته.

و قد سجل التاريخ نماذج كثيره للحاله الحاقده أو المتوتره على علي عليه السلام، تعكس مدى ما كان القوم يحملون له في قلوبهم من بغض و كراهيه، فمن ذلك ما رواه ابن ابي الحديد قال:

ان عثمان بن عفان و سعيد بن العاص حضرا عند عمر في ايام خلافته، فجلس سعيد بن العاص حجره- اى ناحيه- فنظر إليه عمر فقال:

ما لى اراك معرضا كانى قتلت اباك! انى لم اقتله ولكنه قتله ابو حسن.

و كان علي عليه السلام حاضرا فقال:

اللهم غفرا ذهب الشرك بما فيه، و محا الاسلام ما قبله، فلماذا تهاج القلوب!؟

فسكت عمر(7) .

و من خلال نظره سريعه إلى هذه الصفحه من تاريخه عليه السلام و تاريخ معارضيه، نجد ان الثلثه المتضرره ثله مهمه لها موقعها و وقعها في المجتمع. كما انها تمتلك خبرة الممارسه السياسيه و كيفية استعمال المفردات السياسيه و تسخيرها بالنحو الذي يغير من المعادلات و الموازين الشرعيه، و لعل من اهم مصاديق هذا التيار معاوية بن ابي سفيان- داهيه العرب- القادر على استعمال اى ورقه سياسيه- بغض النظر عن مشروعيته- فقد قتل الإمام علي عليه السلام حنظله اخاه، و الوليد بن عتبه و هو خاله و غيرهما من بنى اميه و عبد شمس.

يقول عنه ابن ابي الحديد:

و كان معاوية على اس الدهر- اى قدم الدهر- مبغضا لعلي عليه السلام، شديد الانحراف عنه، و كيف لا يبغضه و قد قتل اخاه حنظله يوم بدر و خاله الوليد بن عتبه، و شرك عمه في جده و هو عتبه، أو في عمه و هو شيبه على اختلاف الروايه، و قتل من بنى عبد شمس نفرا كثيرا من اعيانهم و اماتهم(8).

و يروى كذلك انه:

اجتمع عند معاوية في بعض ليالى صفين عمرو بن العاص، و عتبه بن ابي سفيان، و الوليد بن عتبه، و مروان بن الحكم، و عبدالله ابن عامر، و ابن طلحه الطلحات الخزاعي فقال عتبه: ان امرنا و امر علي بن ابي طالب لعجيب ما فينا الا موتور مجتاح، اما انا فقتل جدى عتبه بن ربيعه و اخى حنظله و شرك في دم عمى شيبه يوم بدر. و اما انت يا وليد فقتل اباك صبرا. و اما انت يا ابن عارم فصرع اباك يوم الجمل و ايتم اخوتك...(9).

و يقول ابن ابي الحديد ايضا:

«و قد عرفت ان اعظم غزاه غزاها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و اشدها نكايه في المشركين بدر الكبرى، قتل فيها سبعون من المشركين، قتل على نصفهم و قتل المسلمون و الملائكه الصنف الاخر. و اذا رجعت إلى مغزى محمد بن عمر الواقدي

و تاريخ الاشراف ليحيى بن جابر البلاذري و غيرهما علمت صحه ذلك، دع من قتله في غيرها كاحد و الخندق و غيرهما، و هذا الفصل لا معنى للاطناب فيه لانه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة و مصر و نحوهما»(10).

و لا يعدم علي عليه السلام من يعاديه حتى في داخل البيت النبوي الشريف فقد مثلت ام المؤمنين عائشه نموذجا آخر للخلاف معه، و ما وقع بينهما اشهر من ان يذكر، لقد قتل علي عليه السلام ابناء عمها في بدر، و لم يمنعها من عدائه ما كانت تسمعه أو تراه من اهتمام النبي صلى الله عليه و آله و سلم به، و حبه له، و استناسه به، و مع ذلك لم تتمكن من تحجيم دوافعها النفسيه، و بقيت ضده بالرغم من انها لم تجد منه موقفا سلبييا تجاهها لا في حياه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و لا بعد وفاته.

و قد استغلت المعارضه ما في قلب عائشه ضده من عدا، و ما لعائشه من مكانه و هاله قدسيه باعتبارها زوجة النبي صلى الله عليه و آله و سلم فجروها إلى معارضه عنليه انتهت إلى مشاركتها في معركة الجمل، و مع ذلك لم تجد منه عليه السلام الا جميلا بعد هزيمة الجيش الذي كانت تقود.

و خذ كذلك سعد بن ابى وقاص الذي يقول عنه ابن ابي الحديد:

«فاما الروايه التي جاءت بان طلحه لم يكن حاضرا يوم الثوري، فان صحت فنو الضغن هو سعد بن ابى وقاص، لان امه حميه بنت سفيان بن اميه بن عبد شمس، و الضغينه التي عنده على علي عليه السلام من قبل اخواله الذين قتل صنا ديدهم و تقلد دماءهم»(11).

و يتواصل الحقد و يتوارث ليصل إلى ولده عمر بن سعد الذي قتل الحسين عليه السلام في واقعه الطف عام 61 هـ.

و الحقيقه ان المجتمع آنذاك كان يضم عناصر نافذه و متمرسه في السياسه شكلت

معارضه قويه للامام علي عليه السلام لم يكن من السهل تجاوزها بالاساليب الطبيعيه المشروعه، فلم يكن امامه عليه السلام الا احد خيارين اما التمسك بالمبادئ ء و الثبات عليها، و اما ان ينهج ما يفعله السياسيون المنحرفون من المداهنه و الخداع و الكذب. و هذا ما كانت تاباه روح علي عليه السلام كما سنرى بعد قليل.

المحور الرابع: التمسك بالمبادئ

اثبت تاريخ علي عليه السلام بما لا يدع مجالا للشك انه رجل المبادئ، المضحى من اجلها، المتمسك بها و ان الاسلام هدفه الاكبر و غايته المقدسه، و ان كل موقف يحقق له مكاسبه قياديه أو ماديه و يتعارض و لو جزءيا مع مبادئ ء الاسلام، و القيم التي تعلمها من الرسول صلى الله عليه و آله و سلم مرفوض مهما كانت مبرراته. و لم يسجل التاريخ انه داهن أو خادع أو استعمل الاساليب التي اعتادها السياسيون في تحقيق اهدافهم.

و هذه الحسنه التي لعلي عليه السلام كانت ترعب كل الذين ارادوا تحويل الحكم السلامي إلى سلطان شخصي أو مكسب مادي لانهم في ظل هذه الاجواء سوف لن يحصلوا على مواقع في الحياه السياسيه الاسلاميه تحق لهم مكاسب شخصيه فمثلا حينما جاء ابوسفيان لعلي و قد كان عليه السلام بامس الحاجه إلى النصير قال له بعد بيعه ابى بكر:

و ليتم على هذا الامر اذل بيت في قريش، اما والله لان شنت لاملانها على ابى فضيل خيلا و رجلا- يعنى على ابى بكر-.

فقال عليه السلام: طالما غششت الاسلام و اهله فما ضررتهم شيئا، لا حاجه لنا إلى خيلك و رجلك»(12).

لم يقبل الامام نصره من لا يحمل في اعماقه مبادئ ء السلام و قيمه. و لا تحركه الا مصالحه و اطماعه الماديه التي تسوقه حيث تشاء و كان المفروض على ضوء

المنطق السياسي المادى ان يجمع كل القوى المضاده أو المصلحيه في تكتل كمي و كفي ليبتجاوز به المرحله الصعبه.

ولكنه عليه السلام ابى ان يفعل ذلك، لان هدفه لم يكن الخلافة و انما المبادئ التي هي هدف الخلافة الحقيقيه؟ و ابوسفيان- على هذا الضوء- لا موقع له فيها. و لم يطل الوقت على ابى سفيان حتى غير موقفه، و تحول إلى جانب ابى بكر من نفس المنطق المصلحى بعد ان اشار عمر بن الخطاب على الخليفه الاول بان يهب اموال الزكاه لابي سفيان كسبا لمودته و دفعا لشره، فرضى ابوسفيان فمال إلى جانب ابى بكر(13).

و ابوسفيان هو الذي يقول لعثمان: بابى انت انفق ولا تكن كابى حجر، و تداولوها يا بنى اميه تداول الولدان الكره، فوالله ما من جنه و لا نار... (14).

و من الحقائق التي تصب في هذا المجال و تؤكد على ان رجل المبادئ المومن بها لا يقع تحت تاثير المبررات و العناوين الثانويه على حساب المبادئ مهما كانت النتائج موثره ما ذكر من انه لما بويع بالخلافة و اصبح حاكما و خليفه على المسلمين و اجتهته مشكله بقاء أو عزل معاوية بن ابى سفيان.

و لم تكن المهمه سهله يسيره، و لن تمر عمليه العزل دون مشاكل و صعاب، و ذلك لان معاوية استغل الفرصه منذ ان توفى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و حتى يوم مبايعه الإمام علي عليه السلام لتكريس نفوذه الشخصى ككيان مستقل عن الخلافة الاسلاميه، و اعتبر نفسه- عمليا- مصدرا تشريعيًا و فكريًا و مرجعا قياديا للامه، و سخر لتحقيق ذلك كل وسائل التبليغ و الدعايه، و جعل بيت مال المسلمين في خدمه هذا الغرض بعد ان ولى الشام، و سلك معاويه- كما ينص التاريخ- سياسيه: المال حين يكون المال اداه لكسب الولاء و الطاعه، و القوه حين يتطلب الامر القوه، و الدين و القيم حين تقتضى الظروف ذلك.

اضف إلى ذلك ما كان يتمتع به معاوية من دهاء و قدره سياسيه، و انفلات في رويته العقائديه للاسلام و نبوه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم التي كان يراها لباقيه شخصيه، و ذكاء اتاح له صلى الله عليه و آله و سلم ان يحكم الجزيره العربيه، و يصبح ملكا عليها، و لا علاقه لذلك بوحى و لا سماء. فهو بنظر إلى الاشياء بنفس المحتوى المادى الكامن في اعماقه و تشكلت منه شخصيته الحقيقيه، و يفسرها كذلك بنفس التفسير المادى المركز في اعماقه.

و من الناحيه الاخرى كان الإمام علي عليه السلام عند وصوله إلى الخلافة بحاجة إلى الاستقرار السياسى الذي يحقق له قدره على ممارسه دوره بشكل يحكم بين أهل التوراه بتوراتهم و بين أهل الانجيل بانجيلهم، و بين أهل اقرآن بقرانهم، فكيف يمكن ان يتم ذلك و قد ورث عليه السلام مشاكل معقده كان من اهمها و اخطرها الوجدات الملحده، المومنه بالاسلام ظاهرا لمنكره له واقعا، هل يمكن بهولاء ان يحقق الهدف الاسلامى الكبير بتطبيق حكم الله عز و جل كما يريد، ام لا بد من عزلهم و تطهير التشكيل القيادى الاسلامى منهم! و لعلاج هذه المشكله لم تكن الخيارات لديه كثيره، فهو اما ان يقبل بالامر الواقع، هذا الامر الذي كان يقتضى ان يبقى كل شيء على ما كان ريثما تتاح الفرصه المناسبه لعمليه التغيير، و هو ما كان اصحاب علي عليه السلام يرونه صحيحا من زاويه حرصهم على الاسلام و حبهم لعلي عليه السلام فقد جاء في الكامل لابن الاثير:

و قال ابن عباس: اتيت عليا بعد قتل عثمان عند عودى من مكه فوجدت المغيره بن شعبه مستخليا به فخرج من عنده فقلت له:

ماذا قال لك هذا؟

فقال: قال لى قبل مرته هذه «ان لك حق الطاعه و النصحيه، و انت بقيه الناس، و ان الراى تحرز به ما في غد، و ان الضياع بضيع به ما في غد، اقرر معاوية و ابن عامر و عمال عثمان على اعمالهم حتى تاتيك بيعتهم و يسكن الناس، ثم اعزل من

شنت) فابيت عليه ذلك و قلت: لا اداهن في ديني، و لا اعطى في الدنيا امرى. قال:- يعنى المغيره بن شعبه- فان كنت ابيت على فائز من شنت و اترك معاوية فان في معاوية جراه و هو في أهل الشام يستمع منه ولك حجه في اثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام. فقلت: لا والله لا استعمل معاوية يومين»(15).

و اما الخيار الاخر فهو القيام بعزل معاوية بن ابى سفيان مع تحمل كافة النتائج السلبيه التي ستترتب عليه و التي من اهمها التضحية بالاستقرار السياسى الذي كان علي عليه السلام بامس الحاجه اليه.

و لم يتردد سلام الله عليه في اتخاذ قرار العزل فقد ارسل كتاب العزل مع سيره الجهنى فسلمه الكتاب فلم يزد معاوية على قوله:

أدم إدامة حصن أو خذا بيدي *** حربا ضروسا تشب الجزل و الضرما

فى جاركم و ابنكم اذ كان مقتله *** شعناء شيببت الاصداع و اللما

اعيا السمود بها و السيدون فلم *** يوجد لنا غيرنا مولى و لا حكما

حتى اذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعى معاوية رجلا من بنى عبيس يدعى قبيصة فدفع إليه طومارا مختوما عنوانه- من معاوية إلى علي- و قال له اذا دخلت المدينة- إلى ان قال- فقال للرسول: ما وراءك؟ قال: آمن انا؟ قال: نعم ان الرسول لا يقتل.

قال: ورائى انى تركت قوما لا يرضون الا بالقود.

قال: ممن؟

قال: من خيط رقبتك...)(16).

و هكذا تسببت السياسة المبدايه الحازمه لعلي عليه السلام لتطهير الخلافة الاسلاميه و مصدر القرار من هذه العناصر في خلق معارضه من السياسيين المتمرسين لم يكن من السهل تجاوزهم من دون دفع ثمن باهظ. و هو ما حدث له عليه السلام بعد ان تولى الخلافة اثر مقتل عثمان بن عفان حيث توالى عليه الفتن من كل جانب و صوب.

و لم يكن عليه السلام غافلا عن كل تلك المشاكل بل كانت رؤيته واسعه الافق، مستوعبه لكل تفاصيل الحاله المستقبلية لما يمكن ان يقع له، ليس فقط من خلال المنظور الغيبى الذي اخبره به النبى صلى الله عليه و آله و سلم و انما ايضا من خلال تقييمه للواقع و علمه بكل تفاصيله، و معرفته بسنن التاريخ و قوانينه.

ففى اطار الرؤيه الغيبية لما سيقع له بعد وفاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقول عليه السلام:

(ان مما عهد إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم ان الامة ستعذر بي بعده)(17).

و يقول ايضا:

(قال لى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ان الامه ستعذر بك بعدى، و انت تعيش على ملتي و تقتل على سنتى، من احبك

احبنى، و من ابغضك ابغضنى، و ان هذه ستخضب من هذا- يعنى لحيته من راسه-)(18).

و جاء في كنز العمال عن علي عليه السلام ان النبى صلى الله عليه و آله و سلم اجهش بالبكاء يوما فقال له علي عليه السلام: يا

رسول الله ما يبكيك؟ قال: ضغانن في صدور اقوام لا يبدهوها لك الا من بعدى. قلت: يا رسول الله في سلامه من ديني؟ قال: في

سلامه من دينك)(19).

و هذا يجعلنا نجزم ان كل الاسباب التي ذكرناها كمشاكل و اجهت علي عليه السلام منذ بدايه خلافته كانت في روحها سابقه على مرحله ما بعد الاستخلاف المباشر للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يعلم ذلك و اخبر عليا به كما هو واضح من الكثير من الصنوص التي سبق ذكرها. و هذا الامر جعل النبي صلى الله عليه و آله و سلم يحتاط في اتخاذ كل ما يمكن من اساليب و وسائل لتكريس مفهوم استخلاف علي عليه السلام من بعده.

و من هذا المنطق جاءت خطوات الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لتتخذ شكلا متميزا في اطار الاستخلاف المباشر له و ذلك بتهيئه الزهراء عليها السلام لتقود المسيره السياسيه في مهمه واضحه تتمثل اولاً: بالتاكيد على ان عليا هو الخليفه الشرعى للرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و ثانياً: ان كل كيان سياسى، أو خيار قيادى حتى لو كان منتخبا من قبل الامه- ان كان وقع انتخاب- يتجاوز عليا عليه السلام إلى غيره يعتبر غير شرعى. و هذا ما سوف نلمسه في كلمات الزهراء و خطباتها بعد وفاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

مرحلة المواجهه

لماذا فاطمه؟

و قد يطرح هذا السؤال نفسه: لماذا اختار الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ابنته فاطمة عليها السلام لهذه المهمه؟ و الحقيقه ان هناك اكثر من مبرر لهذا الاختيار، و اكثر من سبب يدعو لذلك، و سنقتصر على بعضها:

1- كون الزهراء عليها السلام بنت لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و وريثته و ذكراه و امتداده في الحياه، و شبيبهته في خلقه و خلقه، و ما توفر في شخصيته من سمات ابيها و ما كان يحمله صلى الله عليه و آله و سلم من خصائص انفرد بها عن الخلق اجمعين. هذه الخاصيه اكسبتها زحما عاطفيا كبيرا. و كان المفروض ان يتيح لها ذلك تاثيرا فعلا على شرائح كبيره من المجتمع، يهينهم روحيا و نفسيا لتقبل ما تقوله الزهراء عن مستقبل الدعوه الاسلاميه بعد وفاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و ما كان قد خطط للخليفه المقبل.

و على صعيد الواقع حينما تبنت الزهراء عليها السلام الدفاع عن حق علي عليه السلام في الخلافة، فخرجت إلى المسجد، و خاطبت المسلمين بما هو معروف تاريخيا- و سنذكر بعضه فيما بعد- احدثت هزه عنيفه في نفوسهم مما دعى الخليفه الثاني لاستعمال اللين و العاطفه في تعامله معها في بدايه الامر، و الشده و الخشونه بعد ان اصبح تاثيرها غير متحمل، و هددت حركتها الوضع السياسى القائم بعد ان أو شك الانتصار على

الثوره ضد الخليفه اثر خطاب لها في مسجد النبي صلى الله عليه و آله و سلم و سيأتى توضيح ذلك.

2- ان الزهراء عليها السلام تمثل القدر المتيقن المتفق على قبوله في كل اوساط الامه كاطهر و انقى و اتقى من يعرف المجتمع المدنى من النساء و الرجال، فهى سيده نساء الدنيا و الاخره، فهل يرقى إليها الريب، أو تشوب دعواها الشكوك، و هى التي طالما تحدث عنها المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم من على منبره، أو في مسجده، أو بين اصحابه. و هل يعقل ان لا تكون كذلك و هى التي قرن الله عز و جل رضاه برضاها و سخطه بسخطها، و اذا كانت السياسه قد حولت حسنات علي عليه السلام إلى سيئات، و موافقه الكريمه في خدمه الاسلام و تضحياته البجاره في سبيل ذلك إلى تبعات، يجب ان يدفع ثمنها بمجرد موت النبي صلى الله

عليه و آله و سلم، فان ما كان يواخذ به علي عليه السلام لا يرد على الزهراء عليها السلام، و لا يمكن لمعارضى علي عليه السلام وصفها بكل ما عوقب عليه علي عليه السلام، و لم نجد للسلطة من حجه عليها في كل فصول معارضتها لايبى بكر و عمر سوى قول بعضهم بانها زوجه علي عليه السلام، فهي تجر النار إلى قرصها، و ما سوى ذلك فان المعارضه و جمت و عجزت عن المساس بصحة موقف الزهراء، أو التشكيل بمصادقيتها.

3- الشجاعه الفريده التي اتسمت بها و التي اتاحت لها ان تقف بوجه الخلافة موقفا حازما، بل في على مراتب الحزم، في حين لم يفعل ذلك الكثير ممن كان إلى جانب علي عليه السلام أو من كان غير مقتنع بما وقع من استخلاف بعد النبي. و لو لا حظنا حركه المسيره الفاطميه بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم لتجلى لنا ذلك بوضوح.

من المؤكد ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان يعرف سجايا الزهراء و التي منها الشجاعه، التي كانت مهمه الاستخلاف بحاجه كبيره لها. و ما يؤكد هذا الموضوع الحافق التاريخيه الكثيره التي اعطت صورته عن الاجواء الامنيه و السياسيه التي سبقت أو اعقبت بيعه الخليفه الثاني، والتي تؤكد ان العنف كان هو المنطق السائد، مما ادى إلى امتناع الكثيرين من اتخاذ مواقف تناسب الحدث و خطورته.

4- احاطه الزهراء الكامله بموضوع الاستخلاف من جانبين، الجانب الاول اهميه ان يكون علي عليه السلام هو الخليفه المباشر بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و التأثير الايجابى لذلك على مستقبل الاسلام، و انه السبيل الوحيد لضمان سلامه المسيره الاسلاميه تشريعيًا و فكريًا و سياسيًا. و الجانب الثاني خطوره الاوضاع التي تنتج بسبب ابعاده عن الخلافة، و تأثيرها على مسيره الاسلام و حركته في الحياه.

و نحن لانشك ان الزهراء عليها السلام قد واكبت حركه الرسول الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم في مهمه الاعداد لاستخلاف علي عليه السلام مواكبه تفصيليه، و تعرفت على اهميه الموضوع و خطورته، فكان من الطبيعى ان تتبنى هذا الموضوع و تدافع عنه دفاع العارف باهميته، المدرك لضرورته.

و على هذا الاساس يكون اختيار فاطمة عليها السلام امرا طبيعيا، بل يمكن ان نقول ان اختيارها لهذا الدور تفرضه اكثر من ضروره. و سنرى فيما بعد انها هي التي استطاعت ان تحدد معالم الطريق الحق بالنسبه لموضوع الاستخلاف بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

الزهراء الدليل الحسى على شرعيه الخليفه و الخلافة

من خلال جميع ما تقدم نصل إلى حقيقته نقول: ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم قد نص على تنصيب علي عليه السلام من بعده، و هيى ء كل اسباب تمكينه من ذلك سواء من ناحيه بناء شخصيته القياديه و ما تستلزمه من علم و معرفه و خبره، أو من ناحيه تمهيد الأرضيه المناسبه لتمكينه من ممارسه دوره القيادى.

و كان صلى الله عليه و آله و سلم يعلم ان النص الشرعى، أو ما يسمى ب-(الدليل اللفظى) يمكن بسهولة تجاوزه أو تحديه بمختلف المبررات، لان قضيه الحكم و الخلافة بما فيها من اغراءات ماديه و معنويه، أو على احسن التقادير بدوافع صالحه ولكنها غير صحيحه لتجاوز الدليل اللفظى، كالحرص على وحده الامه، و عدم تفرقتها و امثال ذلك، هذه الامور تفرض اتخاذ وسائل اكثر فاعليه على تكريس واقع النص

و تحويله إلى ما يشبه المعلم المادى الذي لا يمكن ان يبده محتواه بالمبررات التي تواجه الدليل اللفظى، و من هنا جاء التاكيد على الزهرا عليها السلام لتأخذ طابعا متميزا من خلال النصوص التي قرن الله رضاه برضاها و سخطه بسخطها، لتكون هي الدليل و المعلم على مشروعيه الحاكم و الحكم، فموقفها و قولها لا يقبل التبرير و التاويل باى شكل من الاشكال لانها في وضعيه المباشر لما يجب ان يكون، فاما ان يقبل اولياء الامر قولها بان النبى صلى الله عليه و آله و سلم اوصى بالخلافة لعلي عليه السلام، و يدعونا بذلك، و هو ما كان يتوخاه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و اما ان يكذبوا الزهرا عليها السلام باى نحو من الاتحاء فتسخط عليهم، و معنى سخطها ان الله عز و جل هو الذي سخط عليهم، فكيف يقيم شرع الله من سخط الله عليه؟ و كيف يوثق على دين الله و معالم شريعته من غضب الله عليه؟ و هل الدين الا الطاعه الخالصه له سبحانه و تعالى؟ (فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما)(20).

فهل يمكن- على ضوء ذلك- ان تعتبر الحكم حكما شرعيا صالحا، و الحاكم خليفه الله في ارضه و وليا للمسلمين له حق الطاعه عليهم و رب العالمين عليه ساخط؟.

و لا نستغرب هذا اللون من الاستدلال بعد ان نص عليه القرآن، بل هو من صميم المنهج القرآنى في تاكيد المبادئ و القيم، و مدى تفاعل الامم معها، و في النهايه تمييز الخط الصحيح من الخط المنحرف.

و لعل من ابرز تطبيقات هذا المنهج ما ذكره عز و جل من قصه طالوت قال سبحانه:

(فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى و من لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو و الذين امنوا معه قالوا لا طاقه لنا اليوم بجالوت و جنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فنه قليله غلبت فنه كثيره باذن الله و الله مع الصابرين)(21).

و خلاصه القصة ما ذكره القرطبي في تفسيره قال: قال وهب بن منبه: فلما فصل طالوت قالوا له ان المياه لا تحملنا فادع الله ان يجرى لنا نهرا، فقال لهم طالوت: ان الله مبتليكم بنهر، و كان عدد الجنود- في قول السدى- ثمانين الفا.

و قال وهب: لم يتخلف عنه الا ذو عذر من صغر أو كبر أو مرض.

و معنى هذا الابتلاء انه اختبار لهم، فمن ظهرت طاعته في ترك الماء علم انه مطيع فما عدا ذلك، و من غلبت شهوته في الماء و عصى الامر فهو في العصيان في الشدائد اخرى، فروى انهم اتوا النهر و قد نالهم عطش و هو في غايه العذوبه و الحسن، فلذلك رخص للمطيعين في الغرفه ليرتفع عنهم اذى العطش بعض الارتفاع و ليكسر و انزاع النفس في هذه الحال. و بين ان الغرفه كافه ضرر العطش عند الحزمه الصابرين على شطف العيش اللذين همهم في غير الرفاهيه... و انما وقع هذا الابتلاء ليتميز الصادق من الكاذب...)(22).

فما معنى ان يجعل الموشر الحقيقى للايمان غرفه من ماء، اليس هو موشر مادى حسى لمعرفة المومن من غيره، أو المطيع من العاصى فما المانع من ان تكون الزهراء بنت رسول الله التي يرضى الله لرضاها و يسخط لسخطها الموشر الحسى الحقيقى لكون المسيره السياسيه بعد اببها تسير في الاتجاه الصحيح أو الضال؟

و تطبيق آخر للمنهج في قوله تعالى:

(و اذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا و ادخلوا الباب سجدا و وقولوا حطه نغفر لكم خطاياكم و سنزيد المحسنين)

(23).

فى هذه القضية جعل الله عز و جل دخول الباب، مع قول (حطه)- اى اللهم حط عنا الذنوب و اغفرها- الموشر الحقيقى للايمان. قال القرطبى فى تفسيره:

قلت يحتمل ان يكونوا تعبدوا بهذا اللفظ بعينه، و هو الظاهر من الحديث. روى مسلم عن ابى هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قيل لبنى اسرايل ادخلوا الباب سجدا و قولوا حطه يغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا يزحفون على استناهم و قالوا حبه فى شعره...

و قال: و كان قصدهم خلاف ما امرهم الله به فعصوا و تمردوا و استهزءوا، فعاقبهم الله بالرجز و هو العذاب...(24).

و الباب الذى امروا بدخوله كما قال القرطبى: هو باب فى بيت المقدس يعرف اليوم ب- (باب حطه) أو باب القبه التى كان يصلى إليها موسى و بنو اسرايل.

و روى عن ابى سعيد الخدرى قال: سمعت النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقول: انما مثل أهل بيتى فيكم كسفينه نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق، و اما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطه فى بنى اسرايل من دخله غفر الله له(25).

و كذلك قوله صلى الله عليه و آله و سلم فيما اخرجه الدار قطنى عن ابن عباس قال صلى الله عليه و آله و سلم على بن ابى طالب باب حطه من دخل منه كان مومنا و من خرج منه كان كافرا(26).

و ينطبق على ما نحن فيه ايضا التمثيل بسفينة نوح عليه السلام التى ركبها المومنون و ابى ذلك الكافرون فكانت هى المقياس أو الموشر على صحه الطريق و سلامه المسير.

و بعد ذلك نقول هل يعنى دخول (باب) غير اعتباره الدليل الحسى على الايمان و الاذعان، فلما ذا لا يكون رضا حبيبه المصطفى عليه السلام هو الموشر الحقيقى الصادق على وجهه الخلافة بعد وفاه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم هل تسير فى الاتجاه الصحيح اولا خاصة

و ان الزهراء فى قيمتها الدينيه و مكانتها عند الله عز و جل و عند رسوله صلى الله عليه و آله و سلم اعظم خطرا و اكبر شانا من باب أو نهر أو سفينه، و كيف لا و هى بضعه المصطفى و روحه التى بين جنبيه، و شجنه من النبوه فهى الدليل الحى، و الحق الذى يمشى و يتكلم بلسان النبوه و عقبها، نخرها ابوها لتكمل مسيره الاسلام من بعده، فحملت بامانه مهمه من اصعب المهام، و التى تمثلت بتثبيت خط الإمامة و ارساء قواعدها.

اداء الامانه

مرض النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى صفر من سنه احدى عشره من الهجره، و كان قد امر بتجهيز جيش اسامه بن زيد إلى البلقاء فى الاردن، و اهتم بتسير الجيش و لعن من تخلف عنه، على التفصيل المذكور فى كتب الحديث و السيره.

و كان صلى الله عليه و آله و سلم قد تنبا بما سيقع بعد وفاته فذهب إلى البقيع فقال:

السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنكم ما اصحبتم فيما مما اصبح الناس فيه، اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع اولها آخرها.

ثم قال لاصحابه: «ان جبريل ان يعارضنى القرآن فى كل عام مره، و قد عارضنى به العام مرتين، فلا اراه الا لحضور اجلى»(27).

فلما اشتد به المرض طلب ان يقربوا له دواء و كتف، ليكتب لهم كتابا لن يظلوا بعده ابدًا. فاراد صلى الله عليه و آله و سلم عن يحسم امر الخلافة كما اشار إلى ذلك عمر بن الخطاب فاختلف الصحابه و تباينوا في طاعته، و قد تقدم تفاصيل بعض ذلك فيما سبق.

و مرت الايام ثقيله كنيبه على أهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم، فما هي الا ايام قليلة حتى التحق اكرم رسول الله في الأرض بالرفيق الاعلى، بعد ان جاهد في الله حق جهاده، و انقذ الامه من شفا جرف هار، فجعلها خير امه اخرجت للناس.

و جاءت الساعه الاليمه ليختار الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لقاء ربه و جوار رحمته. و يصف لنا اميرالمومنين عليه السلام تلك اللحظات فيقول:

«و لقد قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ان راسه لعلي بصدري و قد سألت نفسه في كفي، فامررتها على وجهي و لقد ولت غسله صلى الله عليه و آله و سلم و الملائكه اعواني، فضحت الدار و الافنيه، ملأ يهبط و ملأ يعرج، و ما فارقت سمعي هينمه منهم، يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه، فمن ذا احق به مني حيا و ميتا».

ثم قام صلوات الله عليه بتأبينه بابلغ ما يكون من الوصف و الثناء و التبجيل فقال:

«بأبي أنت و أمي، طبت حيا و طبت ميتا، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت احد ممن سواك من النبوه و الاتباء.

و لولا انك امرت بالصبر، و نهيت عن الجزع لا نفذنا عليك ماء الشوون، وكان الداء مماطلا، و الكما محالفا و قلا لك، و لكنه ما لا يملك رده و لا يستطاع دفعه. بابي انت و امي ذكرنا عند ربك، و اجعلنا من بالك»(28).

و قبل ان يدفع النبي صلى الله عليه و آله و سلم انقسم الصحابه إلى قسمين: القسم الاول كان مع علي عليه السلام، و هم القله الذين و اسوه في مصابه، و شاركوه في تجهيز نبيهم صلى الله عليه و آله و سلم. و القسم الثاني: ذهبوا إلى سقيفه بنى ساعده ليختاروا الخليفه الذي سيتولى الامر بعده صلى الله عليه و آله و سلم على التفصيل المذكور و المعروف في كتب الروايه و التاريخ، و الذي لا حاجه إلى ذكره هنا بتفاصيله و انما سنذكر فقط ما تمس الحاجه إليه توخيا للاختصار.

و خلاصه ما وقع على ما يروى ابن أبي الحديد عن البراء بن عازب قال:

لم ازل لبني هاشم محبا، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خفت ان تتمالا قريش على اخراج هذا الامر عنهم، فاخذني ما ياخذ الواله العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فكنت اتردد إلى بني هاشم و هم عند النبي صلى الله عليه و آله و سلم في

الحجره، و اتفقد وجوه قريش، فاني كذلك اذ فقدت ابابكر و عمر، و اذا قائل يقول: ان القوم في سقيفه بنى ساعده. و اذا قائل آخر يقول: قد بويع ابوبكر.

فلم البث و اذا انا بابي بكر قد اقبل و معه عمر و ابو عبيده و جماعه من اصحاب السقيفه، و هم محتجزون بالازر الصناعيه لا يمرون باحد الا خبطوه و قدموا فمدوا يده فمسحوها على يد ابى بكر بيابعه، شاء ذلك أو ابى. فانكرت عقلى و خرجت اشتد حتى انتهيت إلى بني هاشم، و الباب مغلق، فضربت عليهم الباب ضربا عنيفا و قلت: قد بايع الناس لابي بكر بن ابى قحافه. فقال العباس: تربت ايديكم إلى آخر الدهر، اما انى قد امرتكم فعصيتمنى.

فمكثت اكابد ما في نفسي، و رايت في الليل المقداد و سلمان و ابانر و عباده بن الصامت و ابا الهيثم بن التيهان و حذيفه و عمارا و هم يريدون ان يعيدوا الامر شورى بين المهاجرين.

و بلغ ذلك ابا بكر و عمر فارسلا إلى ابي عبيده و إلى المغيرة بن شعبه، فسالا هما عن الراى، فقال المغيرة: الراى ان تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده في هذه الامرہ نصيبا. ليقطعوا بذلك ناحيه على بن ابي طالب.

فاتطلق ابوبكر و عمر و ابو عبيده و المغيرة حتى دخلوا على العباس، و ذلك في الليله الثانيه من وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فمحمد ابوبكر الله و اثنى عليه و قال:

ان الله ابعت لكم محمدا صلى الله عليه و آله و سلم نبيا، و للمومنين وليا، فمن الله عليهم بكونه بين ظهرانيتهم، حتى اختار له ما عنده، فخلى على الناس امورهم ليختاروا لانفسهم متفقين غير مختلفين، فاختارونى عليهم وليا، و لا مورهم راعيا فتلوت ذلك، و ما اخاف بعون الله و تسديده و هنا و لا حيره و لا جبنا، و ما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب، و ما انفك يبلغنى عن طاعن يقول بخلاف قول عامه المسلمين، يتخذكم لجا فتكونوا حصنه المنيع، و خطبه البديع، فاما دخلتم فيما دخل فيه الناس، أو صرفتموهم عما مالوا اليه، فقد جنناك و نحن نريد ان نجعل لك في هذا الامر نصيبا

و لمن بعدك منعقبك اذ كنت عم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ان كان المسلمون قد راوا مكانك من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و مكان اهلك، ثم عدلوا بهذا الامر عنكم، و على رسلكم بنى هاشم فان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم منا و منكم.

فاعترض كلامه عمر، و خرج إلى مذهبه في الخشونه و الوعيد و اتيان لامر من اصعب جهاته فقال:

اي والله، و اخرى انا لم ناتكم حاجه اليكم، ولكن كرهننا ان يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم و بهم فانظروا لانفسكم و لعامتهم. ثم سكت.

فتكلم العباس فحم الله و اثنى عليه ثم قال: ان الله ابعت محمدا نبيا كما وصفت، و وليا للمومنين فمن الله به على امته حتى اختار له ما عنده، فخلى الناس على امرهم ليختاروا لانفسهم، مصيبين للحق مانلين عن زيغ الهوى، فان كنت برسول الله طلبت فحقنا اخذت، و ان كنت بالمومنين فنحن منهم، ما تقدمنا في امركم فرطا، و لا حللنا وسطا، و لا نزحنا شطحا، فان كان هذا الامر يجب لك بالمومنين، فما وجب اذ كنا كارهين و ما ابعد قولك انهم طعنوا من قولك انهم مالوا اليك، و اما ما بذلت لنا فان يكن حقه اعطيتاه فامسكه عليك، و ان يكن حق المومنين لك ببعضه دون بعض، و ان يكن حقنا لم نرض لك ببعضه دون بعض. و ما اقول هذا اروم صرفك عما دخلت فيه، ولكن للحجه نصيبها من البيان و اما قولك: ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم منا و منكم، فان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من شجره نحن اغصانها و انتم جيرانها. و اما قولك يا عمر انك تخاف الناس علينا، فهذا الذي قدمتموه اول ذلك و بالله المستعان(29).

على كل حال فقد افلزت احداث الساعات القليله التي تلت وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم البيعه لابي بكر، و ابعاد علي عليه السلام عن الخلافة و الحكم، و عن حقه الشرعى في اكمال المسيره النبويه المقدسه بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و لم تكن الخيارات كثيره امامه، فهو اما ان يترك جثمان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم مسجا من دون ان يقوم بما يجب من تغسيل و تكفين، و ما يليق برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من احترام و تقديس، و يدخل معترك الصراع السياسى في امر الخلافة و الحكم.

و اما ان يستعمل القوة و العنف و اراقه الدماء، و حينئذ ماذا ستكون النتيجة؟ ستكون معركة غير متكافئه اولاً، و صدمه للتجربه الاسلاميه الجديده التي يهددها ما لا يصحى من الاخطار.

و قد تجنب عليه السلام كل ذلك لانه يتناقض و يتنافى مع المبادئ التي آمن بها صغيراً، و نشأ عليها و عاشها كبيراً، فهل يسمح ايمان على و قلبه بترك رسول رب العالمين مسجى ليذهب وراء الخلافة و الحكم؟ و هل علي عليه السلام الا هذه القيم و المبادئ؟ يقول عليه السلام:

(اكنت اترك رسول الله ميتاً في بيته لا اجهزه و اخرج إلى الناس انازعهم سلطانه)(30).

ثم هل من المعقول ان يلحاً إلى القوة و الاكراه و العنف و الشده، و هو يعلم ان اول مقومات الخلافة الرشيدية هو ايمان الامه بها، ايماناً حقيقياً يوهلها لممارسه دورها باخلاص و تفانى، لانها امه تحمل اعظم رساله للانسانيه كلها، فهل يمكن لامه مقهوره فارغه تماماً من المحتوى الاسلامى ان تحكم نفسها أو تحكم العالم بغير القهر و الرعب و الخوف يقول عليه السلام: «و انى لعالم بما يصلحكم، و يقيم اودكم، ولكنى والله لا ارى اصلاكم بافساد نفسى»(31).

و يقول كذلك:

(لقد علمتم انى احق الناس بها من غيرى و والله لاسملن ما سلمت امور المسلمين، ولم يكن فيها جور الا على خاصه التماسا لاجر ذلك و فضله و زهداً فيما تنافسوه من زخرفه و زبرجه) و هل يمكن لعلي عليه السلام ان يساوم على حساب دينه و قيمه، و على حساب بيت مال المسلمين و حقوقهم السياسيه و الاجتماعيه، فيتقاسم النفوذ و الحكم فيعطى هذا ولايه ليرضى، و يهب لذلك ثغراً ليسكت، و يفرغ بيت المال في جيوب اصحاب النفوذ و اللسان ليكونوا معه في سبيل تحقيق مكاسب شخصيه زائله، و هو الذي يقول لعبدالله بن عباس و كان عليه السلام يخصف نعله ما قيمه هذا النعل؟ فقال له: لا قيمه لها، لقال عليه السلام والله لى اى احب إلى من امرتكم، الا ان اقيم حقاً، أو ادفع باطلاً.

اجل ليس بوسع علي عليه السلام ان يفعل ذلك، و لو اراد ان يفعل لقدراً، فكل من يعرف علي عليه السلام و تاريخه يدرك انه لو اراد ان يستعمل القوة الشخصيه الفرديه لا طاح بكل المستبطلين الذين انتزعوا الخلافة منه، اليس هو الذي يقول: والله لو تظاهرت العرب على قتالى لما وليت عنها، و لو امكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها و يقول: انى والله لو لقيتهم واحداً و هم مطلع الأرض كلها ما باليت و لا استوحشت)(32).

فمن يرقى إلى شجاعه على غقاتل الابطال و الشجعان، و كاشف الكرب عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و رجل المواقف الصعبه، و كل هولاء الصحابه خبروا علياً في بدر و احد و الاحزاب، و كل المعارك التي خاضها الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و إلى جانبه علي عليه السلام، و كلها تشهد ان المواقف الفرديه لعلى، و البطوله الرائعه التي ميزنه هى التي تغلب الموازين، و تحدد نهايه المعارك إلى صالح الاسلام، فمن يمكن ان يقف امامه لو اراد، و ما قيمه بضعه افراد امام يد في كفها ذوالفقار، لولا كتاب سبق، و وصيه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالصبر على استعمال القوة حرصاً منه على الاسلام و مسيرته من الانحراف. يقول له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ان الامه ستغدر بك بعدى فيقول له: في سلامه من دينى، فيقول له: نعم في سلامه من دينك. و يجهش رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالبكاء فيقول له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فيقول له: ضغائن في صدور رجال عليك لن يبدها لك الا من بعدى(33).

و كان الخيار الاخير ان يستعمل منطق الانبياء و وحى السماء، فيستعمل الحجة تلو الحجة، و النصيحة تلو النصيحة، و يذكرهم بما كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اوصاهم به.

فحرى بامه محمد صلى الله عليه و آله و سلم ان تفى له بالوصية، بعد ان و في لها بالنصيحة. و هنا جاء دور الزهرا عليها السلام، بضعه المصطفى و روحه التي بين جنبيه، تفوح منها رائحة النبوه التي كانت الامه بالامس القريب تشمها من رسولها صلى الله عليه و آله و سلم، هذه بضعته و ريحانته التي شابته في خلقه و خلقته و صدق لهجته، جاءت لتكون الدليل الحى على ان الخلافة كمسوليه لعلى دون سواه، و ان الخلافة القانمه ليس لها نصيب من الشرعيه.

حجه الله بعد اببها

و كما ذكرنا فقد تمخضت اجتماعات السقيفه عن تعيين ابى بكر، و جر الناس إلى بيعته، على نحو المذكور في كتب السير و التاريخ:

و رسم لنا اميرالمومنين علي عليه السلام صورته تنبض بالحياه و الحيويه لتلك البيعه، و موقفه منها فقال في خطبته الشفثقيه: اما والله لقد تمصها ابن ابى قحافه، و انه ليعلم ان محلى منها محل القطب من الرحا، ينحدر عنى السيل، و الا يرقى إلى الطير، فسدلت دونها ثوبا، و طويت عنها كشحا، و طففت ارتى بين اصول بيد جذاء، أو اصبر على طخيه عمياء، يهرم فيها الكبير، و يشيب فيها الصغير، و يكدح فيها المومن حتى يلقى ربه، فرايت ان الصبر على هاتا احجى، فصبرت و في العين قذى، و في الحلق شجا، ارى تراثى نهبا)

و كان لعمر بن الخطاب الدور الاكبر في تحقيق البيعه و تكريس الخلافة لابي بكر، يقول ابن ابي الحديد:

«عمر هو الذي شيد بيعه ابى بكر، و رقم المخالفين فيه فكسر سيف الزبير لما

جرده، و دفع في صدر المقداد، و وطى ء في السقيفه سعد بن عباده، و قال: اقتلو سعدا قتل الله سعدا، و حطم انف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفه: انا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب. و توعده من لجا إلى دار فاطمة عليها السلام من الهاشميين و اخرجهم منها. و لولاه لم يثبت لابي بك امر، و لا قامت له قانمه»(34).

و امتنع علي عليه السلام مع عدد من الصحابه عن بيعه ابى بكر، و جلسوا مع علي عليه السلام في دار فاطمه، و قاطعوا مجالس القوم و ندواتهم، فسأل ابوبكر فقال: اين الزبير؟ فقيل عن دعلى و قد تقلد سيفه فقال: قم يا عمر، قم يا خالد بن الوليد انطلقا حتى تاتيانى بهما.

فانطلقا، فدخل عمر و قام خالد على باب البيت من خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف فقال: نبايع عليا، فاخرطه عمر فضرب به حجرا فكسره، ثم اخذ بيد الزبير فاقامه ثم دفعه و قال: يا خالد دونكه فامسكه، ثم قال لعلى: قم فبايع لابي بكر، فتلكا و احتبس، فاخذ بيده و قال: قم فابى ان يقوم، فحمله و دفعه كما دفع الزبير فاخرجه.

ورات فاطمة ما صنع بهما، فقامت على باب الحجره و قالت: يا ابابكر ما اسرع ما اغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا اكلم عمر حتى القى الله(35)) (36).

و من هذه اللحظه بدأت الزهرا عليها السلام مسيرتها الجهاديه، لانها حجه الله، فكان لا بد من ان تلقى الحجه، و لا بد ان تقوم بالدور الذي رسمه لها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو دور من اهم الادوار في تاريخ الاسلام كما سنرى.

عملت الزهرا عليها السلام على محاور ثلاثه ميزت حركتها:

المحور الاول و تمثل بدعوه المهاجرين و الانصار للوقوف إلى جانب علي عليه السلام، و اختياره خليفه لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في الحكم.

و المحور الثاني و تمثل بتنبية الامه على ان الحكم الحالى لا يتمتع بالشرعيه التي تمكنه من قياده الامه و مواصله المسيره بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و المحور الثالث يتمثل باتخاذ موقف سلبي من شخص الحاكم بالذات و المجتمع المدني عموما. و سنستعرض المحاور الثلاثه فيما يلي:



-
- 1 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 2:197.
 - 2 - المصدر السابق ص 200.
 - 3 - المصدر السابق ص 200.
 - 4 - المصدر السابق.
 - 5 - المصدر السابق.
 - 6 - المصدر السابق ص 203.
 - 7 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 14:144.
 - 8 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 1:338.
 - 9 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 6:314.
 - 10 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 1:24.
 - 11 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 1:190.
 - 12 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 2:45.
 - 13 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 2:44.
 - 14 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 2:45.
 - 15 - الكامل لابن الاثير ج 3:86.
 - 16 - الكامل في التاريخ ج 3:93.
 - 17 - مستدرك الصحيحين ج 3:140.
 - 18 - مستدرك الصحيحين ج 3:142.
 - 19 - كنز العمال ج 6:408.
 - 20 - النساء 65.

- 21 - سورة البقره:249.
- 22 - تفسير القرطبي ج 3:250.
- 23 - سورة البقره:58.
- 24 - تفسير القرطبي ج 1:411[؟]
- 25 - مجمع الهيئى ج 9:167.
- 26 - الجامع الصغير للسيوطى ج 2:56 اليمنيه بمصر، و الصواعق المحرقه ص 75 ط اليمنيه بمصر.
- 27 - شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 10:183.
- 28 - نهج البلاغه الخطبه رقم 235.
- 29 - شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 1:219.
- 30 - شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 6:13.
- 31 - نهج البلاغه الخطبه رقم 68.
- 32 - نهج البلاغه الخطبه رقم 68.
- 33 - كنز العمال ج 6:408 ط دائره المعارف النظاميه.
- 34 - شرح نهج البلاغه ج 1:174 ط دار احياء الكتب العربيه.
- 35 - ان النصوص التي تحكى هذه الحادثه كثيره جدا، و هى غالبا تنفق من حيث المضمون، و قد تختلف من حيث اللفظ، و مان لابد من الاقتصار على نموذج واحد منها فان ذكرها جميعا يخل بالاختصار، كما ان انتقاء مقاطع معينه من هذا النص أو ذاك قد يخل بالموضوعيه فتركته لذلك لمن شاء فليراجع شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج 2:56 و ما بعدها.
- 36 - نهج البلاغه الخطبه ج 2:56.

المحور الاول: الدعوه للوقوف إلى جانب علي

كان الدور الاول للصديقه الكبرى: دعوتها المهاجرين و الانصار للوقوف إلى جانب علي عليه السلام حتى بعد ان تمت البيعه لابي بكر، فقد روى ابن أبي الحديد عن احمد بن عبد العزيز الجوهرى قال: ان عليا حمل فاطمة على حمار، و سار بها ليلا إلى بيوت الانصار يساله النصره، و تسالهم فاطمة الانتصار له. فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق الينا ابابكر ما عدلنا به. فقال علي: اكننت اترك رسول الله ميتا في بيته لا اجهزه و اخرج إلى الناس انزعهم في سلطانه؟! و قالت فاطمة: ما صنع ابو حسن الا ما كان ينبغي له، و صنعوا هم ما الله حسبهم عليه(1).

و في روايات اخرى كان يصحبها الحسن و الحسين عليهم جميعا الصلاة و السلام، فكان تتمر على بيوتهم تدعوهم إلى نصره علي عليه السلام و الوقوف إلى جانبه.

و من الموكد ان الزهراء دعت المهاجرين و الانصار إلى ذلك، و لا كنا نتحفظ على بعض التفاصيل التي تتعلق باساليب الدعوه و اشكالها.

و الذي يجب ان نتنبه إليه هو ان حركة الزهراء عليها السلام لم تكن حلقة في حركة انتخابيه قادها علي عليه السلام لكسب الامه إلى جانبه، و انما كانت دعوه للتوره لاصلاح الامور و اعادتها إلى نصابها الصحيح، و مكانها الطبيعي.

و الملاحظ كذلك ان التاريخ اغفل التفاصيل المهمة لهذه الحركة اغفالا تاما، و حجم تأثيرها على الامه، باستثناء اشارات بسيطه، الان ان الزهراء عليها السلام كشفت عن الجو العام من خلال عدده خطابات لها، بالرغم من ان خطاباتها لم تتضمن تفاصيل التحرك و انما حملت نتائج الحركة، و مواقف الامه منها، و قد تميزت خطاباتها بالصراحة التامه والشده و العنف، فلم تدع مجالات و سطى بل كانت حازمه و قويه في كل كلمه قالتها.

يروى ابن أبي الحديد قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اقبلت فاطمة إلى ابي بكر في لمة من حفدتها و نساء قومها تطا ذبولها، ما تخرم مشيتها مشيه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى دخلت على ابي بكر و هو في حشد من المهاجرين و الانصار و غيرهم، فنيطت- اى وصلت و عقلت- دونها ملاءه، ثم انت انه اجهش لها القوم بالبكاء و ارتج المجلس، ثم امهلت هنيهة حتى اذا سكن تشيخ القوم، و هدات فورتهم، افتتحت كلامها بالحمد لله عز و جل و الثناء عليه و الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، ثم قالت:

(لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم) فان تعزوه تجدوه ابي دون آبانكم، و اخا ابن عمى دون رجالكم، فبلغ الرساله صادعا بانذاره مانلا عن سنن المشركين، ضاربا ثبجهم، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمه و الموغظه الحسنه، آخذا باكظام المشركين، يهشم الاصنام، و يفلق الها، حتى انهزم الجمع و ولوا الدبر، حتى تفرى- اى انشق- الليل عن صحبه، و اسفر الحق عن محضه، و نطق زعيم الدين، و خرست شقائق الشياطين، و تمت كلمه الاخلاص، و كنتم على شفا حفره من النار، بهزه الطالع، و مذقه الشارب، و قبسه العجلان، و موطا الاقدام، تشربون الطرق- اى الماء الذي بولت الابل فيه- و تفتاتون القد، انله خاسنين، يتخطفكم الناس من حولكم، حتى انقذكم الله

برسوله صلى الله عليه و آله و سلم بعد اللتيا و التى، و بعد ان منى بهم الرجال و ذوبان العرب ومردده أهل الكتاب (و كلما اوقدوا نارا للحرب اظفاها الله) أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغره- اى فتحت فاهها- قذف اخاه في لواتها، و لا ينكفى حتى يطا صماخها

باخصمه، و يطفى عاديه لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، و انتم في رفاهيه فكهون آمنون و ادعون، حتى اذا اختار الله لنبيه دار انبيائه، ظهرت حسيكه النفاق، و شمل جلباب الدين، و نطق كاظم الغاوين، و نبغ خامل الافكين، و هدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، و اطلع الشيطان راسه صارخا بكم، فدعاكم فالفاكم لدعوته مستجيبين، و لقربه متلاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، و اخمشكم فالفاكم غضابا، فوسمتم غير ابلكم، و وردتم غير شربكم، هذا و العهد قريب، و الكل رحيب، و الجرح لما يندمل، انما زعمتم ذلك خوف الفتنة (الا في الفتنة سقطوا و ان جهنم لمحيطه بالكافرين) فهيهات! و انى بكم، و انى توفكون، و كتاب الله بين اظهركم، زواجه بينه، و شواهد لانحه، و اوامره واضحه.

ارغبه عنه تريدون؟ ام لغيره تحكمون؟ بنس للظالمين بدلا، (و من يتبع غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه و هو في الاخره من الخاسرين) ثم لم تلبثوا الا ريث ان تسكن نفرتها، تسرون حسوا في ارتغاء، و نحن نصبر منكم على مثل حز المدى...)(2).

فمن خلال الامعان في هذه الخطبه الشريفه نلاحظ ما يلي:

اولا- استطاعت عليها السلام ان تحشد زحما عاطفيا هائلا هيات فيه النفوس لدرجه عاليه من التلقى و الاذعان، فالانسان في مثل هذه الحاله يكون عاداه اسرع الى التقبل و التلقى، و كما تقول الروايه فانها عليها السلام (انت انه) و الانه تعبير عن الالم، و كان الحاضرون يعرفون انها اصدق الناس لهجه فلا يمكن ان تفتعل الحالات النفسيه العاطفيه الكاذبه، و اما تعبر بانته عن الالم و المراره التي تعيش في قلبها، بسبب سرعه رجوع الناس عن منهج المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم.

و من الموكد ان المها ليس للميراث، و لا للخلافه كخلافه، فما القيمه الماديه لكل ذلك، و هي تعلم انها اول الناس لحوقا برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و ماذا يمكن ان تجنيه ماديا ان صار علي عليه السلام خليفه! نعم ما كان يولمها هو الاخطار التي ستحيق بمستقبل الاسلام، و ما سيتعرض له من كوارث هائله في حال عدم تمكن علي عليه السلام من استخلاف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و هذا ما يشهد له تاريخ الاسلام منذ يوم السقيفه و الى اليوم.

و استطاعت ان تحرك الانتصار فهتفوا باسم علي عليه السلام و بدأت الامور تتخذ مسارا جديدا نحو تغيير الوضع السياسى، فيروى ان ابابكر لما سمع خطبتها شق عليه مقالته، فصعد المنبر و قال:

«ايها الناس ما هذه الرعه الى كل مقاله، اين كانت هذه الامانى في عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الا من سمع فليقل، و من شهد فليتكلم، انما هو ثعالبه شهيد ذنبه- اى ثعلب يشهده له ذيله تشبيه لعلى و فاطمه!!- مرب لكل فتنه، هو الذي يقول: كروها جذعه بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفه، و يستنصرون بالنساء، كام طحال احب اهلها اليها البغى، الا انى لو شدت ان اقول لقلت، ولو قلت لبحت، انى ساكت ما تركت. ثم التفت الى الانتصار فقال: قد بلغنى يا معشر الانتصار ماقله سفهانكم، و احق من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انتم قد جاءكم فاويتم و نصرتم، الا انى لست باطلا يدا و لا لسانا على من لم يستحق ذلك منا. ثم نزل، فانصرفت فاطمة عليها السلام الى منزلها.

يقول ابن ابي الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب ابي يحيى جعفر بن يحيى بن ابي زيد البصرى و قلت له: بمن يعرض؟ فقال: بل يصرح. قلت: لو صرح لم اسالك. فضحك و قال: بعلى بن ابي طالب عليه السلام. قلت: هذا الكلا كله لعلى يقوله؟ قال: نعم انه الملك يا بنى)(3).

ثانيا- ذكرتهم بماضيهم القريب و ما كانوا عليه من تدهور عقائدى و اجتماعى و اقتصادى، و ما كان يحيق بهم من اخطار حقيقيه. فانقذهم الله عز و جل بابيها صلى الله عليه و آله و سلم. و همكلمهم شهود على ما قالت، لانهم عاشوا و عاصروا تلك الفتره، فلا

يمكن لاي منهم ان ينكر هذه الحقيقه. و ارادت بهذا ان تؤكد، على ان الذي بنى الامه و سجل لها هذا التاريخ، و شيد لها هذا الكيان، اتما هو بيت النبوه الطاهر بما فيه من بناه حقيقين في مقدمتهم على بن ابي طالب الذي قرورا عزله عن الساحة السياسيه بمختلف المبررات الواهيه، و لولا سيفه لما اخل اكثر هولاء الاسلام.

ثالثا- و جهت للجميع تهمة تحدى المبادئ و القيم، و اتباع الشيطان (و اطلع الشيطان راسه صارخا بكم فدعكم فالفاكم لدعوته مستجيبين و لقربه متلاحظين ثم استنهضكم فوجدكم خفافا و احمشم فالفاكم غضابا) ثم قالت: «فهيئات و انى بكم، و انى توفكون و كتاب الله بين اظهركم زواجره بينه و شواهد لانحه و اوامره واضحه ارغبه عنه تريدون ام ليغره تحكمون بنس للظالمين بدلا- من يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه و هو في الاخره من الخاسرين-».

و رغم خطوره هذه الادانه لم نجد نصا يتحدث عن اعتراضهم عليها، خاصه و ان الكلام موجه للجميع بمن فيهم كبار الصحابه. لا يقال ان جلاله الموقف، و ما تتسم به شخصيه الزهراء من قدسيه منع الحاضرين من الاعتراض، فان الخليفه الاول اصر على منعها فدكا و الميراث و سهام الخمس لحديث سمعه وحده من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم دون باقى الصحابه، و هذا الامر اقل اهميه مما ادانتهم به عليها السلام فكان الاولى ان يعترض على ما ادانتهم به من الرده و الخيانه و النكوص عن الاسلام. اضافته الى ذلك فان من منع الزهراء مراثها عدده قليله من الصحابه، و كانت طبيعه الامور تقتضى توجيه الكلام لهم فقط، ولكن مالا حظناه هو الشمولي المطلقه حتى للذين لا علاقاه لهم بمنعها الميراث، مما يدل على ان الادانه كانت بسبب تخلفهم عن نصره علي عليه السلام و تخاذله عن الوقوف معه في ساعه الحسم، حيث كان يجب عليهم ان يواصلوا المسيره عبد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تحت رايه علي عليه السلام التي هي رايه المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم.

و يتصاعد المقوف ليتخذ طابعا ثوريا حازما فقد دعت الانتصار الى رفع السلاح و الثوره لتصحیح المسيره و توجيهها الى ما كان يريده الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم فقالت:

يا معشر البقيه، و اعضاء المله، و حضنه الاسلام، ما هذه الفتره عن نصرتى، و الونيه عن معونتى، و الغمزه في حقى، و الشنه عن ظلامتى، اما كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: المرء يحفظ في ولده! سرعان ما احدثتم، و عجلان ما اتيتم، الان مات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم امتم دينه، هان ان موته لعمرى خطب جليل استوسع و هنه، و استبهم فتقه، و فقد راتقه، و اظلمت الأرض له، و خضعت الجبال، و اكدت الامال، اضيع بعد الحريم، و هتكت الحرمه، و اذيلت المصونه، و تلك نازله اعلن بها كتاب الله قبل موته، و انباكم بها قبل وفاته فقال (و ما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم و من يقلب على عقبه فلن يضر الله شيئا و سيجزى الله الشاكرين).

ايها بنى قبيله! اهتضم تراث ابي، و انتم بمرأى و مسمع، تبغكم الدعوه، و يشملك الصوت، و فيكم العده و العدد، و لكم الدار و الجنن، و انتم نحبه الله التي انتخب، و خيرته التي اختار.

باديتم العرب، و بادهتم الامور، و كافحتم اليهم، حتى دارت بكم رحى الاسلام، و در حلبه، و خبت نيران الحرب، و سكنت فوره الشرك، و هذات دعوه الهرج، و استوثق نظام الدين.

افتا خرتم بعد الاقدام، و نكصتم بعد الشده، و جبنتم بعد الشجاعه، عن قوم نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم فقاتلوا انمه الكفر انهم لا ايمان لهم لعلمهم ينتهون.

الا وقد ارى ان قد اخلدتم إلى الخفض، و ركنتم إلى الدعاه، فجددتم الذي وعيتم، و سغتم الذي سوغتم، و ان تكفروا انتم و من في الأرض جميعا فان الله لغنى حميد.

الا وقد قلت لكم ما قلت على معرفه منى بالخذله خامرتكم، و خور القناه، و ضعف اليقين، فدونكموها فاحتوها مدبره الظهر، ناقبه الخف، باقيه العار، موسومه الشعار، موسوله بنار الله الموقده التي تطلع على الافنده، فبعين الله ما تعملون و سيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون(4).

ان النقاط التي احتوتها هذه الخطبه الشريفه كثيره و الحديث عنها جمعيا يحتاج إلى مجال اوسع، ولكننا فقط نشير إلى ما يمس الموضوع الذي نحن بصده.

لقد وجهت الزهرا عليها السلام خطابها للانتصار، فذكر بتاريخهم المجيد، و مواقفهم الشجاعه في نصره الاسلام، و نصره رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و بكلمه موجزه ذكرتهم بدوره الجهادى حينما كانت المرحله تستوجب حمل السلاح، و التضحيه بالروح و الدم، و اكدت لهم ان المرحله الراهنه تستوجب نفس الموقف و تتطلب نفس الدور لماذا؟ لان الاحداث التي وقعت و زوت عليا عليه السلام عن دوره تعنى (الان مات رسول الله صلى الله عليه و آله و امتم دينه، ها ان موته لعمري خطب جليل استوسع وهنه و استبهم فته، و فقد راتقه، و اظلمت الأرض له، و خشعت الجبال، و اكدت الامال، اضيع بعده الحريم، و هتكت الحرمه، و اذيلت المصونه...)

ثم قالت لهم: ان لا عذر لكم عن النصره و انت تمتلكون العده و العدد، و القوه الكافيه لا عاداه الامور إلى نصابها (ايها بنى قبيله! اهضم تراث ابي، و انتم بمرأى و مسمع، تبلغكم الدعوه، و يشملكم الصوت، و فيكم العده و العدد، و لكم الدار و الجنن...)

فلماذا تهاونتم عن قتال (قوم نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم فقاتلوا انمه الكفر انهم لا ايمان لهم...).

و لا يوجد بيان اكثر وضوحا للدعوه إلى الثوره المسلحه من هذا البيان، خاصه اذا اخذنا بنظر الاعتبار المنظور العقائدى الذي تتميز به الزهراء، و يشكل معالم شخصيتها فهى ليست من هذه الناحيه كاي امراه من المسلمين، كيف وقد قرن الله تعالى رضاه برضاها و سخطه بسخطها، فهل يمكن ان تتخذ هذا الموقف المتشدد و الواضح من دون ان يكون له خلفيه ربانيه تكسبه الشرعيه التامه. بل هل يسوغ القول بان موقفها هذا لاجل فدك كارض زراعيه، أو ما تركه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من اموال و عقار- ان كان ترك مثل ذلك- أو من اجل سهام الخمس التي نص عليها القرآن الكريم. و بكلمه: من اجل مكاسب ماديه محدوده؟ ان كل شيء في سيرتها يجيب بالنفى، فالزهراء كانت اكبر من ذاك و من غيره، لقد حددت بوضوح تام ان ما وقع هو مفهوم (امته دنيه) هذا المفهوم الخطير الذي يتسحق التضحيه بكل شيء، و على الانتصار باعتبارهم للطيعه المجاهده ان يدركوا ذلك، و يتفهموا صرخه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و دعوته على لسان الزهراء انها صرخه السماء و النبوه، ففدك هي: الخلافة الرشيديه الواعيه الممتده من النبوه المتصله بها، و لم تخسر الزهراء (فدك المزرعه) و لم تخسر الارث المادى، و لا سهام الخمس، لا نهالم تكن تتمتع بالمرود المادى لكل تلك الامور، لا في حياه الرسول، و لا بعد وفاته، فقد كانت تنفقها على المسلمين، و سواء عادت لها فدك أو لم تعد، فان الزهراء عليها السلام ستبقى في حياتها الماديه على مستوى واحد من العيش(5) و انما كان الهدف الحقيقى من عدم اعتراف الخليفه بان النبى كان قد منحها فدكا، هو سلب حجيه الزهراء، في كلامها و قولها و دعواها. و هذا ما حدث- بادب- في بعض الاحيان، و من دونه في احيان اخرى، فتاره يخاطبها ابوبكر بقوله (يا خير النسون، و ابنه خير

الاباء...) حينما قال لها انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقه، و اخرى يصعد المنبر ليقول: (ايها الناس ما هذه الرعه إلى كل مقاله! اين كانت هذه الامانى في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا من سمع فيقول، و من شهد فليتكلم، انما هو ثعاله شهيده ذنبه!- اى ثعلب يشهد له ذيله- مرب لكل فتنه، هو الذي يقول كروها جذعه بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفه، و يستصرون بالسناء كام طحال احب اهلها إليه البغى...) (6).

و تمكنت الخلافة من تحقيق نجاح موقت تمثل بعدم قبول دعوى الزهرا عليها السلام التي وقف معها القران في آيات الارث، و علي عليه السلام و ام ايمن، في مقابل ما قال ابوبكر انه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم انا معاشر الانبياء لا نورث.

المحور الثاني: عدم اهليه الحاكم و الحكومه

الواضح من حركيه الزهرا عليها السلام انها كانت تستهدف امرين في غايه الاهميه و الخطوره.

الامر الاول: العمل على تنفيذ امر الله عز و جل، و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتصيب

علي عليه السلام خليفه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ذلك بتغير الواقع الذي افرزته اجتماعات السقيفه.

و الامر الثاني: التاكيد- اذا لم يتحقق الامر الاول- على عدم شرعيه نظام الحكم، و طريقه تعيين الخليفه، و شخص الحاكم.

و استعملت عليها السلام لذلك ادواه الصراع الثلاثه فذك، و سهام الخمس، و الميراث. و قد بحث ذلك بتفصيل و تحقيق عدد من العلماء الاعلام في مقدمتهم السيد الشريف المرتضى في كتابه (الشافى)، و لسنا هنا بصدد بحث ذلك، و انما الذي يهمنا هو البحث فيما كانت تستهدفه الزهراء من طرح فذك و السهام و الميراث، ليس في اطار قضائى بحت، و انما في بعد دينى و سياسى مقرون بالصراحه و الحده البالغه، فها هى صلوات الله و سلامه عليها تخاطب المسلمين الذين بايعوا ابابكر بقولها:

«حتى اذا اختار الله لنبيه دار انبياء، ظهرت حسيكه النفاق، و شمل جلباب الدين، و نطق كاظم الغاوين، و نبغ خامل الافكين، و هدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، و اطلع الشيطان راسه صارخا بكم، فدعاكم فالفاكم لدعوته مستجيبين، و لقربه متلاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، و احمشكم فالفاكم غضابا، فوسمتم غير ابلكم، و وردتم غير شريكم...» (7).

و تقول لابي بكر و هو حينئذ الحاكم المبسوط اليد (يا ابن ابي قحافه اترث اباك و لا ارث ابي، لقد جنت شينا فريا، فدونها مخطومه مرحوله تلقاك يوم حشرتك، فنعلم الحكم الله، و الزعيم محمد، و الموعد القيامه، و عند الساعه يخسر المبطلون...) (8).

و في روايه انها عليها السلام دخلت على ابي بكر بعد ما استخلف فسألته ميراثها من ابيها، فمنعها، فقالت له: لئن مت اليوم من كان يرثك؟ قال: ولدى و اهلى. قالت: فلم ورثت انت رسول الله صلى الله عليه وآله و اله دون ولده و اهله؟ قال: فما فعلت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قالت: بلى انك عمدت إلى فذك و كانت صافيه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخذتها، و عمدت إلى ما انزل الله من السماء فرفعته عنا. فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم افعل، حدثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى يطعم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الطعمه ما كان حيا، فاذا قبضه الله إليه رفعت) (9).

و روى كذلك انها قالت لابي بكر ان ام ايمن تشهد لى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعطانى فدكا، فقال لها: يا ابنته رسول الله، والله ما خلق الله خلقا احب إلى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابيك، و لوددت ان السماء وقعت على الأرض يوم مات ابوك، والله لئن تفقر عانشه احب إلى من ان تفقرى، اترانى اعطى الاحرم و الابيض حقه و اظلمك حقه، و انت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ان هذا المال لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم و انما كان مالا من اموال المسلمين يحمل النبي به الرجال، و ينفقه في سبيل سائله، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليته كما كان يليه.

قالت: والله لا كلمتك ابدأ، قال: والله لا هجرتك ابدأ. قالت: والله لادعون الله عليك. قال: والله لادعون الله لك.

فلما حضرتها الوفاه اوصت الا يصلى عليها، فدفنت ليلا، و صلى عليها عباس بن عبدالمطلب، و كان بين وفاتها و وفاه ابياها اثنتان و سبعون ليله(10) .

و يروى انس بن مالك ان فاطمة عليها السلام اتت ابا بكر فقالت:

لقد علمت الذي ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات و ما افاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوى القربى، ثم قرأت عليه قوله تعالى (و اعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمس و للرسول و لذوى القربى...) الايه.

فقال لها ابوبكر: بابى انت و امى و والد ولدك السمع و الطاعه لكتاب الله و لحق رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم منه، و لم يبلغ علمى منه ان هذا السهم من الخمس يسلم اليكم كاملا.

قالت: افك هو و لا قربانك؟

قال: لا، بل انفق عليكم منه و اصرف الباقي في مصالح المسلمين.

قالت: ليس هذا حكم الله تعالى...).

و عن ابى الاسود عن عروه قال: ارادت فاطمة ابا بكر على فذك و سهم ذوى القربى، فابى عليها و جعلهما في مال الله تعالى(11).

لقد جاءت نصوص كثيره بهذا المعنى، و هى جميعها تؤكد مع الخليفه الاول، و معه عمر بن الخطاب، الزهراء فدكا و الميرثا و سهام الخمس، و ان كانت النصوص قد اختلفت جزئيا في بعض الصياغات و التعبيرات الليت تفاوتت بين اللين الشديد و القسوه البالغه، و لكن المهم هو تاكيدها على ذات الواقعه، و ان قضيه المنع قد وقعت قطعا.

و ما يمكن ان نستنتجه من ذلك كثير، يستحق البحث و التحقيق، ولكننا سنقتصر على ما يتطلبه البحث و تقتضيه الحاجه.

ان اول ما يلفت النظر، ان الزهرا عليها السلام دخلت ساحه الصراع باسلوب لا يعرف اللين و المجامله، اسلوب المواجهه الصريحه الغاضبه، فبمجرد ان تبين لها ان الخليفه يرفض الازعان لمطالبها، وفتت موقف من لا يخشى في الله لومه لاثم.

و حرصت كذلك على ان تكون محاججتها مع ابى بكر و عمر في مسجد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم اى في مرأى و مسمع المسلمين، و لم تحاججه في بيتها أو بيته، و كان بإمكانها ان تفعل ذلك، و كان من الممكن ان يحقق لها ذلك الحصول على كل مطالباتها في فدك و الميراث و السهام، لان هذه الموارد لس لها تاثير كبير على بيت مال المسلمين، اذ ان الامور كانت تسير على ما يرام في زمن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم حين كانت فدك و سهام ذوى القربى خارج نطاق بيت المال، لانها كانت (طعمه) على حد تعبير الخليفه الاول- اى انها كانت ملكا للنبي صلى الله عليه و آله و سلم أو على اقل تقدير كانت في حيازته و ليس

فى بيت مال المسلمين- فلما توفى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم عادت إلى بيت المال. و لما عادت لم ينعكس تاثيرها على اوضاع المسلمين بشكل ملحوظ. بل ان الماثور تاريخيا ان المصدر الاساسى لبيت مال المسلمين كان في الدرجه الاولى الزكاه لا الخمس، و الزكاه- بمعنى الصدقه الواجبه- محرمة على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و على آله، فلم يكن له و لهم فيها نصيب. و تاتى واردات الاراضى الزراعيه المفتوحه كصمدر آخر من مصادر الدوله. و لم يكن للخمس دور كبير في ميزانيه الدوله الاسلاميه في ذلك الوقت، و كان الخليفه الاول يدرك ذلك تماما، و يعرف ان مطالبات الزهرا عليها السلام لا تعنى شيئا من الناحيه

الماديه و كان يوسعها ان يعترف لها بذلك و يحسم القضيه بهدوء تام، ولكنه رفض و اصر على انه سمع النبي صلى الله عليه و آله و سلم يقول: نحن معاشر الانبياء لا نورث الا ان الزهرا عليها السلام اصرت على ان تكون مطالبتها عنيه و امام المسلمين جميعا، فخرجت من خدرها و طالبت بحقها في مركز الخلافة مسجد ابوها. و لم يكن هذا من عادته مخدرات أهل البيت عليهم السلام. و نحن على يقين ان الف فدك لن تغر الزهراء بالخروج من بيتها، للمطالبه بها من رجال ما كان يمكن ان يكون لهم شأن و لا قيمه لولا المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم، الذي انقذهم من شفا حفرة من النار، و هي تعلم ان هولاء لم يكن لهم تاريخ قبل الاسلام، و لم يكن المجتمع العربي يعيرهم اهميه و لا يحتفظ لهم بمكانه. و تعلم انها من شجره النبوات الباسقه، و بيوتات العرب السامقه، بل هي ذروتها من دون ريب، و هذا يكفي لتمتع عن المطالبه بفدك و غيرها حتى لو انهكها الجوع، و هي التي لم تعرف الشعب حينما كانت فدك نخلتها و سهام الخمس بين يديها. لانها كانت تتصدق بكل ذلك و تنفقه على المسلمين، و حتى لو ارجع لها الخليفه فدكا و سهام الخمس، فانها ستنفقها بالنحو الذي كان المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم ينفقها في حياته، فلماذا خرجت الزهراء؟ و لماذا وقفت تطالب بحقها؟ و كان الاولى ان يفعل ذلك بدلا عنها لعباس عمها، أو على زوجها، أو قثم أو غيرهم من بنى هاشم؟ ماذا كانت تستهدف الزهراء بذلك؟ و ماذا كانت تريد ان تقول؟

من الواضح لمن يتتبع حركه الزهرا عليها السلام، هذه الحركه التي اتسمت بالشجاعه و الجراه، و المواجهه الحديه للسلطه، و لشخص الخليفه، انها عليها السلام ارادات ان تثبت للامه عدم شرعيه الحاكم و الحكومه، فكما قلنا كان بامكانها ان تطالب الخليفه بحقها و هي في بيته أو بيتها، و تحصل على ما تريد، ولكنها خرجت إلى المسجد و اسمعت المسلمين دعوتها، و سجلت على الخيفه عده مخالفات لكتاب الله، في آيات الارث و آيه الخمس، فكان الموقف من كلا الطرفين- الزهراء و ابوبكر- يستهدف معنى سياسيا اعمق من ظاهر دعواتهما، فابوبكر اراد ان يقطع الطريق على علي عليه السلام بتحجيم الزهرا عليها السلام و اخراجها من دائره الصراع، و ارادت الزهراء ان تثبت للامه عدم شرعيه الخليفه، الذي خالف المحكم من كتاب الله العزيز، و بمواجهته لبنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم التي يرضى الله لرضاها و يسخط لسخطها. و بدون هذا الافتراض لا يمكن ان فنهم المبرر الذي دعا عمر بن الخطاب لارجاع فدك إلى ورثه الزهراء بعد توليه الخلافة اذ لو كان يعتقد ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: انا معاشر الانبياء لا نورث ذهبا و لا فضه و لا ارضا و الاعقارا و لكنا نورث الايمان و الحكمة و العلم و السنه(12) لما اعادةا إلى الورثه لانه سيسجل على نفسه مخالفه لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و مخالفه لسيره ابي بكر في قضيه شكلت حدثا خطيرا بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و منه نفهم عزوف اميرالمومنين علي عليه السلام عن فدك بعد توليه الخلافة. فدك ليست المزراع في نظر الزهراء و انما الخلافة و مطالبتها بها في نظر الخلفه ليس الا المطالبه بالخلافة.

كما ان خروج الزهراء من بيتها، و مطالبتها العلنيه، و مواجهتها للخليفه الاول، مواجهه صريحه و حاده، هو بذاته من اخطر الوان الاحتجاج، و حاله من اشد حالات الغضب. و كان الواجب على الامه لو كانت واعيه و مدركه ان تخرج معها في موقف بدرى حاسم.

ما الذي اخرج الزهراء من بيتها؟ فلنجيب جوابا سادجا يتمشى مع ظاهر القضيه و نقول ان الزهرا عليها السلام طالبت بفدك و الميراث و سهام الخمس لحاجتها المعاشيه لذلك حيث يويد القرآن موقفها و حقها في كل تلك الموارد. حتى في هذا الفرض كان الواجب على المسلمين ان يقفوا موقفا حازما من الخليفه لانهم يعلمون ان الشخص الثاني في الخلافة كان قبل عده ايام يقول حينما

اراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يكتب كتابا لن يظلموا بعده ابدا (حسبنا كتاب الله) و كتاب الله عز و جل يقول ان فاطمة و ربيته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلماذا تركوا الكتاب اليوم و لجأوا إلى السنة؟! و كان الواجب ان يقولوا للخليفة الاول اذا كنت قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (نحن معاشر الانبياء لا نورث) فان عليا بشهادته للزهراء يحكى معنى (ان معاشر الانبياء يورثون) اضافته إلى شهادته ام ايمن زوج الرسول التي بشرها بالجنه، فلماذا ترجح شهادته أو روايه بعض الصحابه على بعض؟

و كان الواجب ان يقولوا له: اذا كانت الشهاده تعنى تغليب الظن في نفس القاضى فان ادعاء الزهراء عليها السلام يورث اليقين، اذ هل من المنطقى ان تقول ما ليس بحق، منعب عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بانها بضعه منه؟ و هى من الذين عناهم الله بقوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) هل يمكن ان تطلب ما ليس لها؟ أو تدعى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يقله؟

ان افتراض ان يكون خروج الزهراء من بيتها للمطالبه بفدك و السهام و الميراث بحجمها المادى المحدود و ان كان هو ظاهر النصوص الوارده غير صحيح، و الصحيح ان المستنتج من شكل الصراع و طبيعته يكشف ان السبب الحقيقى كان هو الحرص على مستقبل الاسلام، الذي تتحمل الخلافة الجديده مسؤوليته، و مقدار صلاحها و كفاءتها لاداء هذا الدور، و الذي كانت تراه يتمثل باميرالمومنين علي عليه السلام دون سواه من الصحابه استنادا لما سمعته من ابيها صلى الله عليه وآله وسلم.

و ارادت سلام الله عليها بخروجها ان يعلم كل مسلم انها غاضبه على الخليفه و الخلافة، و هذا لا يتحقق و هى جالسه في بيتها، بل لابد من الخروج إلى المسجد و اعلان ذلك بوضوح و صراحه.

و قد فعلت ذلك و في مناسبات عديده متقاربه قبل ان تعزل الامه، و تفر في بيتها، قالت لابي بكر (والله لا كلمتك ابدا، والله لادعون عليك) و تقول له (يا ابن ابي قحافه اترث اباك و لا ارث ابي لقد جنت شيئا فريا فدونكها مخطومه مرحوله تلقاك يوم حشرتك، فنعم الحكم الله و الزعيم محمد و الموعد القيامة و عند الساعة يخسر المبطلون).

و امثال ذلك من الكلمات التي تقدم ذكرها و سيأتى بعضها عن قريب.

و لم يكن ما فعلته سلام الله عليها رده فعل عاطفيه، لا صلح لها بالمسيره النبويه الكبرى، بل كانت حلقة الحسم الاخير في تشخيص الحاكم الصالح، و نظام الحكم الرشيد، فلم تكن تلك الغضبه غضبه امراه من سائر الناس و انا غضبه لله عز و جل جسدها في حبيبه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، و غضبه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم جسدها في ابنته، فكان من المفروض بالامه الواعيه المومنه بان الاسلام دين القيم و المقاييس الربانيه، و ان في قمه هذه المقاييس هو رضا الله عز و جل في كل قول و عمل، ان لا تقف موقف المتفرج و هى ترى من قال فيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم (فاطمه يرضى الله لرضاها و يسخط لسخطها) ساخطه غاضبه.

و مهما يكن الامر فان الزهراء عليها السلام عملت بمتضى تكليفها الشرعى، فاذا المهمه النبويه الشاقه بافضل ما يكون. و لعل من يدقق في خطاباتنا التي تفوح منها راحه النبوه و الوحي يدرك حجم الالم الذي كان يعتصر قلبها على مستقبل الاسلام و المسلمين، و الخوف من المخاطر المستقبلية الاثيه عن قريب.

و على كل حال فان الزهراء اكدت بوضوح للامه و للخلافه حقائق عديده كان يجب ان لا تقع. اكدت انها ظلمت بانتزاع فدك منها، فدك الخلافة لا فدك المزرعه، و حرمت من سهام الخمس و الميراث، لا لانه خمس و ميراث بل لانه تعطيل لكتاب الله عز و جل و

عمل بخلاف ما امر به تعالى. و اكدت انها غاضبه ساخطه على الخليفه و على كل من وقف معه أو سكت أو رضى بفعله.
ان هذه الامور الثلاثه تكفى واحده منها لسلب شرعيه الحاكم و الحكومه التي يفترض انا تقوم على اساس الاسلام و القرآن.

المحور الثالث: الاحتجاج الساخط

حاولت الزهرا عليها السلام- عملا بالتكليف الشرعي- خلق هزه عاطفيه و دينيه في نفوس الصحابه من المهاجرين و الانصار، لتغيير موقفهم من قضيه الاستخلاف، فدعتهم إلى تطبيق الموازين الشرعيه، و انفاذ وصيه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بشأن علي عليه السلام، و لم تخرج في جميع ذلك عن اطار الحجاج الديني و المنطقي، فاستعملت فدكا و الميراث و سهام الخمس و غيرها كحجج شرعيه لادانه الخلافه، و تزييف مواقفها، فجرت بينها و بين ابى بكر ما هو معروف و ثابت في كتب الحديث و التاريخ.

و لم تفلح كل تلك المحاولات فقد اصر ابوبكر على عدم تصديق الزهرا عليها السلام في دعواها، و لم يقف المسلمون إلى جانبها الموقف المناسب، فادركت ان المسيره النبويه الكبرى التي قادها ابوها صلى الله عليه و آله و سلم و بذل من اجلها حياته و استقراره، و لا قى في سبيلها من العذاب و العنت و الاذى ما لم يلقه نبى قط، بدأت تتجه إلى الطريق غير المرسوم لها، و حينئذ قررت ان تتخذ موقفا غاضبا، و هو آخر محاوله لا صلاح الامور لانها كانت تعلم كما كان يعلم كل الصحابه ان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قال: ان الله يرضى لرضا فاطمة و يسخط لسخطها، فهل يمكن لمسلم يومن بالله و رسوله ان يسخط رب العالمين بايذاء بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، تحت مبررات من قبيل خوف الفتنة، أو مصالح الامه، و امثال ذلك؟ و هل الايمان الحقيقي الا الطاعه الخاطه الكامله لله و رسوله بتنفيذ اوامرهما بشكل مطلق و كامل؟ فماذا يمكن ان تقول الامه غدا لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عند الحوض ان سالهم عن وديعته و ريحانته و ما لقيت بعده.

و لاجل تاكيد هذه الحقيقه اعلنت صلوات الله و سلامه عليها سخطها على كل من تخاذل و تهاون في نصرتها من مجتمع المدينه، و اعلنت كذلك سخطها على السلطه الحاكمه المتمثله بشخص الخليفه.

و هذه الحججه (الرضى و السخط) هي آخر و اهم اداه في عمليه التغيير التي قادتها الزهرا عليها السلام، اذ لو شك احد من الصحابه و المسلمين في احقيه الزهرا عليها السلام في فدك أو الارث أو سهام الخمس، و ان الخليفه الاول سمع النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقول: نحن معاشر الانبياء لا نورث. أو انه اجتهد في ذلك فاخطا أو اصاب، أو انه خاف وقوع الفتنة من منح الزهراء فدكا و سهمها من الخمس، فان احدا لا يشك في ان ما صدر من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بشأن الزهراء فوق الشك و الريب، خاصه و ان الخليفه لم يروى نسخا لما صدر عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم بشأن ابنته عليها السلام بل كان يعترف بوضوح بمفهوم ان الله يرضى لرضا فاطمة و يسخط لسخطها.

اما بالنسبه لسخطها على المجتمع الذي لم يتحمل المسئوليه و لم يرع الامانه فقد روى انه لما اشتد بفاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الوجع و ثقلت في علتها، اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين و الانصار فقلن لها:

كيف اصبحت يا ابنه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

فقالن:

والله اصبحت عانفه لديناكم، قاليه لرجالكم، لفظتهم بعد ان عجمتهم، و شننتهم بعد ان سبرتهم.

فقبحا لفلول الحد و خور القناه، و خطل الراى و بنسما قدمت لهم انفسهمان سخط الله عليهم و في العذاب هم خالدون.

لا جرم... قد قلدتهم ربقتها، و شنت عليهم غارتها، فجدعا و عقرا، و سحقا للقوم الظالمين.

ويحهم ان زحزحوها عن رواسى الرساله و قواعد النبوه، و مهبط الروح الامين، و الطيبين بامر الدنيا و الدين، الا ذلك الخسران المبين.

و ما الذي نَقَمُوا من ابى الحسن!

نَقَمُوا والله منه نكير سيفه.

و شده و طاته و نکال و قعته و تتمره في ذات الله.

و تا الله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا عتقه، و لسا بهم سيرا سجحا، لا تكلم حشاشته، و لا يتعتع راكبه، و لا وردهم منهلا نميرا ففضاضا يطفح ضفتاه، و لا صدرهم بطانا قد تحير بهم الراى، غير متحل بطائل، الا بغمر الناهل، و ردعه سوره الساعب، و لفتحت عليهم بركات من السماء و الأرض، و سياخذهم الله بما كانوا يكسبون.

الا فاستمع و ماعشت اراك الدهر عجبه، و ان تعجب فقد اعجبك الحادث، إلى اى لجا استندوا، و باى عروه تمسكوا؟ لبس المولى و لبس العشير، و لبس للظالمين بدلا.

استبدلوا والله الذنابى بالقوادم، و العجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم يحسبون انهم يحسنون صنعا (الا انهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون) و يحهم (افمن يهدى إلى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون)

اما لعمر الله لقد لقت فنظره ريثما تنتج، ثم احتلبوها طلاع العقب دما عبيطا و ذعاقا ممقرا، هنالك يخسر المبطلون، و يعرف التالون غب ما اسس الاولون، ثم طيبوا عن انفسكم نفسا، و اطمننوا للفتنه جاشا، و ابشروا بسيف صارم و هرج شامل، و استبداد من الظالمين يدع فينكم زهيدا، و جمعكم حصيدا، فيا حسره عليكم، و انى لكم وقد عميت عليكم انلزمكموها و انتم كارهون و الحمد لله رب العالمين و صلاته على محمد خاتم النبيين و سيد المرسلين(13).

و بالنسبه للخليفه فقد اعلنت عن غضبها و سخطها عليه بشكل اوضح من خلال محابه منطقيه حاسمه لم تدع فيها مجالا للشك في حجم غضبها و تذررها عليه فبعد ان اشتدت علتها و اصبحت طريحه الفراش جاءها ابوبكر و عمر عاندين لها و استاذنا عليها فابت ان تاذن لهما، فحلف ابوبكر ان لا يضلله سقف حتى يدخل

عليها و يترضاها، و بات ليله في البقيع لم يظله شيء، فجاء عمر إلى اميرالمومنين و قال له:

ان ابابكر شيخ رقيق القلب و له مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم صحبه في الغار، و اتينا فاطمة غير مره نريد الاذن عليها فابت فان رايت ان تستاذن منها. فاجابه عليه السلام و دخل على فاطمة فعرفها بما يريد الرجلان، فابت ان تاذن لهما. فقال عليه السلام: انى ضمننت لهما. فقالت: البيت بيتك، و النساء تبع للرجال لا اخالف عليكم شيئا. فادخلهما عليها.

و لما وقع بصرهما عليها سلما فلم ترد عليهما السلام.

فقال ابوبكر: يا بنت رسول الله انما اتيناك ابتغاء مرضاتك و اجتناب سخطك. نسالك ان تغفري لنا و تصفحى عما كان منا اليك.

قالت: لا اكلمكما من ارساى كلمه واحده حتى القى ابى و اشكوكما اليه، و اشكو صنيعكما و فعالكما و ما ارتكبتما منى.

قال: انا جننا معتذرين مبتغين مرضاتك فاغفري و اصفحى عنا و لا تواخذينا بما كان منا.

فالتفتت إلى اميرالمومنين عليه السلام و قالت: انى لا اكلمهما كلمه حتى اسالهما عن شيء سمعاه من رسول الله فان صدقاتى رايت رايبى.

فقال: سلى انا لا نقول الا الحق.

فقال: انشدكما بالله هل سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: فاطمة بضعة منى وانا منها من آذاها فقد آذاني، و من آذاني فقد آذى الله، و من آذاها بعد موتى كان كمن آذاها في حياتى، و من آذاها في حياتى كان كمن آذاها بعد موتى؟
قالا: اللهم نعم.

فقال: اللهم انى اشهدك انهما آذياتى، والله لا كلمتكما من راسى كلمه واحده
حتىلقى ربي و اشكوكما إليه بما صنعتما بى و ارتكبتما منى(14).

و اورد ابن قتيبه الروايه بهذا الشكل:

«فقال عمر لابي بكر رضى الله عنهما، انطلق بنا إلى فاطمه، فاتا قد اغضبناها، فانطلقا جميعا، فاستاذنا على فاطمه، فلم تاذن لهما، فاتيا عليا فلماهما عليها، فلما قعدا عندها، حولت وجهها إلى الحائط، فسلما عليها، فلم ترد عليهما السلام.
فتكلم ابوبكر فقال: يا حبيبى رسول الله! والله ان قرابه رسول الله احب إلى من قرابتى، و انك لاحب إلى من عائشه ابنتى، ولوددت يوم مات ابوك انى مت، و لا ابقى بعده، افترانى اعرفك و اعرف فضلك و شرفك و امنعك حقك و ميراثك من رسول الله، الا انى سمعت اباك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا نورث ما تركناه فهو صدقه».
فقال: ارايتكما ان حدثتكما حديثنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرفانه و تفعلان به؟
قالا: نعم.

فقال: نشدتكما الله الم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة رضى و سخط فاطمة من سخطى، فمن احب فاطمة ابنتى فقد احبنى، و من ارضى فاطمة فقد ارضانى، و من اسخط فاطمة فقد اسخطنى؟
قالا: نعم سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قالت: فانى اشهدالله و ملائكته انكما اسخطتمانى و ما ارضيتمانى، و لنن لقيت النبى لا شكونكما اليه.

فقال ابوبكر: انا عانذبالله تعالى من سخطه و سخطك يا فاطمه. ثم انتحب ابوبكر يبكى حتى كادت نفسه ان تزهد و هى تقول: والله لادعون الله عليك في كل صلاه اصلياها.

ثم خرج فاجتمع إليه الناس فقال لهم: يبببب كل رجل منكم معانقا حليلته مسرورا باهله و تركتمونى و ما انا فيه لا حاجه لى في بيعتكم اقبلونى بيعتى(15).

و روى البخارى في صحيحه في الخمس ان فاطمة هجرت ابابكر فلم تكلمه حتى ماتت. و رواه مسلم ايضا في صحيحه في كتاب الجهاد...(16).

و يروى ابن ابي الحديد ان فاطمة عليها السلام خاطبت ابابكر قائله: ما اسرع ما اغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا اكلم عمر حتىلقى الله(17).

و روى عن ابى بكر انه قال: ليتنى لم اكشف بيت فاطمة و لو اعلن على الحرب(18).

و قال: والصحيح عندى انها ماتت و هى واجده على ابى بكر و عمر، و انها اوصت الا يصلبها عليها، و ذلك عند اصحابنا من الامور المغفوره لهما.

و كان الاولى بهما اكرامها و احترام منزلها لكنهما خافا الفرقه، و اشفقا من الفتنه ففعلا ما هو الاصلح بحسب ظنهما و كانا من الدين وقوه اليقين بمكان مكين لا شك في ذلك، و الامور الماضيه يتعذر الوقوف على عللها و اسبابها، و لا يعلم حقائقها الا من قد شاهدها و لابسها. بل لعل الحاضرين المشاهدين لها لا يعلمون باطن الامور!؟(19).

و تذكر بعض النصوص ان ابابكر اسف على ما صدر منه بحق الزهراء، و سعى إلى ارضائها بمختلف الوسائل لعلمه و معرفته بمكانتها عندالله عز و جل، و لولا ذلك لما قال كلمته المشهوره (ببيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسرورا باهله و تركتموني و ما انا فيه لا حاجه لى في بيعتكم اقبلوني بيعتى).

و بكلمه اوضح كان يعى ان الزهرا عليهاالسلام هى المقياس الحسى الحى لرضا اله عز و جل و سخطه، و ان الخلافة لا تعدل الثمن الذي دفعه باسخطه لها.

و كان امام الخليفه اكثر من منفذ للخروج من هذا المازق ليسترضى الزهرا عليهاالسلام، كان بإمكانه ان يرجح حديث (ان الله يرضى لرضا فاطمة و يسخط لسخطها) بكثره من سمعه و رواه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و الذي يوجب القطع و اليقين بصدوره و وضوح دلالاته، فيرجحه على حديث (انا معاشر...) الذي لم يروه غيره، و لغموض دلالاته كذلك.

اذ ان ظاهر الايات التي تحدثت عن توريث الانبياء انهم عليهم السلام اورثوا العلم و الحكمة- لا المواريث الماديه حسب الفرض- لابنائهم الانبياء فاورثوهم النبوه، و لم يذكر القرآن غير ذلك فهل ينطبق هذا على الزهراء؟ و هل يقول به الخليفه؟ فان قال به كانت الحجة عليه ابلغ. و على كل حال فاننا لو بحثنا في دلالة هذا الحديث لوجدنا فيه الكثير من التهافت و الغموض.

و اذا كان منح الزهراء فدكا و الميراث و سهام الخمس ذنبا و مخالفه شرعيه استنادا إلى حديث (انا معاشر الانبياء لا نورث) فان منعها من ذلك مخالفه شرعيه كذلك استنادا إلى حديث (يرضى الله لرضاها و يسخط لسخطها) فلماذا لم يستند إلى وقوع التعارض أو التزاحم بينهما، أو يرجح الثاني على اساس ان اغصاب الزهرا عليهاالسلام قدر متيقن بينما حديث (انا معاشر الانبياء لا نورث) لا يعلم انه كذلك، أو انه يستعمل ولايته لمنحها تلك الامور كما فعل في موارد اخرى.

و من هذا و غيره نعرف ان تمسك الخليفه بفدك و السهام و الميراث كان بدافع

سياسى، و انه بمصادرته لفدك اراد ان يعلن عن سلطته الفعلية على الدولة و ممارسته العملية للحكم(20).

و كان يعلم ان مطالبه الزهرا عليهاالسلام تكتنز نفس المفهوم، فلم تطالبه بشيء من ذلك حين جاء يسترضيها. لوم يكن مستعدا للتجاوب معها حتى بادنى مراتب التجاوب، لانه لو فعل ذلك فسوف يحقق لها نصرا دينيا و سياسيا كبيرا، باعتبار ان الخليفه سيكون قد اعترف لها عمليا بمبدأ حرمة اسخاط فاطمة و وجوب ارضائها، و يكون قد عمل به فعليا اذا ارجع لها فدكا و السهام و الميراث، اضافه إلى سلبيات مخالفته لما رواه عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم من انه قال: (انا معاشر الانبياء لا نورث) التي ستوقعه في حرج كبير امام المسلمين.

و رغم تاثر الخليفه الاول عاطفيا و بكانه الشديد لسخط الزهراء عليه، أثر الثبات لعى موقفه، لان اى تراجع سيودى إلى انهيار جميع الجهود التي اوصلته إلى الخلافة، و عوده الامور إلى نقطه الصفر، و سيفرض الف سوال نفسه عن شرعيه الطريقه التي تم فيها استخلاف ابى بكر.

و لم يخف ذلك على الزهرا عليهاالسلام فارادت ان تؤكد له بحزم ان موقفها الغاضب، ليس انفعالا عابرا و لا تاثرا عاطفيا، و لا لمعنها فدكا و الميراث و الخمس و انما هو موقف الواثق من سلامه و صحه موقفه، و مشروعيه مطلبه فقالت له:

(و الله لادعون الله عليك في كل صلاة اصليتها) و قبل ذلك قالت له و لعمر بن الخطاب: (و لنن لقيت النبي لا شكونكما اليه).

و لاجل ان يفهم الخليفة و السلطه و الامه ان موقفها ليس عابرا، و لن يتغير، و انها لم تصفح و لن تصفح و ان ما قامت به خط ثابت و ليس حاله عابره، اوصت ان لا يصلى الخليفة عليها و لا يشهد جنازتها، و ان يخفى قبرها. لتعبر بذلك عن اشد الوان السخط و الرفض و تؤكد حتى بموتها و اخفاء قبرها عن موقفها الراض لشخص الخليفة و النظام الحاكم بكل ابعاده و تفاصيله، و لى لا يدعى احد بعد وفاتها انها رضيت عن سخطت عليه، اذ لو لم يكن الامر كذلك لما اوصت بتلك الامور.

نتيجة البحث

و بهذا نستخلص ان النبوه الخاتمه اعدت الزهرا عليها السلام لتواصل بعد ابيها صلى الله عليه و آله و سلم تنفيذ مهمه نبويه مقدسه تتمثل برسائ قواعد الخلافة و الإمامة- عمليا- لعلي عليه السلام بعد ان استنفدت الامور الاخرى- في حياه النبي- قدرتها على ذلك.

و رغم ان جهودها عليها السلام لم تثمر ايجابيا، و انتهت الاوضاع إلى ما انتهت إليه على صعيد الواقع، و بقى علي عليه السلام جليس داره، الا انها استطاعت ان تؤكد- بلسان النبوه- على هدف آخر لا يقل اهميه عن سابقه و هو ان نظا الخلافة و الحكم الذي قام بعد وفاه المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم لا يمتلك الرعيه سواء في طريقه تعيين الخليفة، أو طريقه انتخابه، و ان ما وقع يختلف كلياً عما هو مقرر في حكم الله تعالى.

و لو لم نقبل هذه النتيجة و قلنا ان التعيين الذي مثلته السقيفه، و البيعه التي تلتها صحيحان من حيث المبدأ، فان الحقيقه التي افرزتها معارضه الزهرا عليها السلام هي عدم شرعيه المصداق على اقل تقدير. و ان ما كان يجب ان يقع حسب التخطيط الرباني هو ان يتولى الخلافة علي عليه السلام لانه الامتداد الطبيعي لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و هذا الهدف ليس بامكان اى كان تحقيقه خاصه في ظل اجواء سياسيه، اتسمت بالعنف و عدم اللين، عبرت عنها كلمات من مثل (خوف الفتنة، و شق الصف) و امثال ذلك، و التي كانت كفيله بالاطاحه باى راس يجرء على تجاوز هذا

الخط. و على هذا الضوء نجد ان الزهرا عليها السلام كانت خيار النبوه الوحيد، القادر على تحقيق هذا الهدف، و قد فعلت ذلك. فصولات الله و سلامه عليها حتى ترضى و بعد الرضا، و الحمد لله رب العالمين.

1 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 6:13.

2 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 16:249.

3 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 16:214.

4 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 16:212.

5 - من المعروف ان خديجه عليها السلام كانت من اثرياء العرب، و قد بذلت اموالها بسخاء لنشر الدعوه الاسلاميه حتى قال صلى الله عليه و آله و سلم قام الاسلام بسيف على و اموال خديجه و لم يذكر المورخون تفاصيل ذلك و جعلوها صفحه منسيه من التاريخ في الوقت الذي اشادوا فيه بمواقف بعض الصحابه الذين كانت لهم مساهمات ماليه لا ترقى إلى مساهمه خديجه عليها السلام. و ما نوكد

عليه هنا: ان الزهرا عليها السلام لم تكن بحاجة إلى المال و الثروه بعد ان ورثت مع ابيها صلى الله عليه و آله و سلم اموال خديجه و ثروتها، و ماقد نجده في بعض النصوص من انها عليها السلام اوصت ببعض بساتينها و املاكها لذريتها قد يكون مصدرها الاموال الموروثة من امها عليها السلام اذ لا يوجد نص يشير إلى ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم نحلها غير فدك، أو اشترى لها هذه البساتين من اموال الخمس، و لو كان الامر كذلك لما كان معنى لاستثناء الخليفه الاول لها، و لصار حالها حال فدك في تطبيق سياسه (نحن معاشر الانبياء لا نورث). فاذا ثبت هذا فيجب ان نتحفظ بالنسبه للنصوص التي تظهر الزهراء بصوره الحريص على نفسها و ذريتها الخائفه من الفقر و الجوع و امثال ذلك. و انما نقلنا تلك النصوص في طيات هذا الكتاب تمثيا مع (الروايه التاريخيه) و تجنبنا للاسلوب الانتقائي الذي قد يكون في بعض الاحيان مخلًا بالموضوعيه.

6 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 16:214.

7 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 16:251.

8 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 16:232.

9 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 16:232.

10 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 16:214.

11 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 16:230.

12 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 16:214.

13 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 16:233.

14 - علل الشرايع للصدوق، ص 73، باب 1.

15 - الإمامة و السياسه، ص 31 مطبعه امير]

16 - فضائل الخمسه من الصحاح السنه ج 3:190.

17 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 6:49.

18 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 6:51.

19 - شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج 6:51.

20 - لم تذكر كتب الحديث و التاريخ كيف بدأت عمليه مصادره فدك و سهام الخمس و الميراث، مع ما لهذا الموضوع من اهميه بالغه، و الذي يغلب على الظن هو ان ابابكر و عمر و غيرهما لاحظوا ان اوضح اشكال ممارسه الحكم التي باشرها النبي صلى الله عليه و آله و سلم هو الصترف بالمال و الثروه و كات فدكا- رغم انها نخله للزهراء- مصدرا من تلك المصادر، اذ من الناحيه العمليه كان صلى الله عليه و آله و سلم يصرف معظمها على شوون المسلمين و يبقى القليل لمصارفه الشخصيه فكان من ابى بكر ان صادر فدكا و تبع ذلك سهام الخمس ثم الميراث على اساس (انا معاشر الانبياء لا نورث) و تصرف كما يتصرف الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ليبرز حاكميته على الامه، و سيطرته على الامور.